



حديث الصحراء



إعداد ومراجعة

ناصر السبيعي - إبراهيم الخالدي

الناشر

شركة المختلف للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 2002



٢٥

سلسلة المختلف للتراث الشعبي (٥)

حديث الصحراء

(الجزء الأول)

إعداد ومراجعة:

ناصر السبيعي - إبراهيم الخالدي

الناشر

شركة المختلف للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

الكويت - ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م)

عنوان الكتاب: حديث الصحراء (الجزء الأول)
عدد من المقالات والموضوعات المنشورة في ملف «وسم» بمجلة المختلف
المؤلف: مجموعة من الصحفيين والقراء.
إعداد ومراجعة: ناصر السبيعي وإبراهيم الخالدي
عدد الصفحات: ٢٤٥ صفحة من القطع العادي.
صف وتنفيذ: نجود أحمد

(نشرت مواد هذا الكتاب في أعداد متنوعة من مجلة المختلف)

• الناشر:

شركة المختلف للنشر والتوزيع

العنوان: الشويخ - ص ب: ٦٤١٨٥ - الرمز البريدي: ٧٠٤٥٢
تلفون: ٤٨٢٣٤٣٤ / ٤٨١٢٠٥٣ - فاكس: ٤٨١٢٢٤٨

• التوزيع:

المجموعة الاعلامية العالمية

العنوان: الشويخ - ص ب: ٦٤١٨٥ - الرمز البريدي: ٧٠٤٥٢
تلفون: ٤٨٢٣٩٣٩ / ٤٨٢٤٢٤٩ - فاكس: ٤٨١٢٢٤٨

جميع الحقوق محفوظة

فهرس المحتويات

المختلف والتراث: ناصر السبيعي	٩
هذا الكتاب: إبراهيم الخالدي	١١
• الفصل الأول: فرسان من الماضي	
أحمد السديري	١٥
أورنس الشعلان	١٩
بادي بن دبيان	٢١
جهز بن شرار	٢٤
حجرف النويبي	٢٧
راكان بن حثلين	٣٠
سعدون العواجي	٣٣
شالح بن هذلان	٣٥
شليويح العطايي	٣٨
ضيف الله العفار	٤١
عريمير بن دجين	٤٤
فراج العماني	٤٧
محمد بن مطر أبو اثنين	٥٠
محمد بن هادي	٥٢
محمد بن هندي	٥٥
مشعان الهذال	٥٨
ناصر بن سرحان	٦٢
النوري بن شعلان	٦٤

● الفصل الأول: سيرة شاعر

٦٩	بديوي الوقـداني
٧٣	بركات الشريف
٧٨	حمد المخلوث
٨٠	حميدان الشويعر
٨٣	حنيف بن سعيدان
٨٧	راشد الخلاوي
٩٠	راشد أبو دباس
٩٣	راشد بن عفيشة
٩٦	سالم الحميد
٩٩	سليمان بن شريم
١٠١	صقر النصافي
١٠٤	عبدالله بن دويرج
١٠٧	عبدالله الفرّج
١١٠	قواز السهلي
١١٣	محسن الهزاني
١١٥	محمد الفوزان
١٢٠	محمد الفيحاني
١٢٢	محمد القاضي

الفصل الثالث: قصص من الماضي

١٢٩	بيت على الطريق
١٣٠	كرم نادر
١٣١	آجرة المشوار.. هجينية
١٣٢	كرم متبادل
١٣٣	البدو والأجراس
١٣٤	المجدد
١٣٥	صداقة مع اللبؤة

١٣٦	أب يفقد ابنه الوحيد
١٣٨	نجر المطوع
١٤٠	حب لا يعرف اليأس
١٤٢	غربة العرفجي
١٤٤	كيد النساء
١٤٦	حوار مع الذئب
١٤٧	شاعر يرثي نفسه
١٤٨	رد الجميل
١٥٠	قوت وفهيد
١٥٢	غيبه مارق
١٥٤	الزوجة المدخنة

● الفصل الرابع: مثايل

١٥٧	راعي الأجر: تركي آل سعود
١٦٠	العبيبة : شالح بن هذلان
١٦١	بالمودة سالنا: نمر بن عدوان
١٦٢	مائي وأنا بندر : بندر بن سرور
١٦٤	عرضة نجدية : عبدالرحمن بن صفيان
١٦٥	الشيخة : مقحم النجدي
١٦٨	طرب وهواجيس: تركي بن حميد
١٧١	يا الزير.. يا الزحار: خضير الصعيليك
١٧٣	الحبيب الجنوبي: حمد المغلوث
١٧٦	حي الى شراها لي: فراج بن ريفه
١٧٩	سراج البيت : سليمان بن شريم
١٨٢	يا كليب شب النار: دغيم الظلماوي
١٨٤	ذبحه الشيخ : عواد بن شبيب
١٨٥	البارحة يوم الخلايق : محمد بن مسلم
١٧٩	زين المعاني: مرشد البذال

١٩٢	تقاسيم الرجال وتواصيف النساء : راكان بن أميم
١٩٥	الدار: فهد بورسلي
١٩٧	يا عين : عبدالله بن سبيل
١٩٩	من حابر : عبدالله بن ربيعة
٢٠١	الله يسقي داركم : راكان بن حثلين
٢٠٣	باب المودة : محمد العرفج
٢٠٥	القلوب الهبايل : عليا الهاللية
٢٠٧	ست كلمات : بخوت المرية
٢٠٩	ظليت أخايل: عذبة الخراصية
٢١٠	الحب الأقشر: صالحة العيسانية

● الفصل الخامس: رحالة

٢١٣	رحلة ناصر خسرو إلى الجزيرة العربية
٢١٥	تقرير كنيب هاوذن عن الخليج
٢١٧	رحلة رينود إلى الأحساء والدرعية
٢٢٠	الليدي ستانهوب.. آخر ملكات تدمرا
٢٢٢	رحلة تاميزيه إلى عسير
٢٢٥	رحلة والين إلى الجوف
٢٢٧	رحلة بيرتون إلى الحجاز
٢٣٠	رحلة بيلي إلى الكويت والرياض
٢٣٢	رحلة لوشر إلى الكويت
٢٣٤	رحلة رفعت باشا للحجاز
٢٣٦	لورنس جاسوس أم بطل؟
٢٣٨	رحلة شكسبير عبر الجزيرة العربية
٢٤٠	يابانيون في الصحراء
٢٤٣	آل ديكسون.. تاريخ على سيف الكويت

الفصل السادس: عدسة الماضي (صور فوتوغرافية قديمة) .. ٢٤٥

المختلف .. والتراث

كان الإهتمام بتراث المنطقة واستخراج كنوزه وتقديمه للقارئ بصورة رصينة ومتقنة ومحقة واحداً من أهم الأهداف التي وضعتها مجلة «المختلف» نصب عينيه منذ صدور عددها الأول في ٢٥ فبراير ١٩٩٠م (١٤١٠هـ)، وقد استمرت موضوعات التراث تأخذ مكانها المميز ضمن بقية موضوعات المجلة إلى أن تم تأسيس ملف «وسم» في العدد ٤٥ (إبريل ١٩٩٥م)، وأخذ شكل الملف يتطور إلى أن تم فصله في ملحق خاص بتبويب ونوعية ورق وترقيم صفحات منفصل عن المجلة في العدد ٧٦ (نوفمبر ١٩٩٧م)، وليستمر بهذا الشكل حتى يومنا هذا إذ صدر منه حتى الآن أكثر من خمسين عدداً.

وقد تعاقب على إعداد هذا الملف منذ العدد ٤٥ نخبة من الزملاء المميزين في مجال الصحافة والبحث، وهم حسب الترتيب الزمني لتوليهم هذه المسؤولية: «إبراهيم الخالدي - فالح الهاجري - بريكان الفالح - سليمان الفليح، ثم عاد الزميل إبراهيم الخالدي ليتولى إعداد الملف مرة ثانية منذ العدد ٩٠ (يناير ١٩٩٩م) وحتى يومنا هذا.

وقد حرصنا في «المختلف» على أن يكون ملف «وسم» شخصيته المستقلة بحيث يغدو كمجلة مصغرة تقدم للقارئ نوعية خاصة من الموضوعات والنصوص التي تمنحه إطلالة مميزة على تراثنا واضعين نصب أعيننا أن تكون هذه الإطلالة مضيئة بعيدة عن التحيز أو إثارة النعرات أو الإساءة كما هدفنا لأن يشارك القارئ بقلمه ومعلوماته في الإضافة والإفادة والتعليق على ما ينشر في الملف.

وفي هذا الجزء الأول من كتاب (حديث الصحراء) قمنا باختيار مجموعة مميزة من المواد التي نشرت في ملف «وسم» عساها أن تكون رحلة مفيدة وممتعة للقارئ في تراثنا الغني، ونحن حريصون بعون الله تعالى على أن يتعاقب صدور أجزاء هذا الكتاب في المستقبل لتكون هدية متواضعة من مجلة المختلف لقرائها ودلالة حرصنا على ترسيخ هوية شعوبنا الثقافية.

ناصر السبيعي

رئيس تحرير مجلة المختلف

هذا الكتاب

بدأت علاقتي بملف «وسم» في مجلة «المختلف» منذ أن تحول باب «كلاسيك» إلى ملف خاص بالتراث الشعبي إعتباراً من العدد ٤٥ (إبريل ١٩٩٥م) ، وقد قمت بإعداد مواد بعض الأعداد التالية إلى أن استلم إعداده الزميل الشاعر فالح الهاجري ثم الزميل بريكان الفالح السبيعي ، فقاما بتطويره بشكل أكسبه شخصيته المميزة ثم كان التطور الهائل الذي تحقق بفضل أستاذنا الكبير الشاعر المبدع سليمان الفليح حين استلم المهمة فأعطى هذا الملف لأكثر من سنتين عصارة فكره وخبرته في مجالات الشعر والصحافة والتراث ، فأتعب من جاء بعده ولم يترك ليجتهد إلا شرف السير على منواله والإستلهام من روحه الجميلة زاداً لتشكيل مستقبل الملف.

وقد تشرفت في العدد ٩٠ (بعد استقرار أستاذي سليمان الفليح في الشقيقة السعودية) بأن أخلقه في مهمة إعداد ملف «وسم»... وها أنا أحاول جاهداً أن أقدمه بالشكل الذي يرضي قارئ «المختلف» حتى يومنا هذا ، وهو أمر لم يكن ليتحقق لولا مساندة وإسهام الزملاء في المجلة داخل الكويت ومراسليها في الخارج ، وقبل ذلك شريحة واسعة من القراء الذين يسهمون شهرياً في إمداد «وسم» بكل ما هو مفيد من مواد ونصوص يحملها البريد إلينا.

وتشرفت أكثر عندما طلب مني الزميل الأخ ناصر السبيعي المساعدة في إعداد ومراجعة الجزء الأول من هذا الكتاب (حديث الصحراء) ، وهو كتاب يحتوي على نخبة مما نشر في «وسم» من موضوعات ونصوص وصور ، وهو مشروع كبير تطمح له «المختلف» بأن تقدم «وسم» في أجزاء كتاب ضخمة تحفظ الجهود الكبيرة التي بذلت من قبل كتاب وباحثين وقراء على امتداد أعداد المجلة التي تجاوزت حتى الآن الـ ١٢٥ عدداً شهرياً.

والجزء الأول من (حديث الصحراء) الذي تتصفحونه الآن هو الخطوة الأولى في طريقنا الطويل - إن شاء الله - وهو يمثل أقل من خمس المادة التي نراها صالحة للنشر في هذا الكتاب ، وبالتالي فإن أجزاء الكتاب القادمة لن تقل مستوى عما هو موجود فيه ، ونتمنى أن تنال اختياراتنا إعجابكم.

وقد قسم هذا الجزء من (حديث الصحراء) إلى ستة فصول هي:

• الفصل الأول: فرسان من الماضي-

ويحتوي على سيرة ١٨ فارساً من هرسان الجزيرة العربية سواء من كانوا من الشعراء أو من غيرهم إعتراضاً بفضلهم وتخليداً لذكراهم؛ وليكونوا نبراساً تقتبس منه الأجيال القادمة مبادئ الشرف والبطولة.

• الفصل الثاني: سيرة شاعر -

ويحتوي على سيرة لحياة ١٨ شاعراً من أعلام الشعر النبطي في الماضي.

• الفصل الثالث: قصص من الماضي -

ويحتوي على ١٨ قصة من تراثنا الشعبي ، ومعظمها مصحوب بالقصائد التي تعبر عنها أصدق تعبير.

• الفصل الرابع: مثايل -

ويحتوي على ٢٥ نصاً شعرياً من تراث القصيدة النبطية مصحوبة بتقديم واف لموضوعاتها وظروفها وتعريف بشعرائها.

• الفصل الخامس: رحالة -

ويحتوي على موضوعات تعرف بـ ١٤ رحالة اجنبي جابوا أرجاء الجزيرة العربية ، وتقدم وصفاً لمشاهداتهم وأهم آرائهم مع التعليق عليها وتبيان مواطن الصواب والخطأ فيها.

• الفصل السادس: عدسة الماضي -

ويحتوي على مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية التي تقدم الماضي حياً وملموساً ، وهي صور نادرة ومعبرة بشكل تعجز الكلمات غالباً عن تقديمه.

،،، والله الموفق ،،،

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن وآله إلى يوم الدين .. آمين.

إبراهيم الخالدي

مستشار تحرير مجلة المختلف

يوم السبت ١٦ رمضان ١٤٢٢هـ - ١ ديسمبر ٢٠٠١م

الفصل الأول: **فرسان من الماضي**

(ترتيب الشخصيات حسب الحروف الهجائية)

أحمد السديري

شخصية تعد من الشخصيات المتميزة في زمانها إذ أنه كان أميراً وقائداً للجيش مثهوراً له بالكفاة والشجاعة كما كان شاعراً نبهياً خلّدت له الذاكرة النبطية عدداً من القصائد بالإضافة إلى كونه على علاقة حميمة بعدد من كبار الشعراء في تاريخنا النبطي فتبادل معهم المراسلات الشعرية الجميلة.

ذاك هو «أحمد السديري» الذي نعرف له أيضاً أنه والد «سارة» والدة الملك عبدالعزيز آل سعود «يرحمه الله» مؤسس المملكة العربية السعودية.

وآل السديري قسم من البدارين من آل زايد من قبيلة الدواسر المعروفة، واستقرار السديري ومقر زعامتهم كما هو معروف في «الفاط» من بلدان نجد المعروفة.

يبدأ ذكر الأمير أحمد بن محمد السديري في كتاب «عنوان المجد» لابن بشر سنة ١٢٢٩هـ (١٨٢٤م) عندما يقد باعتباره رئيساً لبلدة الفاط فيبيع الإمام تركي بن عبدالله آل سعود، وذلك قبل فتح الرياض وتأسيس الدولة السعودية الثانية.

وقد صار أحمد لسديري من القادة الذين يعتمد عليهم أئمة آل سعود، فعين سنة ١٢٥٣هـ أميراً في سدير ثم أميراً على الأحساء سنة ١٢٥٤هـ وتم يطل به المقام في هذا المنصب حتى أعاد الإمام فيصل تعيينه على الأحساء سنة ١٢٦٠هـ، وفي فترة لاحقة ولاه على عمان كما اختص أولاده بعدد من الولايات.

أما من جهة الشعر فإن أشهر قصائد أحمد السديري «هاللية» على قافية الياء أولها:

بداجي دجا الديجور هلّت مدامعي
على وجنتي والجفن للثوم حاربه
من الوجد مرتاب إلى الوجد مغرم
بالصبر اعزّي النفس والنفس شاعبه
ومن التفتي بالأطلال فيها قوله:
دار تسلمى في مفااتي ربوعها
ليالي بهاء هدر لي مطالبه

محاسنها صرروا الدهر الأيام وانمحت
رسوم ويلعي يومها في خرايبه
وله قصائد أخرى قليلة منها تلك التي أسندها علي الشاعر محمد العبدالله
القاضي في الشكوى من الحب أولها:
يا لله يا مرخي على الناس الاقوات
يا من لعقد العسر باليسر خلّيت
يا غافر الزلات لي هيك حاجيات
من الحيل والقوة وغيرك تبرّيت
وقد رد عليها القاضي بقصيدة على نفس الطاروق.

وقد توفي أحمد بن محمد السديري سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م)، وذكر الحاتم أنه
من المعمرين، وأعقب ستة أولاد هم: محمد، وتركى، وعبدالمحسن، وعبدالعزير،
وسعد، وعبد الرحمن، وله بنات أشهرهن «سارة» والدة الملك عبدالعزيز آل سعود.

وللشاعر فواز السهلي قصيدة في رثائه منها:
أبكي شيخاً ولد شيخاً
ما جانا إلا رداً خبيره
تبيكبه الهجن التي حفرين
وتبيكبه صبحونه وسفرد
تبيكبه دلال نوجتـهن
نوجـة روض طال زهره

وقد أثنى الكثير من المؤرخين على أحمد السديري وعددوا محاسنه. فقد وصفه
ابن بشر في تاريخه وقال: «له معرفة ورأي وعقل وشجاعة وبراعة وسخاء وبذل
ولين وسماحة مع الناس وشدة وقوة على الأنجاس».

وهي موقع آخر قال واصفاً اعتماد الإمام فيصل بن تركي على أحمد السديري
وابنائهم: «كان أحمد وبنوه من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة وألينهم طبيعة،
ولهم في الولايات خلون رفيعة وسعة، فلذلك استعمل الإمام أحمد أميراً في عمان،
وابنه تركي أميراً في الأحساء وتواحيه، وابنه محمد أميراً في سدير وبلدانه،
وعبدالمحسن ابنه أيضاً أميراً في بلدهم الفاط، فلو نظرت إلى أصغرهم لقلت هذا
بالأدب قد أحاط، وإن نظرت إلى الأكبر لرأيت فوق ما يذكر. لم يكن في عصرهم

مثلهم للطبيع الصاحب ، ولا أشد متهم على العدو المحارب».

أما المؤرخ إبراهيم بن عيسى فيقول عنه: «كان عاقلاً حليماً عادلاً شهماً حازماً حسن التدبير».

وأقوال الشعراء كثيرة فيه فقد كان أحمد السديري مقصد الشعراء في زمنه ، وتعل ما وصلنا في مدحه رغم كثرة غيظه من فيض ضاع مع الأيام ، ومن مدحه الشاعر محمد بن عثمان حيث يقول:

جاني ثمار الحمد من كل الأنواع
مع كل مدح قراح الشبابيع
عدّ منازل منهله ملح ونطاع
أحمد حمى الوندات زين المهازيع
باني حجاب المجد من عقب ما ضاع
بالجود واتها بالينا له صواميع

ولابن عثمان أيضاً قصيدة أخرى في السديري على البحر الهلالي منها قوله:

صليب العزّا عز المصافي وللصدا
صديم ومبدا ما خفا من كنونها
ومن يامن الجاني بعالي جنبه
ويرعاه في رجعاء مخضب دمونها
حميد الفعال أحمد سلالة محمد
رفيع المناسب والحسب من عرونها

وقال فيه الشاعر محمد بن لعبون:

ملتجئين في ذرا ستر العفاف
أحمد لا زال مزيان المخيف
مير تدعيك ناره بالكشاف
مرخص الكوما إلى قل الرغيف
باجتوال وانحوال وانصراف
كالسحاب الجود ما مدّه قصيف
يا ثقيل الروز بأيام الخفاف
فيك ثقل الروز والطبيع الخفيف

وقال أيضاً الشاعر سليم بن عبدالحى شاعر الأحساء في أيامه:

ملفك منجوب له الجسد عري
 زين الحشايا منوتي «بو شهابي»
 نجل السديري عنك منو الخطري
 تكفى إلى من جيت عيد الركاوي
 ريف الدهور اليا جثا كل خري
 وامحل زعيم التبت عقب الخصاي
 هيف المسمين ومشبع كل ثري
 إلى لقود مكملين الزهابي

وفي الشعر الفصيح مدحه شاعر الأحساء (بن مشرف وعبد الجليل الطبطبائي ،
 ومن أراد التفصيل في ذلك فليراجع بحثاً مهماً للأستاذ أبي عبد الرحمن الطاهري
 نشره في العدد الأول من مجلته «الدرعية» عن سيرة الأمير أحمد السديري. (٨)

(٨) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢١) من مجلة المختلط.

أورنس الشعلان

«طراد بن سطلام بن حمد الشعلان» واحد من الأبطال العرب الذين ساهموا في تحرير وطنهم من الأتراك، ولأن البدو من عادتهم أن يسموا أولادهم حسب الأمكنة التي يولدون بها أو بأسماء الأوقات أو الوحوش أو الفرسان الذين سبقوهم فقد سمي طراد ابنه الذي ولد وهو برفقة ثورنس الإنجليزي (لورانس) إلا أن البدو كانوا يلفظونه «ورنس» أو «أورنس». وقيل أن أورنس المولود سنة ١٣٢١هـ (١٩١٢م) سمي في بداية الأمر «حمد» ثم غيّر إلى «أورنس» بعد لقاء أبيه بالضابط الإنكليزي.

شب أورنس أو لورنس الشعلان أميراً بنوياً مغامراً قوي الجنان يضرب به المثل بالشجاعة والأقدام. وقد لعب دوراً بارزاً في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م حيث كان على رأس مجموعة من قبيلته (الروثة) وقد حوصرت هذه المجموعة من قبل الأسرائيليين في ٢٧ مايو ١٩٤٨م بعد أن اصطدم معهم في معركة شرسة وذلك لقطع الطريق بين القدس ورام الله، وكادت أن تفضي مجموعته لكنه استطاع الوصول إلى أحد المصفحات العسكرية التابعة للجيش العربي، فعرفه شخص يقال له (قائد) وأوصله من باب العمود إلى الشيخ جراح حيث كانت المجموعة الأخرى من رجاله، وأعاد ثورنس شن غاراته فدمر المجموعة الاسرائيلية.

وقد عرف عن أورنس عطفه على الفقراء وتوزيعه المال عليهم كما أقام سنة ١٩٧٠م مبدأ في الصحراء ليشرّب منه أعراب البادية، وساعده على ذلك شراؤه إذ أنه كان يقيم في البادية في بيت (مسويج)، وله منازل أخرى في العواصم العربية، ويمتلك أكثر من ١٦ ألف رأس من الغنم وأكثر من ٤٠٠ ناقة.

ورغم ذلك فإن شخصيته كانت تتسم بالتواضع وعدم الاستعلاء كما كان نبيلاً يهب لمساعدة المضطهدين والمعتسرين ومن تقف الظروف بوجههم. وكان حديث عصره وزمنه ومضرب المثل في الشجاعة الفائقة والشخصية المتزودة الفذة.

ومما قال الشعراء في مدح أورنس إبان حياته ما قاله كليب بن صالح :

لو ما الله المهدي على الناس مهديك

سويت شي بالخاليق ما صار

عمرك تلوز قلمته مير بائيك

واحتار بك ما بين صبره والأفكار

يا أوتيس شيخان القبايل تداريك

من خوف سيفك يقطع الرأس بشار

توفي أوتيس بن طراد الشعلان رحمه الله في عام ١٩٧٦ على أثر جلطة ونزيف حاد في الدماغ. ودفن في صحرائه التي اشعلها بالمفامرات والمأثر والبطولات والشجاعة التي قلما تتكرر في هذا العصر. وكان له من الولد: «هيفل توفي صغيراً، وممدوح الأول توفي في حادث، وعبدالله، وممدوح الثاني، وسامي، وحمود». وقد رثاه صديقه الأمير الشاعر محمد السديري بقصيدة رائعة منها:

يسـفـفـك يـادام شـمـسـي عـنـازة

غريبي الولج يا علي شروق الطريبيل

عز الله انه راح هـيـها جـنـازة

صميدع توصف عليه الرجاجيل

له في عازات ولي قـيـه عـازة

بوقت اللزوم اذا حصل بالدهر ميل

من شـيـتـه يـامـا قـطـع من مـفـازة

وياماً ظهـر من غـرقـة كـنـها الـليل

رقـا سـلام المـجـيد والـطـيب حـازة

وبيته لعصمان الشوارب مـداهـيل

قلبه من البـالـود ما هو قـزـازة

والغـيـض قـد فـجـر قـلوب مـغـاـتـيل

وان داخل الشـرـدان رعب ونـزـازة

الذل ما يلقي عليه المـدـاخـيل

هـزيم، حـطـوا حـفـرتـه بـالعـزـازة

براس الطويلة وارفع القـبـر بالحـيل

ومن الذهب حطوا القـبـر بـركـازة

ومن صافي اليافـسـوت حـطـوا فـنـادـيل

حتى يجـيـه الـي بـعـيد مـنـازة

ويلقي بقرية شـمـخ القـود والحـيل (٥)

(٥) نشر هذا الموضوع في العدد (٧٩) من مجلة المختلف.

بادي بن دبيان

من شعراء الجيل الأخير من شعراء النبط التاريخيين يقف «بادي بن دبيان السبيعي» بين مصنف الشعراء الذين قدموا لنا نماذج في مزج الشعر بالفروسية حيث تكون الكلمة مطابقة لفعل قائلها.

شاعرنا هو الفارس «بادي بن دبيان بن فالح» من عجمان الرخم من بني عامر من قبيلة سبيع. ولد سنة ١٢١٢هـ (١٨٩٥م) المسماة بـ «سنة حنّ» ، وقضى شبابه مرافقاً للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (طيب الله ثراه) حتى استتب الأمن بتوحيد المملكة. فاختار «بادي» مرافقة سمو الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله) وبقي في مرافقته له حتى انتقل الأمير عبدالله إلى جوار ربه، فاستقر «بادي» في هجرة «الضيعة» إحدى ضواحي مدينة الخرج وعاش فيها بقية حياته حتى توفي - رحمه الله - يوم الجمعة الخامس من جمادي الأولى سنة ١٤٠٨هـ (أواخر ديسمبر ١٩٨٧م).

عُرف عن بادي بن دبيان أنه كان من أتقى الرجال وأشدّهم تمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ منذ صغره حتى وفاته. وهذه الصفة وحدها تكفيه فخراً عن بقية الصفات التي لم يترك منها - رحمه الله - حميداً إلاّ اتصف به، وعُرف عنه التواضع وقلة الحديث عن نفسه ولا يحب أن يشكره أحد على فعل الطيب فهو لا يراه إلا واجباً ، ومما عرف عن بادي بن دبيان أيضاً ولاؤه وإخلاصه لوطنه وتغانيه في تنفيذ أوامر ولادة الأمر بدقة وأمانة.

وكان لا بد لرجل له تلك الأخلاق والصفات من فروسية مميزة ، وهذا ما كان يتمتع به الفارس بادي بن دبيان بالفعل ، ولكن لم تقف فروسيته على الشجاعة والاستبسال في ميادين القتال فحسب بل تعدّت ذلك إلى تميزه بإجادة أعمال (السبارة) ومعناها: «القدرة على استطلاع مواقع قوة العدو ، ومعرفة إمكاناته الحربية التي تمكن معرفتها من السيطرة عليه» ، وهي مهمة صعبة لا يكتسبها الفارس إلا إذا توفرت فيه موهبة الفراسة بالقطرة ، وقد وجد الملك عبدالعزيز الكفاءة العالية في «سبارته» فأسند إليه مثل هذه المهمات.

وبعد وفاة الملك عبدالعزيز سنة ١٩٥٣م سار أبناؤه على نهجه في تكريم وتقدير الرجال الذين أسهموا في توحيد الجزيرة العربية ومنهم الفارس «بادي بن دبيان».

فحفظوا له ما كان يحظى به من مقام رفيع عند الملك عبدالعزيز واستمروا على ذلك حتى وفاة يادي رحمه الله .

أما إذا جئنا إلى شعر يادي بن دبيان فسنجد مرآة تعكس حياته كما في قوله:

عندي ركوب ملاسخت المشاعيب
أحبّ عندي من ظلال القـــوري
يا طول ما رحنا على الفطر الشيب
لي قابل النسوان كل أمـــوري
قد أمهم شرفت روس المراقيب
أنا ومثلي للنشأـــا ســـوري

كما أن صورة الفارس ظاهرة بجلاء في هذه الأبيات التي قالها يادي:

يا طول ما رحنا على اكوار حيلي
مع المضاحي في ديار الأجائب
يا ما حلا المروح عقب المقيلي
متلطمين وسوقنا بالعراقيب
واليسا ركبنا رافعات الشيلي
قـــحص الهـــار مـــوديات تواديب
كم واحد عتناه ماله مـــثيلي
خلي عـــما لي طاح للطير والعذيب
يوم الرخوم يشرفون النشيلي
بين البيوت وعند بيض الرعائب

وعندما تقدم السن بشاعرنَا أصبحت قصائده تعكس تجربته الطويلة في الحياة، فكان بوجه الجيل الحاضر إلى التقوى وطاعة الله والتحلي بالصفات الحميدة التي تحلى بها جيله الأول كما في قوله:

تكفون لا تمشون ممشى المهابيل
وصية لي حضر والغياي
خلوا ممشاكم ممشي رجـــــــــــــــــــــــــــــــــاجيل
عضوا على شيمـــــــــــــــــــــــــــــــــاتكم بالنيابي
سوا سوات أبوانكم يا مـــــــــــــــــــــــــــــــــهـــــــــــــــــــــــــاشيل
بالطيب والشيمـــــــــــــــــــــــــــــــــة وسهل الجنابي

والدين رأس المال ما فيه تشكيل
ينفعلك عقب الموت عند الحسابي
وفي آخر سنوات عمره أحس الشاعر بألم في رجله وتوقع أن سببه كبر السن،
فقال متاجياً رجله ومفاخراً بمشيها مع «بيرق» الملك عبدالعزيز:
يا رجلي اللي صار فيها رمية
مدري مرضي والأ من الكبر جاني
ما هيب تعشي في الدروب الرديّة
ولا شكوا منها جميع الأدائي
يا مامشت بي في دروب خطيئة
لى قابل النسيوان خطو الهدائي
مرّ مع الجميلة، ومرّ سرّيه
ومرّ مع البيرق وخيل الخواني (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٨) من مجلة المختلف.

جهاز بن شرار

عندما تجتمع الفروسية والزعامة والشعر في شخص فأية سيرة جميلة سنقرأ،
وأية أخبار سنسمع سوى أحاديث البطونة والشجاعة، وهذا بالضبط ما نلتقاء ونحن
نقتش في سيرة «جهاز بن شرار» الفارس والزعيم والشاعر.

هو «جهاز بن قازع بن شرار» شيخ ميمون من بني عبدالله من قبيلة مطير،
ويرجع هذا البطل إلى بني عبدالله بن غطفان تلك القبيلة التي ظهر منها بعض
الصحابية ومشاهير الشخصيات في الجاهلية وصدر الإسلام.

عاش جهاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن
العشرين حيث أنه توفي في الأثلة عن عمر مديد سنة ١٢٥٩هـ (١٩٤٠م)، ورسمت
قصائده ومناسباتها الملامح الرئيسية لما نعرفه عن سيرته.

في صباه تحدث إحدى المارك ولا يجد جهاز فرساً يركبها سوى إحدى أفراس
أبيه التي أعطاها لشخص يدعى «كديميس»، وبغضب جهاز لقوات القرمصة عليه في
القتال والذود عن قبيلته فيكتب قصيدة طالباً من فرسان القبيلة المعادية أن يقتلوا
كديميس، وبالفعل يقومون بذلك إكراماً لخاطره ويرسلون الفرس إلى جهاز هيا لها
من أخلاق وكرم ونبل من الطرفين قل نظيره، ومن تلك القصيدة:

عسى قصيدة قوم «قازع» كديميس

يضرب برمح بين الأضلاع هاوي

أما أنت يا مثال والا أنت يا نعيس

تلقيتموا له عندكم بالحرراوي

حيث أنكم فرس وعيال فرس

أهل مهار الخيل ما أنتم شواوي

ويكرر جهاز وهما له، ويصبح عقيداً للغزوات ويستمر الشعر يرافقه ونسمع قوله:

إيها تعلينا على اكوار حزاب

هجن يهوجن الديار الخلوة

لي جسا لهن مع أيمن التير مضراب

وما حذرت شرممة إلى الشبرمية

كم ذود مصالاح نحررك له اسباب
 وحنأ إلى شأنا الله تشئت ثوبه
 إن جيت أعدا أكوأنا عد وحساب
 كواين بفعلول ما هي خضية
 ومن حداء الخيل نقرأ لجهز بن شرار:
 يا صبايح جانا قبال الليل
 صدايله شمول حراب
 شلنا على عوض النضبا والخيل
 كله رجبا اللي طاليه ما خاب
 لعيون من دق الثمر والهيل
 واللي حضر منا كفى الغياب
 وله أيضاً هذه الحداة:

ملح عليهن الموسوم
 «البناب، فوق ارقابها
 يوم الحارايب والزحوم
 أنا احمد اللي جابها

وكان جهز بن شرار في شعره كثيراً ما يصف الوقائع والغزوات التي يقوم بها،
 ولكنه عفيف اللسان لا يشتم ولا يذم بل يعطي خصومه ما يستحقون من المدح
 فهاهو يقول عن أعدائه الذين حاربهم:

شيوخ الضحى صباية الشاذلية
 أيضاً إلى جت للشمائل مديحين
 ما اذمهم والله رقيب عليه
 معيني الله والقبايل معيين

ومن القصص التي تروى عن جهز بن شرار أنه ذهب مرة للسوق في إحدى المدن
 لشراء القهوة فوجد المحلات قد أغلقت لراحة الظهر، وتجول قليلاً ناله بعد مجلساً
 مفتوحاً يرتاح فيه إلى أن يحل العصر وتفتح المحلات مرة أخرى فلم يجد باباً
 مفتوحاً، وهنا تذكر حي أحوالي بالمدينة المنورة حيث منازل أصدقائه من قبيلة حرب
 والذين تعودوا فتح أبوابهم للضيوف حتى لا يحتاج أحد لمجرد طرق الباب قبل
 الدخول، وأمام هذه المقارنة قال جهز:

دار بها سرّ الضاجيل غائي
 مائي شيوخ يوم أنا في وطنها
 يا ليتني سبّرت صوب «العوالي»
 التي ترخّب بالمسايير أهلها
 شرّاية للكيف لو كان غائي
 ولا صكّوا اليسبان عمّن دهلها

وفي أواخر عمره اتجه جهز بن شرار في شعره نحو الزهد وطلب المغفرة من رب العالمين، وتلمس في شعره بهذه المرحلة كم كان هذا الفارس المغوار يحمل من الإيمان العميق في قلبه، ونقرأ له قصيدة يوجهها لابنه «صنيتان»:

دنياً فخرجها من كرهها قريب
 هني من لا اضيقاه همّه عن الغيب
 طرايف الدنيا تحضر وتغيب
 ذو صاعقت بواقفة للأصاحيب
 صنيتان يا ابني كان لك بان عيبي
 استر عليّ أن كان قسني عذاريبي
 يا ما جرا لي في شبابي وشيبي
 من قطعة الخرقة على شمع النيب
 وقحص المهار مشعثرات السبيبي
 جراير يشبع بها الطير والذيب

وله في الشكوى من الشيب:

أقفت يا بوفيجان وأقضي بها الشيب
 الشيب جاني دوب مائي باوده
 الشيب اقوفه سرّتي عذاريبي
 يبدّد عداؤه الي جانا يعدد
 الشيب يردي المرحلة لو لقي طيب
 يلزم صحيان به لين عنها يرده (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٩) من مجلة المختلّف.

حجرف الذويبي

شخصية جمعت بين الشعر والشيخة والكرم، فكان نتاج هذه القيم النبيلة الثلاثة علم من أعلام الشعر النبطي هو «حجرف الذويبي».

عاش حجرف بن عبيد الذويبي من شيوخ بني عمرو من قبيلة حرب في القرن الثالث عشر الهجري فقد ذكر ابن بشر وأئده في أحداث سنة ١٢٢٩هـ ، ويرجع الباحث فايز البدراني وفاته سنة ١٢٨٠هـ ، والمعتقد أنه توفي بعد هذا التاريخ بحوالي عشر سنوات كما سيتضح لاحقاً.

وآل الذويبي أسرة معروفة ظهر منها الكثير من الفرسان المعروفين في حوادث تاريخ المنطقة أما حجرف الذويبي فقد انقرض عقبه بوفاة حفيده دارع بن هبيد بن حجرف سنة ١٢٢٠هـ ، وهذا ما ذكره الباحث فايز البدراني إلا أن قارئاً راسل مجلة المختلف ذكر أنه «نايف بن ههد بن ناصر بن حجرف الذويبي» ناهياً أن ذرية حجرف قد انقضت وأفاد أن ذرية حجرف الذويبي تتركز في أولاده الثلاثة وهم:

١- كهف ، وقد هاجر إلى العراق وله ذرية من أولاد وأحفاد استقروا هناك حتى يومنا هذا ، وقد كان شقيق القارئ على اتصال ببقيتهم حتى وفاة ذلك الشقيق قبل عشرين عاماً.

٢- دارع: وقد توفي عام ١٢٢٠هـ وانقطع عقبه بوفاة.

٣- ناصر: وله ولدين والكثير من الأحفاد حالياً، وابني ناصر هما «نايف وفهد» يرحمهما الله جميعاً والأخير هو والد القارئ نايف الذي راسلنا بهذه المعلومات.

وقد بحث إلينا الباحث فايز البدراني في مجلة المختلف بعد ذلك بشهادة من كبار الذوية تؤكد انقراض عقب حجرف حيث أن القارئ المذكور هو من ذرية «كهف بن عباد» شقيق حجرف.

ومن الغريب أن حجرف الذويبي هذا الشاعر الذي يعرفه جميع عشاق الأدب الشعبي حتى أن طلال السعيد في موسوعته النبطية اعتبره من الأعلام المبدوعين في تاريخ الشعر النبطي لا تعرف له سوى قصيدة واحدة هي سبب شهرته كشاعر وهي نرائه الوحيد المتبقي بين أيدينا، ولكن القارئ نايف الذي ذكرناه آنفاً أشار إلى

أنه بصدد إنجاز كتاب يتناول سيرة جده حجرف الذويبي سيتضمن الكثير من القصائد المعروفة له، وكذلك قصائد أخرى ربما لم تصل للناس بشكلها الصحيح.

أما القصيدة الوحيدة التي بحوزتنا حالياً والتي أسطرها الرواة الشعبيون وزادوا عليها من التفاصيل ما جعلها مثيرة درامياً، ولكن ملخصها أن أحداً ما لام حجرف على كرمه الزائد فقال:

يقول ابن عيَّاد وان بات ساهر
ماتي ولد خيل همومه تشايله
ماني بمكين ليا قل مرزقه
ضيق يريمه يوم قلت محاييله
انا ليا ضاقت عليه توسعت
يفرج لي اللي ما تعدد فضاييله
برزقني رزاق الحيايا بجحرها
لا طالعت برق ولا هي مخاييله
ما حدرت زعل نصى صوب قرية
ولا وزدت عدد قراح تماييله
ترى رزق غيري يا ملا ما يتولني
ورزقي يجي لو كل حي يحاييله
جميع ما حشنا ندور به الننا
ومما راح منا عاضنا الله يداييله
نوب نحوش الخود من ديرة العدا
وتعسوس اللي ذاهبات عدايله
خر بالايدي ما دقنا به الثمن
ثمناها الدما بمطارد الخيل ماييله
مع لاية فرسان نطاحة العدا
كم طامع جانا واخذنا زمايله

وحسب ما يرويه منديل الفهيد أن حجرفاً اشتهر بذيح الغنم والإبل للضيوف، وكان يعدم كل ما عنده لكن جماعته كانوا يجمعون له بعد ذلك ما يمكنه من الضياف بواجبات الكرم، وفي إحدى السنوات قرر أقربائه قطع هذه العادة تشبه عن الإسراف في نحر الإبل، ولأتمته زوجته على ذلك أيضاً فخرج يمشي في الشلاق.

وهناك رأى ثعباناً أعمى خرج من وسط شجرة مطهراً رأسه فتخطف فجاء طير فظن الثعبان غصناً وحط عليه فأكله الثعبان ، وفي المساء حدث نفس الموقف فقال الذويبي: «اللي يرزق هالذباب الأعمى ما هو مظليني» وأنشد القصيدة السابقة.

وقد ورد اسم حجر ف الذويبي هي وثيقة نشر البدراني مفادها تعود إلى سنة ٢٤٦هـ ومضمونها تكليف الشيخ عامر بن ربيع بمشيخة العطور من حرب ، وقد كان الذويبي من شهود الاتفاق كما ورد اسم حجر ف الذويبي ضمن شهود اتفاق بين بني عمرو سنة ٢٨٨هـ ، وبهذا يكون شاعرنا حجر ف الذويبي قد توفي بعد هذا التاريخ. (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٧) من مجلة المختلّف.

راكان بن حثلين

إذا كانت سجون الروم في تركيا شهدت أميراً وشاعراً عربياً هو «أبو فراس الحمداني» فإن سجونها عايشت في العصور المتأخرة أميراً وشاعراً آخر لا يقل عن الحمداني شهرة وأفعالاً هو «راكان بن حثلين». ومثلما وقف أبو فراس الحمداني على كوة السجن منشداً:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة

أيا جـارتا لو تعلمين بحـالي

أيا جـارتا ما أنصف الدهر بيثنا

تعالني أقاسمك الهـوم تعالي

وقف رakan على كوة مشابهة ويقول:

لا واهني يا طير من هو معك حمام

أبيك تنقل لي حماميض علومي

هو: «راكان بن قلاخ بن مانع بن سالم بن العبد آل حثلين الميعضي العجمي اليامي»، ومن غير المعروف على وجه التحديد السنة التي ولد فيها، ولكنها ترجع بسنة ١٢٢٠هـ (١٨١٥م)، وتزعم قبيلته بعد تنازل عمه حزام له سنة ١٢٦٢هـ.

ومما يحكي عن رakan قبل حوادث أسره التركي غزوته بالتحالف مع المنتفق سنة ١٢٧٧هـ على الزبير وأطراف العراق، ولعلها سببت نقمة الأتراك عليه ثم معركة الطبيعة المشهورة قرب المطلاع في الكويت سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦١م). والتي اضطر بعدها للذهاب إلى البحرين في ضيافة شيوخها آل خليفة، وهي ما يحلو لبعض الكتاب بتسميتها «النفى الأول» في حياة رakan.

أما الحادثة الأهم في حياة رakan بن حثلين وأعني منشاء التركي فقد حدثت عندما استغل والي بغداد مدحت باشا فرصة تفكك الدولة السعودية الثانية لتعود جيوش الأتراك لاحتلال الأحساء سنة ١٢٨٨هـ، وحالما تستقر الأوضاع يلجأ المحتل لتصفية المعارضين فيكون «راكان» ضحية للفدر، ويتم أسر «راكان» حيلة وينقل إلى سجون «نيش» في صربيا التابعة لتركيا حيث يقضي هناك سبعة أعوام من عمره.

أسر رakan حدث غير بعيد عن الأحساء أما طريقته فمختلفة بين ما تذكره الروايات الشعبية وما تؤكد الوثائق التركية. ولكن الرواية الشعبية تذكر أنه أسر

غدرأ هو ورفيق له يدعى «دهام» خارج بلدة الأحساء بعدما عرفوه، واختطف إلى الجبيل حيث أركب في سفينة (إلى بغداد، ويذكر أن دهاماً أدى الأتراك في السفينة ضائقوه في البحر، وكان راكان قد طلب منه قبل ذلك تركه والعودة إلى بلاده لأن الأتراك لا يريدون أسرهم قلم يقبل.

وعن الرحلة في السفينة والطعام فيها يقول راكان:

عقب الحمزة صار كنا دراويش

الكل منا خـبـبـزته في يمينه

لا عـاد لا قـهوة ولا عـاد به عيش

ولا عـاد به فطحلة خروفي سـمينة

وله أيضاً مخاطباً حارسه الضابط التركي «حمزة»:

«حمزة، مشينا من ديار البحرين

الله يـرجـعنا عليهم سلومي

مشوا بنا العسكر لدار السلاطين

في مـسـركـب جـزواه ترك ورومي

عشرين ليل يمة الغرب مقفين

ما حن نشوف إلا السما والنجوم

من الخدامة واحتيال الملاعين

هيتهات لو آتي صرقت العلومي

ورغم الأسر ومشاعر الفين تستثار نخوة الفارس المسلم، وهو يرى جيش الأتراك المسلم يغوص حرباً ضد صرب اليوغسلاف فيتطوع «راكان» هي تلك الحرب، ويولي فيها بلاء أهل الأتراك لما وجدوه يبارز عملاقاً من الصرب ويصرعه، وجرح راكان في تلك الحرب مما أدى إلى أن يرفع المصدر الأعظم كتاباً يشرح فيه بطولات راكان الذي صار الإفراج عنه وإعادته إلى وطنه معززاً مكرماً أبسط جزاء على ما قدم.

وجاء في تلك العريضة المؤرخة في ١٤ جمادي الأول ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧م) ما نصه: «إن شيخ قبيلة العجمان محمد راكان المستقرة هي داخل نجد قد نفي قبل سبع سنوات إلى فيش بسبب جنحة مقترفة، وبحكم المجاورة لموقع الحرب التي دارت مع الصرب فإنه اندفع وخاض غمارها وأبرز شجاعة مشهودة وبسالة مفتخرة. وتقدم بعرض حاله المرفق ملتصقاً العفر وإطلاق سراحه، وحيث أنه متقدم هي المن ترقى أنه جدير بالرحمة ولا بأس من تخليه سبيله».

وعندما يخير بين أنواع المكافآت والإقطاعات في بلاد الترك لا يجد في نفسه أفضل من العودة إلى «الدهناء والصمان» يتنفس هواهما ويشرب من شميم عرارهما، ويرجع إلى وطنه منشداً:

يا قاطري خبي طوارف طمّيه
إلى زوى لك لون خشم الحصاني
خبي خبيب الذيب في جرهدية
لى طالع الزيلان والليل داني
تذكر المشحون ديران حربه
منوا حبال اكوارهن بالثاني
نفي نفور طفلة عسوجية
ريحة نسيمها كالزياه الميماني

وصل راكان ورقيقه إلى جدة في رمضان سنة ١٢٩٤ هـ حيث قاما بزيارة مكة والمدينة ثم توجهها إلى حائل لشكر أميرها محمد الرشيد على ما قام به من وساطة حيث استقبله محمد بكل حفاوة ، وانصرف من عنده محملاً بأنهدايا .

وفي سنواته الأخيرة التقى راكان في مجلس الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين بصبي يافع من أسرة آل سعود ، وكان راكان قد وصل المجلس متأخراً ولم يجد مكاناً لائقاً به ، فما كان من هذا الصبي إلا أن ناداه وأفسح له مكاناً بجانبه ، فقال عيسى آل خليفة للصبي : «جزاك الله خير ، وطرح فيك البركة ، والله لا يخلينا من حمولتكم التي تحافظ على سمعة العرب وشرفهم» ، وكذلك قال راكان للصبي : «الله لا يخلينا من آل سعود»...

ولم يكن ذلك الصبي إلا الملك عبدالعزيز آل سعود .

■ الوفاة والذرية:

توفي راكان في شوال ١٢٦١ هـ (١٨٩٧م) ويستدل على هذا التاريخ من كون آخر راتب دفعه الأتراك لراكان كان في بداية ذلك الشهر ، وفي آخره طلب تحويل راتبه إلى ولده فلاح ، ويقدر ذلك الراتب بـ ٤٠٠ قرش ، ولكن فلاح لم يعمر طويلاً فتوفي في شوال ١٢٦٨ هـ (فبراير ١٩٠٦م) ، وله ذرية معروفة إلى يومنا هذا - (٥)

(٥) نشر هذا الموضوع في العدد (٤٣) من مجلة المختلص.

سعدون العواجي

أن يفقد أب ولديه دفعة واحدة أمر من الصعب تحمله، ولكن هذا ما حدث مع سعدون العواجي شيخ «ولد سليمان»، وهو فخذ من قبيلة عنزة الوائلية العربية.

عاش «سعدون بن سليمان بن سعيد بن شعيل بن نومس بن دليم العواجي» قبل أكثر من قرنين، وكان شاعراً وفارساً وأميراً، وقد اشتهر بين الناس بمواقفه البطولية وقصائده التي لا تمل ترجم بها مواقفه. فأضحت سجلاً يؤرخ حياته إذ لم تكن قصائده من تسج الخيال بل كانت من منبج الواقع تؤرخ وتسجل الحوادث التي يمر بها الشاعر لتحفظها الأيام.

وقد قدم الأمير محمد السديري قصة الشيخ سعدون العواجي بشكل واف في كتابه «أبطال من الصحراء»، وهو بذلك يعد المصدر الأساس للكتابة عن حياته.

وقد بقي سعدون العواجي أميراً لجماعته مدة طويلة.. ثم برز من أبناء عمومته رجل يدعى «شامخ» (لعله عم سعدون شامخ بن سعيد) نافذه على زعامة القبيلة حتى أنتزعها منه، ولم يكتف بذلك بل بالغ بإهانة سعدون العواجي، ولما كان للعواجي ولدان هما «عقاب وحجاب» عند أخوالهما فإنه بعث إليهما قصيدة يطلب نجدة لهما، فعادا ونصرا أباهما وأعادا الأمور إلى نصابها، والقصيدة مشهورة يقول سعدون من ضمنها:

إسلم وسلم لي على عقاب وحجاب

سلم على مضنون عيني ليا الفيت

بالحال خص عقاب فكاك الأنشاب

ينجيك كان اك من الحق عديت

قله ترى «شامخ» شمع عقاب ما شاب

يا عقاب والله ذلوني وذليت

يا عقاب حظ بشومة القلب مخلاب

من العام من نوم العرب ما تهتيت

وعاد سعدون إلى مشيخته فخاض مع أبنائه المعارك التي تكلفت غالبيتها بالنصر حتى ازدات نفوذه وتوسعت حدود مشيخته إلى أن جاءت إحدى المعارك التي أسفرت عن المصيبة فقتل عقاب وحجاب وهما في مكان صار يسمى الآن «أبرق الشيوخ»

نسبة إليهما وما زال قيريهما واضحين حتى الآن، وقال الأب المفلجوع سعدون العواجي فيهما الكثير من المراثيات ومنها قوله:

يا وَفّة وَفِيـــــتـــــها تسع وثلاث
مع تسع مع تسعين مع عـــــشر الوقي
على ســـــيوفـــــي بالملأهى مـــــهمات
ســـــيفـــــين أغلى ما عدا من ســـــيوفـــــي

ومن قصائد سعدون أبيات قالها بعد ثماني سنوات من مقتل ولديه، وهي في حفيده ولد «عقاب» الذي بدأ حينها يسعى للأخذ بشأر أبيه الذي خلفه طفلاً صغيراً:

فـــــات ثـــــمان ســـــنين والشـــــار غـــــداي
مواكرك يا عقاب عـــــقـــــبانها صـــــغار
عـــــضـــــود فرخك ما تجيد الهدادي
سنة صـــــفـــــير ولا تمكّن من الشـــــار
والـــــيـــــوم يـــــروي مـــــرـــــهـــــقات الـــــهـــــتـــــادي
والخـــــبـــــيل من فـــــعله هـــــزائم وعـــــيـــــار
إلى عـــــشا بمشـــــمـــــرات الجـــــوادي
يا عقاب مثلك لا حـــــمر الـــــدم فـــــشار (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٤) من مجلة المختلف.

شالح بن هذلان

واحد من مشاهير الشعراء في تاريخنا النبطي ، وتدور حكايته حول مأساة «الفقد» التي لازمته مرتين وهي أعز من يحب.

ذلك هو الفارس «شالح بن خطاب بن هذلان» من الخناصرة وهم فخذ من قبيلة آل محمد القحطانية. عاش الى سنة ٢٤٠هـ تقريباً، وكان مثالياً بشجاعته وأمانته وصدقه وحسن أخلاقه وكرمه ووفائه.. وكان يحكم لحل المشاكل سواء كانت على مستوى قبلي، أو فردي.. وكان محبوباً عند قبائل قحطان والقبائل الأخرى.

كان لشالح أخ أصغر يسمى «الفديع» مثالياً بشجاعته وأخلاقه، ويمثل أخاه «شالحاً» في كل شيء فكان مغامراً بفرسيته الى أبعد الحدود ووفياً مع أخيه شالح وأميناً له ، وله في ذلك حكايات مع شالح أوردها الأمير محمد السديري في «أبطال الصحراء» بتفصيل ممتع، وهو وفاء ندر مثيله للدرجة التي دعت شالحاً لأن يقول:

لا واخو لي عقيب فرقاء باضيع
كني بما يجري على العُمرداري
أخوي يا ستر البني الفاربع
ومطلق لسان اللي باهلها تعاري
ما قط يوم شد بين الفاربع
يا كمود ما بين الكمي والمشاري
ليتة عصائي مرة: قال ما اطيع
كود اني اصبر يوم تجري الجواري
انا اشهد انه لي سربع المنافيع
عبيد عليك لي ولاني بشاري
تشهد عليه مناقلات المصاريع
واعداه من كفه تشوف العزاري
يمناه تنثر من دماهم قراطيع
وعشوق العديم اللي بدمه يثاري
جداغ سحرين الوجيه المداريع
مخلي سروج الخيل منهم عواري

وللفديح نفسه قصيدة هي ذات الموضوع منها قوله:
يا بو ذعار اكفـفـيك لوني لحالي
واصبر على الدنيا وباقـي تعـبـها
وان عم أخوه معـثـرين العيالي
أنا لخوـيه سعد عينه عجبها
أفديك يا شالح بحالي ومالي
يا هارس الفرسان مقدم عريها

ومع هذا الوفاء لنا أن نتصور حجم المصيبة التي حلت على شالح عندما فقد
أخاء الفديح قتيلاً في إحدى المعارك، ولكنه كان موعوداً بوفى آخر ومصيبة أخرى
تمثلت في ولد شالح نفسه «ذيب» الذي كان نادرة من نوادر الفرسان وهو في طور
المراهقة.

ويبتما كان «ذيب» في الرابعة عشر من عمره نزح شالح إلى قبيلة الدواسر بعد
أن عتب على قومه لعدم دعوته لاجتماع يخص أمور القبيلة، وقال قصيدة منها
هذين البيتين:

أنا ليا كثرت الاشواير ما شير
خلفت ما تي بارز ما دعاني
وأنا خوـيه في الليالي المعاسير
والأ رخـسا كل يسـدد يـمـكاني

وبين الدواسر ظهرت فروسية ذيب حتى كسب في إحدى الغزوات فرساً أصيلة
تدر مثيالاتها تسمى «العزبة»، وكثر طلابها من أمراء ذلك الزمان، فرفض شالح
بيعها أو إهدائها وهو يقول في ذلك:

يا ميايكي كثرت علوم العرب فيك
علوم الملوك من أول ثم قالي
لا ذيب لا بايع ولا ذيب مـهـديك
وأنا ألي استـبـاهل هدو كل ضالي
يا نا قدا اللي حصـتـك من مجانيك
جانيك عـقـاب الخيل ذيب العيالي
جانيك صـبـي الجود من كفـ راعيـك
في ساعـة تـذهـل عـقـول الرجالي

ومن الغريب أن شالح بن هدلان كان يحس أن شجاعاً مثل ولده ذيب لن يمتد

العصر به طويلاً، فكان ينادي ولده في المجلس ويقبله أمام الرجال ثم يبكي، ولما عاتبه البعض على ذلك الفعل الذي لا يليق بفروسية ذيب عبّر عن مخاوفه بقصيدة رائعة منها قوله:

مَا ذَكَرَ بِهِ حَيٌّ بِكَيِّ حَيٍّ يَا ذَيْبُ

وَالْيَوْمَ أَنَا بِابْكِيكَ لَوْ كُنْتُ حَيًّا

أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ بَيْنَنَا مِنْقَعُ الطَّيِّبِ

وَالطَّيِّبِ عَسَى مُطْلَبُهُ مَا تَهَيَّا

وبالفعل لقي ذيب مصرعه وهو ذاهب في غزوة يريد منها كسب إبل لأبيه بعد أن سمعه يثرنم شعرأ بما يفيد بهذه الرغبة، فكانت المصيبة الكبرى على الأب الذي أمضى سنواته الباقية في رثاء ابنه، ولعل أشهر تلك المراثيات تلك التي منها هذين البيتين:

يَا ذَيْبُ أَنَا بِأَوْصِيكَ لَا تَأْكُلِ الذَّيْبُ

كَمْ لَيْلَةٌ عَشَاكَ عَقَبَ الْمَجَاعَةُ

كَمْ لَيْلَةٌ عَشَاكَ حَرَشَ الْعَرَاقِيبُ

وَكَمْ شَيْخٌ قَامَ كَرَّتَهُ لَكَ ذِرَاعُهُ

وكانت وفاة شالح سنة ١٢٤٠هـ (١٩٢٢) قرب ضمهما، وكان له من الولد ستة هم: «ذعار، وذيب، ومناحي، وسداح، وعبدالله، ومحمد»، والذرية في ذعار وعبدالله كما ذكر علي آل ناصر في كتابه «الدليل والبرهان» (١).

(١) نشر هذا الموضوع في العدد (٤٦) من مجلة المختلف.

شليويح العطايوي

من التاريخ وعلي امتداده ظلت هذه الكتيبان الممتدة من الماء إلى الماء تتجيب من الأبطال ما تجاوز وصف شجاعتههم حدود الواقع والمعقول ملاحساً أفاق الخيال بأخلاقيتهم المتسامية وفروسياتهم الفذة وشجاعتهم النادرة.. هؤلاء الأبطال ظلوا طوال قرون من الزمان ماثلين في الذاكرة الشعبية تتناقلهم السير والقصائد بنوع فيه الأكبار والتمجيد، وفارسنا هذا ارتبطت قصائده بالعديد من المواقف الرجولية الدالة على شجاعة وحزم وإيثار.

هو شليويح بن ماعز العطايوي من ذوي عطية من الروقة من قبيلة عثية. شاعر فعل شجاع وعقدام عُرف عنه قوة البأس ورباطة الجأش والشكيمة، وقد مكنته هذه الصفات مجتمعة أن يكون «عقيداً» لرجال قبيلته رغم أنه لم يكن من بيت زعامة أما الزمن الذي عاش فيه فيمكن أن نستدل عليه من وصفه الرائع لمعركة «طلال» سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) ووفاته سنة ١٢٣٠هـ (١٩١٢م)، وبالثاني فعن الواضح أن عاش عمراً طويلاً رغم مقتله على صهوة حصانه.

كان شليويح حكيماً يحل الخصومات والنزاعات التي تنشب حول الماء والمرعي. وفي قصيدته هذه وصف دقيق لصفاته وميادته:

يا ملّ قلب عاتق الفطر الفصيح
كنه على كسيرانين محزومي
ما خلف وعدهنه يقع تخلف الريح
والأ يشد الضلع ضلع البغومي
يا ناشد مني تراني شليويح
قلبي على قطع الخرايم عزومي
إن قلت الوزنة خذوها المشافيح
أخلى «الوزنة» لربي واشومي
والى رزقنا الله بذود المصالح
يصير قسمي من خيار القسومي
واضوي إلى صكت علي التوايح
والى قعد عند الركاب مخدومي

إن كان لحقوا ببعضين المصاييح
معهم من الحافر سواة الفيومي
إلى ضربت السابق أم اللوايح
كسل رفع يمهنا لممنع يومي

بالإضافة إلى مغازيه اشتهر شليويح بـ «الحيافة» وهي التسلل ليلا الي مضارب
القبائل المعادية وأخذ ما يوجد من ركايلهم وخيلهم كضرب من ضروب الشجاعة
المفرطة التي يتفاخر بها البدو، ولا يتصف بها سوى من كان جريء القلب ثابت
الجنان.

وذاث «حيافة» مع بغض رفاقه اتفق الجميع على أن يتفرقوا ثم يجتمعون بعد
التأكد من هدوء المكان وسكينته. وكانت الطريقة المتبعة في «الحيافة» لكف نباح
كلاب الحراسة وأشغالها أن يلف «الحايض» كرة من الصوف ويقذفها لهذه الكلاب،
وذهب شليويح مع أحد رفاقه الذي انشغل بمطالعة فتاة نائمة ونسي «شليويح» حتى
تيفظ القوم لوجودهم وطاردهم مما تسبب في هزيمة فارسنا ورفاقه، وقال
شليويح بعد ذلك يعاتب رفيقه:

الحمد لله ما عشقت الرعايب
مدري طبع أو مبعدتني قلاع
خاويت شبان على فطر شيب
كم ماردر جيتته تعاوى سباع
يا ما مستا قرصنا بالمشاعيب
وياما دفعنهن ورا الشمس ساعة
كم ليلة عقلتها تضررس النيب
وانا اتوحتا نبح كلب الجماعة
رجت اتخطى كنهم لي مغازيب
إيا رمي عذب الثنايا قناعه
أهدني الحسامي وأخطر الاطانيب
وأخذ مهاوية الجمل بأخفافه

وقد ذاع صيت «شليويح» بين القبائل الأخرى مما دفع بفتاة تدعى «هلالة» لأن
تدفع «جملاً» جزاء لمن يكون سببا في مشاهدتها لـ «شليويح». ولكنها عند مشاهدته
قالت له: «ذكرتك جاني... وشوقك ما هجاني» لأنه كان كك الشعر مقبراً شديد

السمره بسخنة حرقها الشمس، فقال شليويح راداً عليها:

يا بنت يا اللي عن حـوالي تسالين
وجهي غدت حامي السمايم بزينه
اسهر طوال الليل وانتي تشامين
وان طاح عنك اعطالك تستلحقينه
انا زهابي بالشهر قيس مدين
ما يشبعك يا بنت لو ثلهمينه
وانتي زهابك بالشهر قيس مدين
مع درؤود كأنهن مصطحيته
مر نضحني والنضحى لنا زين
ومر نضيله بالجواعد عجينة

ويبدو أن هذا الموقف اثر كثيراً في نفسية شليويح حتى قال فيه قصيدة أخرى
منها:

يا عبيد دونك شؤمت بي لالة
شافت بوجهي يا عضيدي سهومي
وجهي مسودته لواهب لاله
من كثر ما نطع لهيب السهومي

هذا وقد توفي «شليوي العطاي» سنة ١٢٣٠هـ (١٩١٢م) مقتولاً في إحدى
المعارك. وترك أولاداً منهم «فاجر» و«مشعان» وبنت شاعرة هي «العاني». وكان له أخ
عقيد فارس وشاعر هو «يحيى بن ماعز» وأخ ثالث يدعى مشحن مات بالجدي.

وترك شليويح بموته ذكرى فارس جناب سهول جزيرة العرب وهضابها، وخلف
قصائد تجلجل في جنباتها لليدوي الذي حمل كل الخصال الرائعة، (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٦٤) من مجلة المختلف.

ضيف الله العفّار

أحياناً تكون شهرة الأب سبباً في اشتهاه ابنائه، وفي غالب الأحيان يحدث العكس خاصة إذا شابهوا الأب في ميزاته، وهذا ما ينطبق على «ضيف الله العفّار» هو اسم التصق به بينما هو ولد لأحد أشهر شيوخ البادية وشعرائها.

هو «ضيف الله بن تركي بن صنهاج بن حميد العتيبي» ووالده الشيخ والشاعر الأشهر من أن يعرف، فمن هنا لا يعرف «تركي بن حميد» ويحفظ بعضاً من أبياته في الحكمة والفروسية أما لقب «العفّار» قد استحققه ضيف الله عندما آلى على نفسه أن يتميز عن غيره من الفرسان، فلم يكن يبارز وحسب بل كان يتغلب على خصمه ويسقطه أرضاً ويعضّره بالتراب تدليلاً على النصر الحاسم.

ولاشك أن في ذلك دلالة على شجاعة نادرة قل مثيلها بين الفرسان، وهي ليست مستغربة على من كان مثل ضيف الله أرومة ومنيعاً.

ولعل أهم المصادر التي تحدثت عن ضيف الله وجمعت شعره كان «ديوان الشعر العامي» لأبي عبد الرحمن الظاهري في جزئه الرابع الذي بدأ كتابته بالقول: «يبدو لي أن ضيف الله مقل في الشعر، وشعره فوق مستوى شعر والده»¹¹

وإذا كان والده تركي توفي سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) عن أولاد هم «خالد» و«ضيف الله» و«عبيد» و«ناصر» ومسلطه فإن ما نعرفه أن ولده ضيف الله عاش بعده سنوات ليست بالكثيرة بعدد أبيه حيث خاله الفارس المشهور محمد بن هندي حتى توفي بمرض الجدري في حائل، وخلف ولدين هما «ناصر» و«فيحان» كما ذكر الباحث عواض العتيبي في كتابه القيم «حياة البادية في نجد».

وقد عرف ضيف الله بالشعر إلى جانب الفروسية، ومن أشعاره في الفخر:

صَادَاتُنَا نَرعى الْخَطَرَ دَائِمَ الدَّوْمِ

يَرْضَى دِيشُنَا قَيسَهُ وَالْحَدَّ قَائِمِ

نَرعى بِرَبِيعٍ كُنْهَهُم نَوَلَةُ الرُّومِ

مَرْكَاضُهُم بِالضَّمِيقِ يَجْلَى النُّوَامِ

لِي صَاحٍ صَنِاحِ الضَّحَى جَنَّ حَثَلُومِ

الْخَيْلُ بِالْفَرَسَانِ عَجَلُ هَمَامِ

يا زين سَجَّاتِ على الفطر الكوم
يوم بلاش ويوم جــــــــــــــــينا الغنايم
ومن قصائد العقار المشهورة تلك التي قالها في رثاء أخيه عبيد ومنها:
يا وفتي ونة كــــــــــــــــير الجبارة
إلى وقف ما احتال وإلى قعد.. ون
عليك يا شــــــــباب ضلّو المنارة
عليك ترغبات الصــــــــيبايا ينوحن
من مات عقب عــــــــبيد، قلنا: وداره
لا يأكلي عــــــــقبه ولا قاييل من؟
وهي القصيدة المشهورة التي ذكرها الأمير محمد السديري في «أبطال من
الصحراء» وأورد رد الشاعر شالح بن هذلان عليها ومنها قوله:
من شق ثوب الناس شققوا ســــــــتاره
ومن ضحكك يا الشرمان يضحك بلا سن
ومن الحداوي المنسوبة للعقار قوله:
بدلت أنا حمّ الرمك بحــــــــصان
بدلت ههنا بولدر جــــــــمــــــــوح
أبي إلى جــــــــا لرمك مــــــــيدان
عليــــــــــــــــه ترخص كل روح
وبالطبع يتبع الحداء تولع الفارس بفروحه التي يقدم عليها في الحروب. ويعزّر
من فوقها خصومه حتى يعلن هزيمتهم على رؤوس الأشهاد، فيقول في تدليل فرسه
حتى يساوي أهميته بنفسه وروحه:
يا مسابقي جــــــــالي سوية لــــــــجالك
حبك صبيغ بالقلب مــــــــاهو بتمسكك
شريت من زين البــــــــيادي جــــــــلالك
وحصن يوقن الحفــــــــفا عن مواطيك
وحبّ الشــــــــعير من البلد يشترى لك
أيضاً ومن درّ العــــــــرابا قبــــــــديك
أبا لــــــــما هادوا وقلّ العــــــــشاشاك
والــــــــيا اللحم مترفع في عــــــــواليك

وضلّع زماماً دوتك وضلّع بدا لك
بيكون يدو حـدروا من ورا دريك
ويا زين ضقة من شمال حبالك
ويا زين باسناق السببايا مدالك
غير السببايا قلن في ظلالك
ومن وسع صدرك قلنوا بين اياديك

ومن القصائد التي تزين جانباً رقيقاً من شخصية هذا الفارس هذه القصيدة التي قالها يشكر لخاله الشيخ محمد بن هندي عندما تزوج ضيف الله امرأة ثانية ففضبت زوجته الأولى ولم تعد إليه إلا بشرط طلاق الزوجة الجديدة، فعزل ثم ندم على الزوجة الجديدة لأنه كان يحبها حباً شديداً فقال:

يا وتي وتي، واقبلت واقبلت
وتيت ابين للعرب ما طراني
وتيت لها يوم انهم طووا البيت
يا طي قلبي طينهم للحبالي
وعيت لي وسمينة مير ما ابعثت
يا ليتني سجنيت فيسها ليالي
من يوم رحل مسير ثم رديت
إلى ان منزل عدم الاجناس خالي
بكيت انا وابكيت حثي هل اليك
وصيرت صير مشقات الجمالي
يا خيال ياريف المراميل ياليت
ياليت من ربي عليها الحبالي

وله أيضاً هذان البيتان في رثاء زوجته:

أنا بلاي العذب جالي ثنايا
اللي سكن مدروب اعسروا خالوي
ياليتني بالقبر مجسوع وناه
والا لنا يوم الجـمـاعـة مناوي (x)

(x) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٦) من مجلة المختلص.

مسعود آل حميد الذي أجابه بقصيدة ستورد شيئاً منها فيما بعد .

أما موضوع القصيدة فيدور حول محاولة سابقة للتمرد على عريعر تمكن من إحباطها ، ويفخر بصفاته وكفاءته كما يثني على مواقف زامل منه . ومن قصيدة عريعر نلتقط هذه الأبيات:

جـنـسـيـعـي مـن الـهـنـدي مـصـبـوـل صـارم
لـمـا نـاش مـن جـثـل العـظـام رـمـام
وـثـوبـي مـن البـيـولـاد درع وطلاسم
يـبـيـن لـعـيـن النـاـظـريـن مـنـام
وـزني وـزني فـوق مـجـتـمـعة الشـوا
كـمـيـت مـن الخـيـل الجـيـاد غـيـام
وـفـروي بـخـمس صـنـعة الشـام زانها
طـراز مـن زين الجـيـيـاخ وقـام

ومن الأبيات التي يعدد فيها مآثره وأحقيته بالزعامة بين قومه يقول عريعر:

أنا راعي الهـدـلـا شـقـبا كل عـمـايل
ولو صار مدح الروح هـيـه سـفـام
سـفـاهـتي بالـحـكي فـعل تشـوقـه
أزينه بأفـمـائي وأزيد وراه

وعندما يتوجه عريعر بالحديث إلى ابن عمه زامل يقول:

ويا طارشي سـقـها وسـرها نـزـامل
لـعل وعـمـي تـلقـي حـمـام يـداه
بـعـيد مـدى تـدبـير الأريا ومن به
على شـد غـارات الزمـان ثـبـاه
نـديـمي ومن لا لي بـرجـسـوى سـوائه
بـنـصـح ولا لي في العـبـيـام سـواء
تـرى ذنـكـم ذنـي وذنـي يـذلـكـم
وعـزـي لـكم عـز براس صـفـاه

ويوضح عريعر موقفه من الشعر في نهاية القصيدة فيقول:

فـما الشـعر إلا يـفرج القـلب سـاعة
والا فـمـال تـبـري للـعـيـل دوا

أما ائرد الشعري لزامل بن محمد بن حسين فكان في غالبه مجازاة ومدح
لعرير كما لم يخل من مساندة واضحة لموقف ابن عمه حيث يقول:

أنا يا عريري لك حسام وخوذة
ودرع وقبي راس السندان منقاد
وأنا لك على خيبت الليالي وطيبها
ممدى العمر الى ان ينهال علي شراد
وأنا حبيدك اللي تقصير الناس دونه
وانت الذي تنزل يراس شقاق

وبالطبع فإن عريمر كان مقصد الشعراء لكرمه ومكانته، ولعل أشهر من مدحوه
كان الشاعر محسن انهزاني. وله في ذلك قصيدة طويلة منها قوله (ولعلم ههنا
لقب لبني خالد):

عرعر سلطان ههنا، ومن
هاطلات المزن يحاذي من عطاء
من عطايا الأضيال والجيا
مثل عرعر، في زمانه ما نراه
مظني الحسنى ويداع الجميل
فرز شطرنج الوضى بحر الفناء
ذروة العليا شقا عين الحبيب
ترجمة الصاحب سيب عزه عناد
تلتجى به بالملاقاة الجيا
والرعايا أمثال في حماد

وأخيراً .. هل يعقل أن يكون لهذا الشاعر قصيدة واحدة بهذا الطول من عدد
الآبيات والجزالة في اللفظة.. ألا يحتفظ الرواة في صدورهم بقصيدة أخرى
للأمير عريمر بن دجين لا غير؟.. سؤال نوجهه للقراء ونتمنى أن يكون الجواب
كاشفاً للمزيد من القصائد لهذا الشاعر. (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢٣) من مجلة المختلف.

فراج العماني

«فراج العماني» هو شيخ قبائل بني عامر من سبيع. ولد سنة ١٢٧٨هـ (١٩٦١م) في الدهناء بالقرب من «رماح»، وعاش معاصراً لوالده «مذكر العماني» مما جعله يتشرب في شبابه المعرفة بكل ما تتطلبه من أمور لتدبير أمر قبيلته، وقد تعلم الرماية والفروسية في سن مبكرة، وتوفي والده وفراج وأخوته في سن مبكرة وبمدها تولى أخوه «سعود» أمور القبيلة، وبعد سنوات توفي أخوه «سعود» وتولى «فراج» مشيخة القبيلة من بعده وتحمل مسؤولية قيادتها في المعارك، واشتهر بالشجاعة حتى لقب بـ «بغيد المغازي» وذلك لما تميز به غزواته من بعد مكاني وطول مدة زمنية.

وقد وردت هذه المشاهد لغزواته على لسان أكثر من رواية سواء داخل قبيلته أو خارجها، وعن ذلك يقول الشاعر «الشيخ محمد الصبيحي» شيخ قبيلة النبطية من سبيع متغزلاً في محبوبته التي أورد اسمها في الشطر الأول «لطيفة»:

قلبي التي تلتفه مني «لطيفة»

قل هزل الجيش مع حيل سُماني

قله المني غمازي قبيضة وصيغته

مع عظيم مثل «فراج العماني»

غير سجنه للنضا فك الضعيفة

لي اعتزى بـ «موضي» تنسم كل وافي

هو عذاب ملافخة حيل السفيفة

كل يوم والكسايب له غمواني

ومن الحكايات التي تدل على شهامة ونبل الشيخ فراج العماني ما حدث في إحدى غزواته عندما التقى بقوم من قبيلة مغاربة وأراد محاربتهم، فلم يجدوا أمامهم في ذلك المكان سوى قبر الشيخ «الصبيحي» شيخ النبطية المعروف عنه الكرم والعفة فلهجوا إليه، فعند ذلك كف العماني يده عنهم إكراماً لذكرى الصبيحي.

وقال أحدهم بهذه المناسبة شعراً:

ما ذكر مثل «فراج العماني»

عفا عن جيش زين «غير الصبيحي»

«أخو موضي» كامل كل العماني
 وشرا أخو موضي على نشر الحقيقتي
 غير هذي لي ركب بنت الخصماني
 يرد حوض الموت يوم الموت عيني
 ورت جسدانه عيني عميره جناني
 مثل راعي البدع ما جاله وصيفي
 ويذكر هنا أن شيخاً آخر من قبيلة سبيع قام بنفس هذه المكرمة النبيلة وهو
 الشيخ صنيتان بن مبارك أبو ثنين، وقد قال الشاعر المعاصر فالح بن عثمان
 السبيعي في ذلك:

قوم لجوا بفهيد عفتاهم جهار
 شيمة عرب ورجال والكذب مرفوع
 غدوا على قبره كما وصف خطر
 قالوا ترى ما عند هالقبر معنوع

عاصر فراج العماني الملك عبدالعزيز آل سعود «برحمته الله» وشارك معه في
 العديد من الفتوحات هو وقبيلته، وسجل التاريخ لهذا الشيخ صفحات كثيرة في
 سجله خافلة بالشجاعة والإقدام، ويصفه المستشرق عبد الله هليبي في كتاب له
 قائلاً: «أن فراج العماني من أشجع لرجال الذين يخوضون المعارك مع الإمام
 عبدالعزيز».

وتوفي فراج العماني سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) عن عمر يناهز ١١٨ عاماً، ومن
 شعره نلقت هذه القصيدة التي قالها في رثاء أخويه سعود ومهلي اللذين قُتلا في
 إحدى المعارك ويستندها علي الفارس حجاب بن جويعد:

البارحة يوم الخلايق هجوعي
 أوفست في صدي كما لاهب النار
 من وفتي خطر تكبر ضلوعي
 على حرار في اللقا تجلي الأمرار
 من العمام عيني ما تضم الدموعي
 وهي حكمة الوالي علي الحق صبار
 يا حجاب يا حامي عذاب الرثوعي
 راحوا هل المركاض يوم الدخن شار

وحنّا عوض باقي النشاما الربوعي
 إن ساعفتنا عن غبيثات الأقدار
 لي قامت المصفر تحنّ وتثوغي
 وتار القهر من بين عجالات الأمهار
 حقّ علينا للمسبب إيا تصوغي
 والعلم عند اللي ولي الخير وإشراز
 أما الغزل في حياة فراج العمانى فلا نجد له أثراً في شعره إلا قصيدة واحدة
 بين شعره المتميز بالحكمة والقروسية بقول فيها:
 يا حمود لي جيت اريش العين قلّه
 عليه مردود البرا عشر نويات
 جذيت حبله يوم بأيديه قلّه
 ولا يتحكي يا حمود في هاتيت فوات
 نصير على جفواه غلّ يقلّه
 ومن لا تقاضا حي.. يجمع الى فوات
 أنا عذاب مالا فوات الأطلّة
 زين التوالى يوم لوذات الأصوات
 كلّ على حفلة وفعله يدته
 واترك علوم مالهها صدق وثبات (٥)

(٥) نشر هذا الموضوع في العدد (٥١) من مجلة المختلّف.

محمد بن مطر أبو ثنين

كما عودناكم في الوقوف عند رجال من تراثنا ساهموا في بناء هذا الحاضر
تاركين ذكرى عطرة على مدى الأيام نقف اليوم عند الشيخ محمد بن مطر بن فراج
بن عساف أبو ثنين المولود سنة ١٣٢٨هـ.

يعود نسبه الى قبيلة سبيع وبالتحديد إلى عشيرة الجمالين منها ، ومن المعروف
أن كنية سبيع بن القبائل هي «مدلثة الغريب».. مودة الشريب» أي ابن الغريب عندما
يلتجئ اليهم يعدونه واحداً منهم أما مودة الشريب فتعني أنه عندما يأتي اليهم
صاحب «حلال» فأنهم يوردونه للماء في الحال دون تردد ويقدمونه على انفسهم
وحلالهم.

أما «الجمالين» عشيرة صاحب الترجمة فيعود نسبهم للأشراف وقد برز منهم
العديد من الفرسان والشيوخ ونخوتهم هي: «خيال العشوى وأنا ابن علي» وأنشد
الشعراء مديحاً كثيراً كما في قول الشاعر سعد بن طهليل بن جفن السفرائي:

خيالة العشوى على الخيل فرسان
ترعى لهم وضع زهتها السفيضة
ترعى جنيع والغلبايا وسافان
وترعى من السلوف لاقصى الحتيضة
ربح ليا صاحوا على الحق عُيان
وبالحرب تفرق غالي من وليفه

نرجع الى الشيخ محمد بن مطر باحثين في أسطر التاريخ عن ملامح سيرته
فنجد أن والده هو الفارس مطر أبو ثنين من أشهر فرسان الملك عبدالعزيز، ومن
السواعد المقرية لديه أبان معارك توحيد المملكة آنذاك.

كما شارك الشيخ محمد في معركة الطائف وشهد فتح الحجاز بصحبة جلالة
الملك فيصل بن عبدالعزيز «رحمهما الله».

وكان من صفاته -رحمه الله- أنه كان رجلاً متديناً وملتزماً بالدين الى الدرجة
القصوى ، وانتقل إلى بارئه الأعلى عن عمر يناهز الخامسة والثمانين عصر الجمعة
١٤ شعبان ١٤٠٨هـ بعد أن قضى حياة حافلة بمكارم الأخلاق والدين .

ومما قيل في الشيخ محمد بن مطر من مرثي قول الشاعر محمد بن مطلق بن

من عقب أبو قراح والبال منحاس
 شيخ غدت به في قصير قدرها
 زعيم جملا كلبوها على الراس
 يحمل مشاكها وينقل خطرها
 أبوه قبيله لى ركب فوق الأفراس
 كم شيخ قوم يتخله من ظهرها
 كما كتب الشاعر سالم المطوع في وداعه قائلاً:
 أنا أشهد أنه مات تصبيح رجّال
 فقد على الغلباء خسارة كبيرة
 أحد ليا من مات محير عنه سال
 واحد على موته.. عيون ساهرة (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٤) من مجلة المختلف.

محمد بن هادي

«محمد بن هادي» شيخ قبيلة عريقة في السيادة والقوة والمنعة ، وكانت حياته سلسلة من الأحداث المهمة المذكورة في كتب التاريخ النجدي بالإضافة إلى كونه شاعر مجيد له في المجال صولات وجولات وقصب سبق ومكانة عالية.

وهذه الكتابة تحاول إعطاء هذا العلم الشامخ بعضاً من حقه على أجيالنا الحالية.

هو «محمد بن هادي بن غانم» من السحمة من آل محمود الجحادر إحدى بطون قبيلة قحطان الثلاثة، وعرف أبوه بهادي بن قرملة نسبة إلى أمه قرملة بنت شاعر من الخفافر من قحطان أما محمد بن هادي فأمه من قبيلة زعب.

ومن غير المعروف السنة التي ولد بها محمد بن هادي إلا أن طلال السعيد حددها دون ذكر مصدره بسنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م) على وجه التقريب، ولكن ما نعرفه أن أباه هادي بن قرملة استشهد سنة ١٢٢٦هـ في معركة وادي الصفراء إلى جانب الإمام عبد الله بن سعود وهم يواجهون الحملة المصرية بقيادة طوسون باشا، وقد قتل في هذه المعركة عدد من شيوخ القبائل العربية والقرسان المشهورين ، ولكنها انتهت لصالح الجيش السعودي رغم هذه الخسائر الفادحة.

وقد خلف محمد أباه في مشيخة قحطان ، وبدأ اسمه بالظهور منذ تلك السنة ، و طال عمره كثيراً حتى كان تركي بن حميد يسميه «الشاب» في قصائدهما المتبادلة، وعاش محمداً بعد تركي بكثير و عاصر راكان بن حثلين ، وفي أواخر عمره تنازل عن المشيخة لابن أخيه ناصر بن عمر بن هادي ، وذلك لأن محمد بن هادي كان عقيماً، وفي ذلك يقول :

أثر الكبير به الفتى كسر تعبير

الميتة أشلا لي إلى قيات حله

دنيا تنمينا حلالها بالامرار

واللي مضى نسيوه ما هات كله

لو لي عيال كان شَبَّوا لي النار

يَبْرُونَ عن نفسي ثمانين علة!!

وله مراسلات مع كثير من الشعراء الضراسان فعبيد الرشيد يقول:

جانا جوابك يا الشجاع ابن هادي
فقبول لي بكروش عندي مثاني

ويقول مبارك بن مويم الدوسري:

يلفن لها شيخ وراعي نبال زين
محمد ولد هادي طويل ذراعاه

ويذكره سلطان الشريف في قصيدة مشهورة:

وش عاد لو عينا محمد على الخوج
بخليل الطوالة واحمد كنه اياه

كما ان لمحمد بن هادي قصائد متبادلة مع تركي بن حميد وشاهي بن شيعان
وركان بن حنبلين،

وهذه قصيدة له عندما نزح عنه بعض افراد قبيلته، وحين مر بديارهم صديقة
لحق به رجل منهم يدعى «شذي» يسوق ناقة يريد ذبحها لإكرام لابن هادي فقال:

يا اهل الركاب اللي خفاف المعاليق
ريضوا شوي واسمعوا لي علومي

تكفون يا سمو العيال المطاليق
حتى العذارى زاهيات الرقومي

مما منكم اللي تلهن بالحناتي
وانا ذراكم عن تهيب السمومي

الا «شذي» القرم زين المشافيق
اللي مـرضنا بـكـوم ردومي

انا جـمـلـكم في تـهـار المـساويق
ان جا من العـدوان خـيـضة علومي

اشيل من ربي من الغيظ ما طيق
ولو انهم زعلين عندي حـشـومي

انا لربي مثل حامي الأساويق
من دون ربي مثل ضلع زحومي

انا احـمي المـظـهـور لـن تشـف الـريق
ما رمى المـجـمـول بـغـطاه يومـي

والرزق عند الله بحظٍّ وثوْقٍ يقي

والعَمْرُ يَفْنَى والليالي تدوم

أما وفاة محمد بن هادي فهي غير معلومة (لا أن الرواة يجمعون على أنه عمّر حتى تجاوز المائة ولعله عاش حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري).

ويذكر هنا أن محمد بن هادي كان له ثلاثة أخوة هم «عمر، ومبارك، وسعد»، وعقب آل هادي في عمر فقط، (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٣) من مجلة المختلص.

محمد بن هندي

ما أن يذكر «محمد بن هندي» حتى تتداعى إلى الذهن كل ما تحمله معاني الفروسية والشجاعة من صفات كان يحملها هذا الرجل في تاريخه وحوادثه التي جعلته أسطورة حقيقية تتداولها الذاكرة الشعبية بفخر واعتزاز.

هو «محمد بن هندي بن حمد بن حميد الكريزي المقاتلي العتيبي». تولى زعامة قبيلته بعد مقتل سلفه عقاب بن شبنان سنة ١٢٠١هـ (١٨٨٤م)، وهما ابني عم الشاعر والشيخ المعروف تركي بن صلهات بن حميد، المتوفى سنة ١٢٨٠هـ الذي كان متزوجاً من أخت محمد بن هندي.

وللشيخ محمد بن هندي أحداث ووقائع كثيرة يجدها القارئ في كثير من كتب التاريخ، وقد وصفه الأديب العلامة خير الدين الزركلي بأنه: «من أشهر فرسان العرب ودهاتهم في العصر الأخير. لم ينفرد بالشجاعة بل عرف أيضاً بإصابة الرأي ورجاحة الحلم وهيبة المنظر».

وقال الزركلي أيضاً: «أخبرني رجل أدركه وعرفه قال: زار ابن حميد وأبني يوماً فجلست أطيل النظر إلى جراح رأيتها في عنقه وصدره، فاستدنتني منه فدنوت فكشف عن قميصه وقال: انظر، فنظرت فإذا جراح هائلة عدها سنة وثلاثين كلها قد اندملت».

وقال عنه العلامة محمد بن بليهد: «محمد بن هندي مطاع في شومه، محبوب عند الناس محبوب عند الملوك».

ولمنا هنا في تعداد الفزوات التي قادها محمد بن هندي، وأخبار شجاعته الفذة بل تركها للباحثين المتخصصين في شئون التاريخ، ونوجه إلى عوالم الشعر رغم أن الشيخ محمد بن هندي لم يكن شاعراً محترفاً إن صح التعبير ولكنه كبشبة الفرسان نجد له بعض الأحاديث التي كان يحسن بها جنوده ويحثهم على القتال، وقد جمعها أبو عبد الرحمن الظاهري في بحث قيم عنه في أحد أجزاء «ديوان الشعر العامي».

ومن تلك الأحاديث قول ابن هندي عندما جاءه ميموث الملك عبدالعزيز للمشاركة في إحدى الفزوات، فاستعد وقال متقدماً على حصان كان قد أهده لأحد

الشيوخ:

يا ربهنا شـدوا على الزليـلات
جـتـنا مناديب الإـمام
ليت الحصان اللي عطي ما فـات
مما سرّ بالباير عطاء العام
ومن أحدياته أيضا قوله:

يا حبيبنا يا فاطمـري
وخـذت مع نـيـاق عـزيب
يا تـيـتني حـضرتـها
من فوق مشـعـثرة السـبيب
على العـيـنة كـنـها
عـذرا تـراعي لـلـخـضيب

وله أيضا في ذم البندقيات من نوع «الموارت» عند أول ظهورها هي الجزيرة
العربية مفضلاً عليها السيوف والرماح التقليدية:

ضرب الموارت ما بهـا نـومـاس
حـذقة شـرود من بـعيد
على قـضب عـنـانـها والراس
والله يـدبـر مـا يـريد
على باللي تـيـمـم المـرواس
والغـمـر لـزم الله يـبـيد

أما ما قيل فيه من الشعر فكثير، ومن ذلك قول سلطان المريضي بمدحه:

يتلون ابن هندي حمى قلب الأفراس
لى قـسام يـنـخي والرمك في انحطابه
يشني جـواده لـلـمـتـلين نـكـاس
وكم واحـد من غـرقـة الموت جـابه

وشعر ابن أخيه القارس ضيف الله العفاز بن تركي بن حميد فيه كثير، ومنه
قوله:

نخبت خـالي يوم هن أقبـلني
والدمع من عيني على حجرها سـال

وهو المقصود بالمخاطبة هي قول الغضار:

يا شيخ ما تامر عليهم بغارة

كسود الجروح التي على القلب يبرن

أما وفاة محمد بن هندي فكانت غريبة بعض الشيء إذ أن يعبره هوى به فقتله، وذلك سنة ١٢٢٢ هـ (١٩١٥ م)، وكان له من الأولاد: سلطان وكان به يكتى، وهندي، وتايض، ودعار.

وقيل في رثائه الكثير من الأشعار منها قول الشاعر الشيخ شالح بن هدلان وقيل إنها لشالح الحمقي المقاطلي:

يا نجد عقب محمد كيف يتقول

عليه ياتور السلف والجهمامة

فتال ما ينقض ونقاص مفتول

والى سعى بامر مشى في تمامه

إن جاء مظلوم من الحمل متول

حظه سمين ويبترم في سنامه

ولابن عزارم المقاطلي في رثاء ابن هندي ذاكرا سبب وفاته:

يومه دنا واسياب يومه قعوده،

يا كثر ما واجه من الشر كثره

محمد الذي وافيات عهوده

الخييل تدري به نهار الملاقاه

لاوا عمو البيت لا واعموه

لا واعمو البيت لاوا عموه

ضلع يفلون العرب في نهوده

وازرى المعدي يوم هداه يرقاه (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١١١) من مجلة المختف.

مشعان الهذال

مشعان الهذال: هو شاعر «الشيخة» .. تلك القصيدة التي اعتبرها - الكثيرون - واسطة العقد في التراث النبطي، ولذا فلا عجب أن يعدوا علماً بارزاً من شعراء الصف الأول في التراث النبطي.

تزوج مشعان قبيلته «عنزة» وقادها إلى كثير من الانتصارات إلى أن لقي مصرعه في ساحة الوغى سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م) على يد فارس من الأتراك خلال حملات محمد علي باشا على نجد.

■ نسبه:

هو الشيخ مشعان بن مغيث بن متديل بن هذال شيخ مشايخ عنزة في زمنه، وآل هذال من الحيلان من جبل من العمارات من بشر من عنزة القبيلة الوائلية.

■ مولده وحياته:

من غير المعروف على وجه التحديد السنة التي ولد فيها مشعان ولا عني أحد من جامعي شعره بذلك سوى طلال السعيد الذي قال أنه ولد سنة ١٢٠٩هـ على وجه التقريب، ولم يذكر مرجعه في ذلك.

وإذا أردنا الاستدلال التقريبي نقول: إن أباه مغيث قتل سنة ١٢٣٨هـ (بمعنى أنه كان قادراً يومها على القتال). ومشعان قتل بعده بسنتين وكانت أمه حية في تلك الفترة وهي التي حدثت على الثأر لأبيه. وعندما قتل مشعان أعقب أربعة أولاد لم يخلفوه في المشيخة بل خلفه ابن عمه زيد بن مهلهل مما يعني أن أبناءه كانوا صغاراً عندما قتل.

من ذلك يمكننا الاستنتاج أن مشعان قتل وهو في منتصف عمره أي قرابة الأربعين، وبذلك يكون من مواليد سنة ١٢٠٠هـ أو قبلها أو بعدها بسنوات معدودة، وبالتالي لسنا بعينين عما ذكره السعيد.

ومن الحوادث التي مرت ومشعان أن وفداً مبعوثاً من والي مصر عباس باشا جاء إليه يعرض شراء فرس يملكها من فصيلة «كحيلان كروش» بمبلغ ٢٥ ألف ريال، وفي نفس الليلة جاء رسول من حاكم البحرين الشيخ محمد بن إبراهيم آل خليفة يطلب الفرس ذاتها هدية من مشعان.

وأخير مشعان الوفدين بأنه سيخبرهما بقراره في صباح اليوم التالي ، واستشار قومه فأشاروا عليه أن يبيع الفرس ويهدي حاكم البحرين فرساً أخرى معتذراً عن بيع الفرس التي أرادها لكن مشعان قرر أن يهدي الفرس دون مقابل لابن خليفة فصلته أقرب (كلاهما من قبيلة عنزة) من صلة والي مصر.

ولما علم حاكم البحرين بما حدث أرسل إلى مشعان يدعوهُ إلى البحرين ، وهناك أكرمه بغيل وإبل كثيرة كما هوضه بأن يأخذ ما يشاء من أسواق البحرين ، وفي السوق رأي مملوكاً أسود يقوم بالإشراف على أحوال السوق ، وكانت له مكانة كبيرة لدى الحاكم فأراد مشعان أخذه لما رأى من قوته وزينة ملبسه ، ولم يقلت المملوك من مشعان إلا بعد أن استرضاه الحاكم بمملوكين آخرين عوضاً عنه .

وعندما غادر مشعان البحرين حملَ الحاكم سفينتين بالهدايا والمؤن هدية لمشعان الذي أرسل إحداها إلى صديقه الشاعر مهنا العنفاقي في الأحساء هدية له .
■ شاعريته:

لم يصلنا الكثير من شعر مشعان ، ويبدو أنه لم يكن ينظم الشعر إلا في مناسبات تسميته ، وهذا واضح في أكثر من قصيدة كما أن ذلك راجع في رأينا لمقتله المفاجئ وعمره القصير نسبياً .

وشعر مشعان يمتاز بالحماسة والحكمة، وله قصائد متبادلة مع شاعر الأحساء في زمنه مهنا العنفاقي والشاعر نمر بن عدوان.

وترجع شهرة مشعان في التراث النبطي في المقام الأول إلى قصيدته «الرائية» التي أخذت لقب «الشيخة» كدلالة على قوتها ، (والشيخات في الشعر النبطي مجموعة من القصائد قد تشبه بالمعلقات في الشعر الجاهلي منها شيخة مقحم النجدي وغيره ، وهي لا تعني أنها أفضل القصائد، ولكنها رائعة تمتاز بالحماس والفخر).

■ وفاته:

إن الاختلاف في تحديد وفاة مشعان الهذال يتخذ شكلاً غريباً ، فالثابت أن ابن بشر المعاصر لمشعان أورد حادثة مقتله بالتفصيل ضمن حوادث سنة ١٢٤٠هـ في كتابه الشهير «عنوان المجد في تاريخ نجد» بينما كثير من المراجع المتأخرة ومن بينها مراجع لباحثين مجتهدين يجزمون بأن مقتله حدث بعد ربع قرن من ذلك التاريخ أي سنة ١٢٦٦هـ، ولا يشيرون للتاريخ الذي ذكره ابن بشر ولا نعرف سبباً لذلك.

وما نراه أن الإطمينان أكثر إلى قول ابن بشر ما ثم يأت مخالفوه ببيتهم ، ولا نجد في شعر مشعان أو سيرته ما ينفي تاريخ ابن بشر الذي يذكر أنه قتل «في مجاورة الخيل» قتله فارس من عسكر الترك» في شوال من سنة ١٢٤٠هـ.

■ مصادر شعره:

اهتمت كتب الشعر النبطي ودواوينه بشعر مشعان الهذال منذ بدايات التدوين ، ولكن ليس بالقدر الكافي وأكثر من اهتم بشعره عبدالله الحاتم في كتابه «خيار ما يلتقط» وابن عيار في مؤلفاته ومنديل الفهيد كما أورد له المستشرق الألماني تشارلز هوبر بعضاً من قصائده . في مخطوطته التي تعود للقرن التاسع عشر الميلادي ، وشعر مشعان عموماً قليل نسبياً ويوجد متناثراً في كتب الشعر النبطي ، وقد قام أخيراً الزميل إبراهيم الخالدي بجمع ديوان مشعان ونشره ضمن «سلسلة المختلف للتراث الشعبي» . وقد استقيناً معلومات هذه الكتابة من الفصل الأول من ذلك الديوان .

■ نماذج من شعره:

يا بايع جـوخ على غـير اهاتيه
مثل الذي ينزل بقـصر خـرابية
ولد الردى لو طاب لك .. لا تماشيـه
يومين والثـالث .. يبين الردى بهـا



لذاذة الدنيا مـمامـيل وفـراش
وصـيغـة يركـض بهـا العـبد مـسـعود
وصـفر إلى جـا العـصر مع كل هـباش
تطاوحن قلب المـناحـير بالـعود
هي رـبـعة يلفي بهـا كل هـباش
يقـرح بهـا اللي من دنـايـاه مـسـعود



أول شـمـاة القلب خـيل تصـفـف
فـحص المـهـار اللي زهن العـديدي
وثاني شـمـاة القلب جـيش يـردف
بـبـلاد بن هـذال يوم التوكـيـدي

ففرح الى جـوتنا هل الفطر الهف
لى نوخوا يوم علينا سعيدي

حنا الذي ترجع لنا كل الاشوار
لى صار بالقالات شوار ومشيير
حاميتها فى لاية تسقى الامرار
عدوهم ما يحتسب بالخاسير

يا بو خدود كنهن فلق جـمار
عينه وعنقه مثل عنق الغزالى
راعى ثليل فوق الارداق نثار
اسمر الى دق على القاع مالى
ملقى النحر يفضح كما البدر وان عار
والأ كما الفضة حضاهها الصقالي
يا زين واعدي على كسك الأسرار
إرحم فديتك يا بعد من غدا لى

المرجلة حيلة طويل ومسدود
يا كود من تقصير عن الما حباله
والى قصير حيلة فلا هو بـ مزود
كم واحد يهفي مقامه هـاله
اللى يريد الجود ما هو بـ مردود
شوف العيون ولا يريد الدلالة (x)

(x) نشر هذا الموضوع فى العدد (١٠٠) من مجلة المختلص.

ناصر بن سرحان

عُرف شاعرنا الأتي بصفات كثيرة جعلته محبوباً ومقرباً في قومه وكان الشعر
أحدها، وسنحاول في السطور القادمة التعرف على جوانب من شخصية «ناصر بن
سرحان».

يعود نسب الشيخ ناصر بن سرحان إلى عشيرة آل سقران وهي إحدى أكبر
عشائر قبيلة العجمان المعروفة، وهي إحدى قصائد الشاعر حسن بن صبيح العجمي
يقول مادحاً آل سقران:

يا فهد كذاك ما تحب آل سقران
يا لله لعنك ما ترد الرعيّة
رب ليأركبوا على الخسيل قرسان
وبين الدلال يحلفون الشوّة
إن قربوا منا خزا كل فسقان
وإن ابتعدوا كل جعل له حكيّة

وقضى ناصر بن سرحان حياته فارساً مثل بقية فريسان قبيلته فقد شارك مع
الملك عبدالعزيز آل سعود «يرحمه الله» في العديد من غزواته ومعاركه حتى توحدت
الجزيرة العربية، فأصبح عينا مبصرة مثل بقية أعيان القبيلة التي تبصر الرأي
الحكيم لتدبر أمورها، ومن أشهر توقعات التي شهد بها ابن سرحان مع قبيلته تلك
الوقعة التي قتل فيها ابن سرحان فارس القبيلة المعادية.

وامتدت الحياة بابن سرحان حتى كان أصابه في أواخر أيامه مرض دخل على
إثره مستشفى الصباح بدولة الكويت، وعلى فراش المرض زاره العديد من جماعته
مما كان له أثر كبير في نفسه، فقال هذه الأبيات التي هي آخر قصائده المعروفة:

عند الدكاقر بالقصور الميناء
ما جئوا عليّ مجتمعين الأداوي
وجئوني ربوع تذيب الكوم والشاه
أحدر يكا، وأحدر قريب الوشاوي
واقا لهم لي جانا نهار المثاراه
لي جانا نهار فييه كل البلاوي

وانا تطيح الشيخ لى عـمـست ارياه
لو ان جـوخـه مـثل جـوخ الفـداوي
كم شيخ قوم بالعـارك ذبحناه
عليه ريعه كـثـروا بالنعـاوي (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٤) من مجلة المختلف.

النوري بن شعلان

يزخر تراثنا الشعري بشعراء لم يبلغوا الشهرة التي يستحقونها في هذا المجال لأنهم عرفوا بميزات أخرى حجبت عنهم الشهرة الأدبية، وشاعرنا هذا كان شيخاً وزعيماً كبيراً، وبالتالي لم يمثل الشعر إلا جانباً هامشياً من شخصيته.

ذلك هو «النوري بن هزاع بن نايف بن عبدالله بن منيف الشعلان» شيخ الرولة من عنزة وتمتد حياته ما بين (١٢٦٧-١٣٦١هـ). وقد قضى هذا الشيخ أربعاً وثلاثين سنة في قيادة الرولة حافلة بأعمال وأحداث كثيرة عاصر خلالها أربعة عهود في بلاد الشام هي على التوالي: «العثمانية - الهاشمية - الفرنسية - السورية المستقلة» ، وكانت علاقته بالحكومات بشكل عام تتصف بالود والمسالمة فقد كان ينأى بالرولة عن أتون الحرب مع هذه الدول.

ومع ذلك اعتقله العثمانيون إلى الأناضول، وسجنه ولاية دمشق لكن صديقه المستشرق التشيكوسلوفاكي موزيل الذي كان يجمع بين الدراسات الأكاديمية عن بلاد العرب وعموم الشرق وبين خدمة المصالح العثمانية والألمانية توسط له عند العثمانيين فأطلق سراحه ، ولحب موزيل للنوري تسمى الأخير باسم «موسى الرويلي» فكتب عن الرولة كتابات تراثية رائعة.

ومن طريف ما يذكر هنا أن القائد التركي سامي باشا أصدر قراراً بإعدام النوري، وفي ليلة التنفيذ قتل سامي باشا وألقي القائد الذي جاء بعده قرار الإعدام، وأخرج عن النوري الذي قال:

الحمد لله قتل سامي

الرب ما احسن تدبيره

أمسيت والموت قد أدامي

وأصبر بـاحت هي نازح الديرة

أصدر على القوم بأعدامي

وذبح، وضربت لنا خـيـرة

ولما احتل الفرنسيون سورية لم يصطدم معهم النوري، وسيطر على الرولة وحافظ على حياتهم من وبيلات الحرب. فمنعه الفرنسيون بيتاً قرب الصالحية في دمشق فرممه وطوره حتى تكامل حوله حي كامل في دمشق ما يزال يعرف حتى

اليوم بـ «حي الشعلان» فجميع بين حياة البداوة والسكن في المدن وحياة السياسة والبرلمانات التي دخلها ثانياً عدة مرات.

وهناك في دمشق توفي النوري رحمه الله في يوليو من سنة ١٩٤٢ م ، واجتمعت دمشق كلها لتشيع جنازته حيث نقل إلى قرية «عذراء» في ضواحي دمشق وورى جسده التراب هناك.

كان النوري ذا هيئة مهيبية فلا يرى إلا وهو ملثم الوجه حتى عينيه إلا أنه في ساعات أنسه جميل الحديث محب للدعابة، ويقرض الشعر النبطي وله قصائد في شرح معاناته مع الحياة وجهوده الشاقة الطويلة. ولا ترتاح نفسه إلا عندما كان يرى النار مشتعلة وحولها دلال القهوة ، ومن قصائده في القهوة:

قم سوّ ما يصبغ على الصّين يا عبيد
بدلال ما عنهن سنا النّار طافى
واسقّدن ما يجذب علينا التّلابيد
يكثّر علينا «قوكم والعواقي»
ليما لبس «الركب» بريح الهداهيد
عدونا نودع عظامه سواقي
ناخذ على جمع المعادي ملاكيد
ونمشي على نزل المعادي كشافي
ومن القصائد الغزلية التي تنسب للنوري بن شعلان قوله:
نعليت أنا المرقاب طالعت واشغيت
ويّين بي التي صتق من شجرها
طرى عليّ صويحيبي ثم وثيت
وثة قصيم الساق ما احدر جبرها
إن ما تهيّنا من ثمانه ترويت
وا عيني التي ما يبطّل سهرها
وجدي عليها وجد حيّ عليّ ميت
وقلبي عليها بين الأضلاع يرها (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٠) من مجلة المختلّف.

الفصل الثاني: سيرة شاعر

(ترتيب الشخصيات حسب الحروف الهجائية)

بديوي الوقداني

يمثل «بديوي الوقداني» ظاهرة بالغة الخصوصية في الشعر النبطي من خلال جمعه لموهبة النظم الفصيح والعاصي، والمزج بين بداوة ظاهرة وحضارة لا يمكن نقيها كما أن أسلوبه متأرجح من حيث القوة والضعف ولكنه في أضعف قصائده وخاصة الفصيحة منها يشف عن موهبة شعرية لا غبار عليها إضافة إلى تنوع أغراضه الشعرية فما هو متوفر لدينا قصائد في أغراض: المدح - الهجاء - الحكمة - الغزل - الفكاهة - الوصف، الأمر الذي يثني بتجربة شعرية متكاملة.

ومن خلال السطور القادمة سنحاول استقراء هذا الشاعر من خلال حروفه: تبدأ أولاً مع نص تادر عن بديوي جاء في كتاب «تزهر الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر» لأحمد الحضراوي الهاشمي الذي التقى ببديوي وكتب عنه: «بديوي بن جيران بن جبر بن هنيدي بن جبر بن صالح بن محمد بن مسفر الوقداني السعدي -نسبة إلى بني سعد - العتيبي، وعتيبة بطن من هوازن قبيلة مشهورة.

نزى الطائف المأنوس. ولد بوادي النمل وهو محل على فرسخ من الطائف سنة ١٢٤٤هـ (١٨٢٩م) وتربى به ثم سكن الطائف لتحصيل العلم والمعاش، وكانت له فريحة بالعربية ثم نظم القريض ولقب بـ (شاعر الحجاز)، فهو شاعر لطيف ومفوار غطريف. تخضع لشعره بالأبل الأغصان وتنصت لغزله مسامع كل إنسان.

اجتمعت بحضوره بالطائف المأنوس سنة ١٢٨٧هـ وقبل هذه السنة ثلثا معه اجتماع كثير ومحاضرات لطيفة..

وأورد الحضراوي في كتابه مقتطفين لبديوي من الشعر الفصيح الأول سبعة أبيات من قصيدة مطلعها:

سواجع الشوق باتت في أعضانيها

تتلو فنون الهوى والوجد يملئها

والثاني خمسة أبيات من قصيدة مطلعها:

ما يعطي الله إلا المستحقين

سبحان من سبق أحكامه فينا

أوردت مصادر أخرى أن وفاة «بديوي الوقداني» وقعت بالطائف سنة ١٢٩٦هـ (١٨٥٣م)، وهو تاريخ يتوافق مع حياة ممدوحية الشريف عبدالله بن محمد المتوفي سنة ١٢٩٤هـ وابنه الشريف الحسين بن عبدالله المقتول سنة ١٢٩٧هـ، وبهذا يكون بديوي قد توفي وهو في الثانية والخمسين من عمره.

وثر تحسناً شعر «بديوي» في المراجع قلن نجد بغيتنا واقية إلا عند «محمد سعيد كمال» صاحب «الأزهار النادية من أشعار البادية» الذي ابتدأ الجزء الأول من كتابه المؤلف من «١٨» جزءاً بأشعار بديوي التي جاءت في سبعين صفحة منه.

ومنه يقول «كمال»: (بديوي الوقداني من قبيلة وقدان التي تسكن ضاحية «نخب» بالطائف خرج هذا الشاعر في عصره حاملاً لواء الشعر. إذا غرد أسكت الياقوت. وإذا غنى أطرب المحافل فارس الميدانين: القريض والحميني (الفصيح والنبطي) مدح وجهاء عصره ونال جوائزهم، وبز أقرانه فلم يلحق له غبار. كان في بدء أمره مشهوراً بنظم «الحميني» ثم قرأ قليلاً من النحر والأدب فتظم القريض وأجاد فيه).

«وقدان» جزء من بقي سعد أظفار الرسول ﷺ من قبيلة «عتيبة» وقد أكد «بديوي» نسيه إليها أكثر من مرة في شعره حيث يقول:

دلت بالروح لمن أرخصت جانبها

وأنا عتيبي عريب الجند والخاني

وهذا بيت من أشهر قصائده في الشعر النبطي ومنها هذه الأبيات:

أيامنا والليالي كم نعمات بها

شبابنا وشباب وعافنا بعض الاحوالي

تاعد مواعيد والجاهل مكتبها

واللي عرف حذها من همها سالي

إن أقبلت يوم ما تصفي مشاريها

تقصي وتقبل وما دامت على حالي

ويتضح من شعره أنه كان مستقراً في قريته ولم يعتد حياة البادية إذ نقرأ له قصيدة يحذر ولده «عبدالعزیز» من الميل إلى البدو:

ولأنعرف من أسرته سوى ولده «عبدالعزیز» الذي يتكرر اسمه في كثير من القصائد وشخص يدعى «عبدالله» يصفه بديوي بـ «سلاحي» وأقرب الظن أنه شقيقه وآخر يدعى «أبو حسن» يخاطبه مشتكياً إليه من «خذلان» جماعته له

فيقول:

يا أبو حسن ودي بالامسا عزابه
وان كان فيهم خلعة تحت الاستار
اصببهم بالذوق لكن خضابه
والحصر ما يصبر على الكي بالنار
عبد العزيز افضى وخيب رجائه
وانتبه وعبد الله سلاحي بعد بار

ويوضح «محمد كمال» أن أول قصائد بديوي القصيدة كانت في مدح الوزير
محمد رشدي باشا الشرواني وأولها:

أبرق لاح أم قمر منير
ومسك فلاح أم تد عبير
سمرت جنح الظلام فقلت بدرأ
يكاد بنوره الساري ينير

وهي قصيدة رديئة الحيك استحوذ الغزل عليها، ولم يتخلص للمدح سوى في
آخر بيتين منها كما أن لبديوي قصيدة قصصية ضاية في ضعف اللغة ورواءة
الأسلوب لا يكاد تارثها يكتشف أنها قصيدة وليست عامية إلا بعد تمعن وتساؤل
منه في شروط القصص ومطلعها:

مر يا شبا الفريد في زين اللبوس
فيه من فرط المحاسن حسن «يوس»
بدر تم نوره بجلي الدججا
حين يبدي تخشعي منه الشموس
لاح منه طلعة وقت الضحى
في بروج السعد لا برج التحوس

ورغم ذلك فإن لبديوي قصيدة قصيدة جيدة في رثاء الشريف عبد الله بن
محمد المتوفي سنة ١٢٩٤هـ مطلعها:

الملك لله والدينيا مداوله
ومما لحى على الأيام تخليد

ومن أبياتها الجميلة قوله في «دم الدنيا»:

إن سالت غدرت أو وهبت رجعت

ظلالاً يزول وما تعطيه مـردود

كما أن ليدوي بيتين جميلين ارتجلهما عندما سقط خاتم الشريط عبدالله بن محمد وانطلق «قصته» فقال:

لا تخش يا ابن رسول الله من حجر

رأي التكارم في كفليك فانفجرا

واقالك سعدك إذ وافي السعود وقد

أعطاك ربك حظاً يخلق الحـجـرا

ومن الواضح أن «يدوي» يركز حتى في قصيده النبطي على مرجعية ثقافية قصيدة لا بأس بها، ومن ذلك قوله:

أصرف حروف الهجا بالرمز واكتبها

عاقل ومجنون حاوي كل الاشكالي

كما أن المتتبع للغة يجد كمأ كبيراً من المفردات القصيدة بالاضافة الى التركيبات القصيدة للجمال كما أنه يعرف شيئاً من التركية كقوله:

هـنـتـه مـنـهـس قـيـمـتـه «پورسكيس»

ولو كان «بكني يوز، ماهوب غالي

والكلمة الأولى تعني «مائة وثمانية» والثانية «مائتين» وأو قوله: (خدامكم ما عاد يملك ولا «بير»)، وير تعني واحد بالتركية.

وثقافة يدوي الجغرافية كبيرة، وهي أما لسفرو وهو ما لا نستطيع الجزم به أو لتردد أبناء الأقايم الاسلامية على الحجاز حيث يقيم، فهو كثيراً ما يردد أسماء المدن في شعره ومنها ماهو بعيد للغاية مثل «بومبي واسطميول والاسكندرية» (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٥٧) من مجلة المختلف.

بركات الشريف

بعد الشريف بركات أحد الشعراء المشاهير في تاريخ الشعر النبطي، وقد ظلت تحيط به دائماً هالة من الغموض بسبب كم المعلومات التي نملكها عنه من خلال شعره، ولكنها لم تكن تقودنا الى معرفة حقيقته رغم كثرتها نسبياً، فمثلاً من خلال قوله:

قال بركات الحسيني والذي له
جواد ما تدنى للمسيح

وقوله:

أنا ابن مبارك زين المجلا
إذا الممنوع أشقى في منيحه

وقوله:

مبارك زين الجاذيات ابن مطلب
ذرا الجار والعائنين عن كل تاييبه

وتمدحه الشعبي قائلاً:

بركات خير من يتسبب لابن هاشم
السيد الملك الهمام الفيضلي
من جدد المحسن وابوه مبارك
تاج الملوك وعلمه السيد علي

نعرف أن شاعرنا هو «الملك بركات بن مبارك بن مطلب المحسن الحسيني...» ورغم هذا التسلسل وتركيز معظم مؤرخي الشعر على أنه من أشراف مكة إلا أن الباحث في تاريخ مكة المكرمة لا يجد حاكماً لها بهذا الاسم إضافة إلى أن أشراف مكة كانوا من أصل «حسني» وليس حسيني كما يتسبب بركات.

ويأتي «الشعبي» الشاعر الذي امتدح بركات ليحدد موقع إمارته قائلاً:

الهضن من وادي القصيم قواصده
لم مطلع التجم الشمالي عن علي
عشر من أوطان القصيم تحبها
مر تحب بنا ومر تهذي

وهكذا نكتشف أن موقع «بركات» على مسيرة عشرة أيام إلى الشمال من القصيم وهو ما لا ينطبق على «مكة» والحجاز بأكمله، وكان من الممكن أن تستمر هذه الحيرة دهوراً طويلاً لولا أن جاء الباحث السعودي «أحمد فهد العريفي» ليحقق كشفاً مثيراً للإعجاب عندما أزال الغموض في كتابه المعنون بـ «الشريف بركات...»^{١٩} عن حقيقة هذا الشاعر القديم.

وقد أثبت العريفي بالأدلة التاريخية والشعرية أن الشريف بركات هو:

«بركات بن مبارك بن مطلب بن حيدر بن المحسن بن محمد بن فلاح المشعشي» أحد أمراء دولة المشعشين التي امتد حكمها حوالي أربعة قرون من الزمان في إقليم عربستان «الأحواز» الواقع في أقصى الشمال الشرقي للخليج العربي إلى الشرق من مدينة البصرة، وهي إمارة أسسها الشريف محمد بن فلاح الحسيني سنة ٨٤٠هـ.

ويذكر مؤرخو هذه الدولة أن مبارك بن مطلب الحاكم التاسع بهذه الدولة في الفترة الواقعة بين ٩٩٨ - ١٠٢٥هـ كان له من الأولاد ثمانية هم «بركة» ناصر، محمد خان، عبدالله، حسن، نعمة الله، عبد، بدر، وعن ولده الأكبر «بركة» وهو الشاعر النبطي المعروف بـ «الشريف بركات» يقول المؤرخ جاسم شير: «بركة بن مبارك بن مطلب المتوفي سنة ١٠٢٤هـ (١٦١٥م) وقيل ١٠١٩هـ كان ذا رأي وتدير نائب، قدمه والده على الأبعاد والأقارب مفوضاً إليه جميع أمر الدولة ولم يخالفه قط، وقد كان بركة عفيفاً ثقياً وشجاعاً مقداماً ظهرت شجاعته في المعارك التي خاضها مع أبيه وهو صغير السن، ومع قابليته هذه لم ينازع أخوته على الولاية والحكم بل كان عوناً لهم في أوقات الشدائد وحل المنازعات».

ويذكر العريفي أن وصف بركات بـ «الملك» لا يتعارض مع قول «شير» أن بركة لم يل الإمارة حيث أن تملكه للأمر كان في أيام والده مع الأخذ بالاعتبار «مجاملات شعراء المدح» مما يبرر هذا الوصف خاصة إذا علمنا أن «بركة» توفي في حياة والده في الفترة التي توصف بأنها كانت العصر الذهبي لإمارة المشعشين.

وتأتي مراجع شعبية على مفارقة بركات لوالده، وتورد في ذلك الأشعار مثل:

إختبرت بعد الدار في نازح المدى

ولا قول بركات قد هان جانبه

والله لو قلت اخطبوا لي فإنتي

صبي الشقا ما لأن للضد جانبه

وفي كل دار للرجال معيشة
والأزواق كالأقوال جزال وهابيه
وقوله في قصيدة أخرى مخاطباً والده:
سلام مع تحيات اليه
وقل يا سيدي وش ذا الخطيعة
تعالينا بنائب ماجنته
وظني فيك حسن ما اضيعة

ويرجح العريضي أن سبب المغاضبة بين بركات ووالده وشاية وصلت الأخير تتهم بركات بمحاولة الإطاحة بوالده وتولي حكم الإمارة، وهذا ما يفسر قوله «أخطيوا.. لي» والخطبة تعني الدعاء للحاكم في خطبة الجمعة.

أما رأي المرويات الشعبية فيوضحه منديل الفهيد من أن المغاضبة كانت بين بركات وعمه وسببها أن زوجة عمه راودته عن نفسها، ولما أبى اتهامه أمام زوجها، فغضب العم وأمر خادمة أن يتعدى بركات عند صب القهوة تحقيراً له، فغضب بركات وترك البلاد مهاجراً.

ويشد العريضي أيضاً الأسباب التي دعت العامة يعتقدون أن بركات هو أحد أشراف مكة ذاكراً أن لقب الشريف يسبق اسم كل من ينتمي إلى آل البيت في أي بقعة من الأرض ولا يلزم وأن يكون الشريف مقيماً في مكة.

أما كون الأسماء الواردة في سلسلة نسب الشريف بركات من الأسماء المؤلفّة بين أشراف مكة فهذا لا يدل على شيء، واعتقد العريضي أن وجود شعراء يحملون اسم «بركات» بين أشراف مكة مثل الشريف بركات من حسن في القرن التاسع الهجري وكان شاعراً قصيداً أحدث مثل هذا الظن كما أن قصيدة منسوبة لشاعر يدعى «عاصر السمين» في مدح بركات أكدت هذا الظن لدى الرواة، ولكن بركات بن محسن من أشراف مكة سبق عصره عصر شاعرنا بركات الشريف بحوالي مائة سنة وهذا رأي المؤرخ أبو عبد الرحمن الظاهري أيضاً.

والكشف الذي قدمه العريضي - للأسف - يجرّد بركات من أهم قصائده وهي الكافية التي ينصح بها ابنه «مالك» ومطلعها:

يامالك اسمع جوابتي يوم أوصيك
واعرف ترى يابوك بأمرك وانهاك

وتعد هذه القصيدة من عيون الشعر النبلي، وسبق لأكثر من كاتب أن شكك بنسبتها لبركات بسبب لهجتها الحديثة وقيامها على قافيتين بعكس بقية قصائد بركات مهمة القافية الأولى كما أن القصيدة تحتوي على أبيات تدل على أن قائلها هو أحد أفراد أسرة الأشراف في مكة وليس حاكمها، والدليل على ذلك قوله:

اعرف ترى «مكة» ولاها ابنا خليك

لو تشجده خمسة ملائيم ما أعطاك

وبيت كهذا لا ينطبق على حقيقة بركات التي كشف عنها العريفي في كتابه إضافة التي أن لبركات كما ثبت تاريخياً ولدان هما «طالب وخرج الله» وهناك ترجيح لوجود ولدین آخرين هما «بدر وعلي» ورد اسميهما في قصائد مدح بركات، ولم يرد ذكر ولد له اسمه «مالك».

وأفادنا القارئ الشريف عبدالله الجودي في رسالة بعثها تلمخلف أن القصيدة السابقة هي لشاعر من أشراف الطوائف يدعى «بركات» أيضاً عاش في القرن الثاني عشر الهجري من آل جود الله النمويين الحسينيين كان شريف مكة سرور بن مساعد قد سجله هو وشريف آخر يدعى «عبدالله القمر» وهذا ما توضحه القصيدة في أبيات منها:

احذر «سرور» بغية البحر يرميك

ولا عنده أهون من تجرُّصك وابغاك

واعرف ترى اللي قد وجنا «الضعر» واطيك

ولا انت اعز من الجماعة هذولاك

إن اشتهى حظ الطمع في تواليك

لو ما لقيته يا فتى «الجود» يلغاك

وهكذا نعرف أن هناك شاعرين يحملان ذات الاسم «بركات الشريف» الأول هو صاحب القصائد مهمة القافية الأولى وهو حسيني عاش في الأهواز أوائل القرن الحادي عشر الهجري بينما الثاني صاحب النصيحة المشهورة على قافيتي الكاف وهو حسني عاش في الحجاز في القرن الثاني عشر الهجري.

أما أشعار بركات الشريف (المشمعي) فمن أشهرها قصيدته البائية ومطلعها:

عفا الله عن عين لئلا غضا محاربه

وقلب دنيا زاید الهم حاربه

وقصيدة عينية على وزن الصخري، وأخرى نوتية لم يتم العثور عليها كاملة.

وهناك بعض القصائد والأبيات المتسوية لبركات وليست من شعره أشهرها القصيدة الكافية التي سبق أن ذكرناها.

هذا هو الشريف بركات الشاعر البجلي الذي اتضح لنا أنه نحت لرجلين لا رجل واحد، وهذا الكشف يدعونا إلى إعادة النظر في المسلمات التي توارثناها هي فلكتورنا الشعبي، فلو فكر كل منا بهذه الطريقة العلمية لألقي الضوء على مناطق معتمة كثيرة من تراثنا الشعبي. وحرره مما علق به من اعتقادات أخفت الحقائق وراء حجب من الأوهام. (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٥٩) من مجلة المختلف.

حمد المغلوث

تعتبر منطقة الأحساء من المناطق الثرية بالفشاح الأدبي في الجزيرة العربية وخاصة الشعر بشقيه القصيحي والنبطي على امتداد العصور، وبالنسبة للشعر النبطي فالأحساء احتضنت المئات من الشعراء سواء من آبائها أو ممن وفدوا إليها ، وهما يلي نبذة عن واحد من أهم شعراء النبط في تلك المنطقة.

شاعرنا هو: «حمد بن عبد اللطيف بن علي بن ناصر بن حمد بن حمود المغلوث» من المغاليث من عبدة من قبيلة شمر. ولد في حي «السياسب» ببلدة المبرز القريبة من الهضوف سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠م).

ترعرع المغلوث في بيت ميسور ذي حسب وجاه في بلده، وكان والده عبد اللطيف المغلوث وأخوانه وأبناء عمه كثيراً ما يذهبون إلى الكويت للتجارة، فاتصلوا بشيوخها وصاروا من المقربين لأميرها كما أصبح لهم في الكويت أملاك وعقارات حتى استقر بعضهم هناك، وقد عمل الشاعر خلال حياته بالتجارة ما بين الأحساء والبحرين والكويت والزيير والهند.

هكذا استقر شاعرنا في الكويت صغيراً لكنه لم يكن ينسى مهبط رأسه ، وكثيراً ما كان يأتي إلى الأحساء، ولكنه لم يكن يستقر بها حتى يعاوده الحنين للذهاب إلى الكويت وظل يتذكر الأحساء في شعره، ونرى ذلك في بعض أشعاره حيث يقول:

تَناهت حَسْرَتِي وهَمُومُ حَسْرَتِي

وَأَنَا فِي دِيرَةِ اجْتِنَابِ هَمِي

غَرِيبِ الدَّارِ وَاحِبِ ابْنِ جَنُوبِي

وَأَنَا عَنْهُمْ شَمَالٌ فِي مَغْرِبِي

وكان كثيراً ما يذكر حي «السياسب» بأبرز ويمدح أهله كما في قوله:

عند السِّيَاسِبِ لَابَةٌ مِثْلُ شُرُوكِ

الكل منهم يحتمل بالخمسائر

أهل دلال كالفخريتيق وأدكك

وحيل تقلط للوجيعة السفائير

أما تعليم حمد المغلوث شأنه كشأن معاصريه: ذهب إلى الكتاتيب ودرس عند الطوع فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة مما كان له بالغ الأثر على شاعريته

بالإضافة إلى أثر البيئة التي عاش فيها فجدده الثالث (حمد المفلوئ) كان شاعراً أيضاً وكذلك كان والده وبعض أعمامه، وكانت مجالسهم في الكويت والأحساء مقصداً للشعراء والمثقفين والوجهاء.

ولحمد علاقات مع العديد من شعراء عصره، فتجد له مراسلات شعرية مع سليم بن عبدالحى والسيد هاشم الرضاوي وعبد الرحمن القصيمي وفهد الشريدة وغيرهم، ومن أشعار المفلوئ قوله على لحن قصير:

دمــــــــــــــــي تحــــــــــــــــدر على الموقف
خــــــــــــــــرق خــــــــــــــــدودي سكبــــــــــــــــه
من يوم فــــــــــــــــارقت أبا الشــــــــــــــــوق
راعي الدنول العــــــــــــــــجيبــــــــــــــــة
من دونه البــــــــــــــــاب مــــــــــــــــخلوق
صــــــــــــــــوئتي الله حــــــــــــــــسيــــــــــــــــبه
طفل من البــــــــــــــــيض مــــــــــــــــعشوق
يا ليت من يحــــــــــــــــب تــــــــــــــــضي به
من صــــــــــــــــلته الجــــــــــــــــسم مــــــــــــــــسروق
والقلب يــــــــــــــــعمر لــــــــــــــــهيــــــــــــــــبه
من لأمــــــــــــــــني جــــــــــــــــعل لــــــــــــــــعــــــــــــــــوق
والأــــــــــــــــصــــــــــــــــايب تــــــــــــــــصــــــــــــــــيبــــــــــــــــه

وكانت من هوايات الشاعر المفضلة (القناص) إذ يرتحل إلى البراري مع رفاقه وكان مولعاً بالبادية يمشق العيش فيها، فيقضي معظم أيامه فيها خاصة في رحلاته وتنزهاته عند البدو، ونلاحظ ذلك مؤثراً في قصائده.

أما عن هيئة الشاعر فيذكر بعض من رآه أنه «كان مربع القامة. معتدل الجسم، أبيض اللون. صاحب نكتة مما جعل أناس من وجهاء وعامة يحبون الجلوس معه والتحدث إليه». هذا وقد توفي المفلوئ في الكويت سنة ١٢٥٩هـ (١٩٢١م). (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٨) من مجلة المختلف.

حميدان الشوير

لا يُذكر التقى الاجتماعي والشعر الساخر في منطقتنا إلا ويكون «حميدان الشوير» هو لب الحديث وزينة السمر، وهو الشاعر الذي ما يزال حاضراً في ذاكرة المجتمع رغم مرور أكثر من ٢٥٠ عاماً على وفاته.

وحميدان الشوير أو «محمد بن ناصر السيارى الخالدي» كما هو اسمه الأصلي شاعر عاش في القرن الثاني عشر ببلدته «القص» وكذلك في «وثيا»، ولا تعرف سنة ميلاده ومختلف في تحديد سنة وفاته بين ١١٦٠ هـ و ١١٧٨ هـ و ١٢٠٠ هـ (١٧٨٩ م) ولعل السنة الأخيرة هي المرجحة، وأثبت أنه عمر حتى قيل «في مبالغة واضحة» أنه عاش ١٥٠ سنة.

ويوصف الشوير بأنه: «قصير عظم ورأسه كبير وحيتته بيضاء ووجهه حسن، ولا يخرج من المسجد إلا متأخراً ولا يجلس مع عامة الناس بل تجده مع الأمراء والمشايخ، وفي المجلس لا يتكلم إلا بما فيه فصاحة وبلاغة ويكاد فلا يود مجالسته أن يسكت، وعليه هيئة عظيمة وكريم وشجاع».

ومن أعق الذين كتبوا عن الشوير د. عبدالله ناصر الفوزان الذي اعتبره رئيساً لتحرير صحافة نجد المثيرة في القرن الثاني عشر والتي تتخذ شعاراً لها قوله:

اقول النصايح واعد الضايح

عن اللي فعلها ولا اخاف لايم

يقول الفوزان في كتابه الذي ألفه عن حميدان الشوير: «لقد كان حميدان الشوير صحيفة شفوية مثيرة ذاتة الصيت والانتشار، يتخاطفها الناس فور صدورها، ويتبادلون قراءتها ورواية أحداثها، ويرفعون حواجبهم - غالباً - إندهاشاً من شجاعتها وجرأة آرائها وأحداثها، وأحياناً تضحكهم لشدة سخريتها».

إهتم كثير من الكتاب بشعر حميدان وأقروا له الصفحات، واستطاعوا رسم صورة بانورامية لحياة هذا الشاعر بدءاً من نجد ثم ارتحاله إلى البصرة وعمله هناك حارساً لِمَسَاتِين النخيل ثم مغادرته للزبير، وهي الرحلة التي صورتها في قصيدته الشهيرة:

ظهرت من الحزم اللي به

سيد السادات من العشرة

إلى جـاءك الولد بيـديـه طين
 وله غرس يحرق في جـفـاره
 ترى هـذاك ما ياخذ زمان
 ألا وهو جـامع له تجـاره
 وإلى جـاءك الولد مطرق خليج
 ومن نوم الصفر غاشر صفـاره
 يبيع ورث امـه وابوه
 مديق ما تـهـبـشـه الغـفـاره
 فـاحـذر يا اديب تحط عتده
 لك يـنـتـ تموت بـوسـطـك داره

صديقي عرفته اني ما لحظتـه
 وامـيز عـدوي وافـهم وسايـه
 حـاجـه وعـيـنه لثـلـي دليـل
 وشـي المعرفـة فـلا هـوب فـاهـم
 أعرف الدروس وكل الرمـوس
 وادل المـوارد بـليـها عـلايـم
 أقول النصايح وأعد الضايح
 عن التي فـاعـلها ولا اخاف لايم
 ولا قـبـاتني كل امـر بـفـيـتـه
 محلي تعلـى مـتـون النعـايـم (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٢) من مجلة المختلف.

حنيف بن سعيدان

من منا لا يعرف هذا البيت الشهير والذي يردده بعضنا دون أن يعرف الشخص المقصود به:

خمسة عشر فنجال لحنيف صنييت

لو أن بطنه قرية قد سلاها!

... فيما يأتي نتعرف على شخصية «حنيف» والذي كما هو معروف أنه لم يمهل مضيفه الذي تناقل من كثرة ما صلب لحنيف من فناجين القهوة دون أن يهر الأخر فتجانه فرد عليه حنيف مباشرة يهذين البيتين اللذين سارا في الناس أيضاً:

لا نجسب أني من دلالك تقههويت

ما تنقه الشراب من كثر ماها

يا موصي الحرمة على صكة البيت

تقول ما اتب فيه والله وراها!

«حنيف» صاحب هذه الحكاية : هو الشاعر حنيف بن سعيدان المطيري ، وقد عاش في الفترة ما بين عامي ١٨٤٨م (١٢٦٤هـ) و ١٩٤٢م (١٣٦٢هـ) تقريباً أي أنه عاش قرناً كاملاً وشهد التطورات الحديثة التي عاشتها المنطقة في النصف الأول من القرن العشرين.

وقد أوضح لنا القارئ هزاع محمد الأسيمر في رسالة بعثها لمجلة المختلف أن المحاوراة السابقة جرت بين حنيف وصديقه الشاعر ناصر العبدالكريم وهي أطول من ذلك.

ولعل أول ما يعلق بالذاكرة حين يذكر حنيف هو حبه لشرب القهوة ، ويتوقف في البداية مع بعض أبياته في هذا العشق، فنقرأ قوله في مدح الشيخ نايف بن هلال من البصايصة:

لو صرت لا سايل ولا نيب مسيول

نحرت من كبد المسير بهجها

إن قال هات بهار ما قيل مشيول

من بقشة نقش البرسم عرجها

ابن صافي للمعاصيل مزول
 من دلع حوافها ما طهجاها
 فنجالها بالوصف ما هوب مجهول
 خضاب صدرها ما يقه في فنجها
 فنجالها يعدي لزول ورا زول
 إثنين والثالث مروني زرجها
 وسقها على اللي بالدهر يذبح الحول
 واللي جواده للمستلي عنجها

ولحنيف قصائد في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود موحد الجزيرة العربية ومن
 ذلك قوله:

تحالفوا قدامي من الناس شيبان
 ما جابت الخففات مثله ضنيّه
 ما جابت الخففات مثله ولا كان
 لا داخل البيدا ولا خارجيه
 أقصر يخلي وأقصر الريش عريان
 خبطة يده تورث حياض المنيّة

ومن شعر حنيف أيضاً ترى تغنيه بالنازل كعادة الشعراء القدماء متخلصاً إلى
 المدح فيقول:

يا عـلـدَ واعـلـك من الوسم مطـور
 من نو براق تقاضت عشـاياـه
 يا عبد ما مروك بهلال عاشور
 واستجنبوا مثل الفهود المفـذاه
 أهل بيوت كنـها شـمـع القـور
 لي جيت هذا ما تعدي لهاذه

ونلاحظ أن المثالين السابقين من شعر حنيف جاء في بداية قصيد المدح .
 ولحق فقد عرف حنيف بهذه النوعية من القصائد بالإضافة إلى شعر الفخر . وكان
 مجيداً في هذا الجانب بشكل قل نظرائه ومن قوله في الدوش شيخ قبيلته:
 اسمه على جسمه وفعله على ساس
 وفعل أول أهلهم من عصور الصحابة

مهـارهم في ملتقى الخـبيل شطآن
 وإيمانهم ترمي العـشـاشا للذباب
 لبـاسـة المـاهـود والدرع والطنـان
 ومـصـفـل تـدني المـنايا ذبابه
 ومن قصيدة أخرى في مدح الشيخ محسن الفرم يقول حنيف بن سعيدان:
 عذيت بالمرقاب من ضيق جولي
 وعدت في رأس الحـجـا ما طرا لي
 في مـرقـب ما هـيبه زول يزولي
 وهـيـضت أنا في رأس رجم حـجـالي
 يا أهل النضـا توفـعوا واقـهـروا لي
 مـقـدار سـاعـة والركـايـب عـدالي
 صـدوا لي ارقـاب النضـا واريـعوا لي
 كلمـة وسـيروهن عـساكم عـجـالي
 من يوم أبو جـلال ما هو بحولي
 من دونه الجـازي تـرني الفـزالي

وإضافة للمدح فقد عرف حنيف بن سعيدان بالأشعار اللاذعة في الهجاء حتى صار من الصعب أن يتغلب عليه شاعر مقابل له في هذا المجال إلا ما ندر، وتتلخص ذلك من الحكايات الطريفة التي ذكرها له ابن خميس في كتابه «الأدب الشعبي في جزيرة الغريد»، والتي لولا قصوتها لنشرناها ولكن نكتفي بالقول أننا نعرف منها ما كان يتمتع به من حدة في الهجاء، ونعرف بعض معاصريه كالشاعر عبدالله بن سبيل الذي تهاجى معه بأبيات قليلة.

والغريب أن الباحث في شعر حنيف لا يجد الشيء الكثير منه رغم قرب الزماني بنا والعمر الطويل الذي عاشه وتجاوز الثمانين سنة بالإضافة إلى ندرة الأشعار التي وصلتنا له في موضوع الغزل وهو الموضوع المحبب لدى الشعراء وهل ألا يتطرق إليه أحد منهم حتى قال مندبيل الفهيد: «لم نسمع من تغزله إلا هذين البيتين:

الصاحب اللي ملني بالهـوى مل
 ملـمـال قـرصـ مـلـمـلوه التـكـيـفـي
 زادوا عليه بوقـدة الرمث مـشـعل
 عيشه شعير وشيخ قومه خـفـيـفي

إلا أن لحنيف قصائد أخرى في القزل منها أن إحدى النساء تعرضت له قرب
المورد علّه يكتب فيها شعراً وبالفعل قال فيها قصيدة منها:
يا ناس قلبي حباير وين باقـديه
أما اهـزعوا والأعطوه السـتادي
والأعطوه مـفـيـزل العين يـبريه
يوزيه من بين النـحـر والـثـادي
تري الحظيف، اللي عـشـيره يـصـافيه
والأرديفه فوق عـصـم الأيادي
إلى يخى له حـاجـة ما يناديه
إلى التـصـفـت ما دونه الأـشـادي

وذكر حفيده ضيف الله بن راشد بن محارب بن حنيف الذي بحث مجلة المختلف
بمقال عن حياة جده أن حنيف بن سعيدان كان: «طويل القامة عريض المنكبين
والنحر. كبير الرأس أسعم الوجه، وكثيراً ما كان موضع اهتمام من يقابله وهو لا
يعرفه. وقد توفي «يرحمه الله» سنة ١٢٦٢هـ (١٩٤٢م) تقريباً ودفن عند ماء يسمى
«الوقبا» في منطقة الحدود الشمالية للسعودية عن عمر قارب المائة. (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢٠) من مجلة المختلف.

راشد الخلاوي

راشد الخلاوي واحد من أولئك الشعراء الذين عاشوا في عصر حالك الظلمة لا من حيث عدم وصول أخباره وواقعه إليها فيحسب بل أنه عصر كان أشبه ما يكون بالجاهلية في أميته وبعده عن تناول الرواة ونقل الأخبار.

لذا فإن بروز شخصية مبدعة تحمل إلى جانب ثقافتها الاجتماعية وتجاربها الكثيرة شعراً حكيماً رصيناً كـ «الخلاوي» يعتبر حدثاً هاماً وانتباهة زمنية نادرة.

عُرف عن الخلاوي طول النفس والشاعرية المتأنقة أما القرن الذي عاش فيه فهو على وجه التقريب أواخر القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الحادي عشر الهجري حيث أن معدوحه منيع بن سالم عاش في أوائل القرن الحادي عشر ، والخلاوي يذكر في شعره وقتئذ أنه بلغ الثامنة والتسعين من عمره.

● وطنه :

المعروف أن وطن الخلاوي نجد، وأنه عاش متنقلاً فيها هنا وهناك، متتبعا مساقط الغيث ومراعي السائمة مع طعون الرحل، وله تنقلات بعيدة وقريبة أكثرها معدوحه منيع بن سالم في هجر، وقد ذكر في شعره «وادي حنيضة» أكثر من مرة وذكر القريتين «أشيقر والفرعة» وذكر «حقيلا والمصيقر والرضيمة والسر والظفراء» وذكر «الثلیماء» وربما يقصد ثلیماء الخرج أو ثلیماء وادي خليفة أو ثلیماء ملهم كما أنه ذكر «الیمامة» أكثر من مرة.

● شعره :

كان الشعر الشعبي في الزمن الذي عاش فيه الخلاوي يأخذ طابعا خاصا في معانيه ومعانيه، وكان الشعر الهلالي أبرز صوره فيأخذ بوشيجة من الشعر العربي الفصيح في لفته ووزنه. وتبرز في شعر الخلاوي هذه الظاهرة وتكاد ترجع كثيراً من شعره الى أصله الفصيح وزناً ولفظاً إلى جانب ما يتحلى به من جزالة وفحولة.

● أغراض شعره :

أولاً- في الحكمة يقول :

من عــــوّد العین الرقــــاء تعــــوّدت

ومن عــــوّد العین المســــاري تعــــاوّد

ومن عبود الصبيبان أكل بيبيته
 عادوه في عسر الليالي الشدايد
 ومن عبود الصبيبان ضرب بالقنا
 نخوده نهار الكون: يا بالعوايد:
 الى أن قال:

تعد الليالي والليالي تعدنا
 والعمر يفنى والليالي بزايد
 وقوله:

حريب جدك لو صغاً ما يودك
 وعينيه لو تبيكي لك الدم كاذبة
 احذر عدوك في الملا فـرد مرة
 واحذر صديق بالسوالف تحاط به
 وترى ابرك ساعات الفتى ما بها الفتى
 وما فات مات وساعة الغيب ضايبه
 وقوله كذلك:

الاطبـاع تطـبع جـود من جـاد جـده
 ولو كان من بيت رفاع وناصيه
 والاطبـاع تـارد بالفتى مـارد الردي
 وما الدين والدنيا والاطبـاع خاربه

ثانياً- الايمان والاستقامة:

يحفل شعر راشد الخلاوي بسمات الايمان والاستقامة ومعرفة حق الله وشؤونه
 في خلقه مما يدلنا على أنه متشبع بروح الدين الإسلامي ومجالسة العلماء ووعي لما
 يسمع رغم أنه الضأ براري وأسفار كما في قوله في قصيدة لا تخلو من حكمة
 صبغت شعر الخلاوي بأكمله:

فـلا تلـوى عـما برى الله متقى
 ولا حيلة يحـثـا لها الكون ضايبه
 والاقلام جفت بالذي صار واستوى
 على الكون وظوال السجلات كاتبه
 فـلا عـزير إلا من الله عزه
 ومن لا يعـز الله لو طال زال به

ولا خير في مالٍ عن الله شاعل
ولا خير في دنيا عن الله حاجبه

ثالثاً - عزة النفس:

يوصي راشد الخلوي في شعره على عزة النفس والمغالاة بها عن أن تدنسها
الأطماع أو تقف مواقف ذلة وخضوع بل تبقى أبداً كريمة مستقيمة، ونقرأ مع
الخلوي:

مقام الفتى في منصب العز ساعه
ولا الف عام يصحب الذل صاحبه
والذل حتى للضوازي يسئها
كما سلّ داء المل مغلق صاحبه
حياة بلا عزُ حبا الله خطها
حياة الفتى ما فاتها العز خايبه
فاني المرء صار العار والذل حظه
فالموت ستر له يغطي معايبه

رابعاً - العلوم:

يعرف عن راشد الخلوي بأنه فلكي بالخطرة يعرف الفصول والبروج ودالاتها
وكذلك النجوم ودالاتها، وتفوق في هذه الأشياء تفوقاً لا نظير له كما في قوله:
لي صارت الجوزا أمام كنهها
فارق الطبّا قد لاحين نواحي
فالنزوع ما بين اقلات واخناق
واشتد زائد العامل الفلاح (x)

(x) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٤) من مجلة المختلص.

راشد الديباس (أبو دباس)

هي الشعر النبطي قصائد ذاعت بين الناس وحفظتها صدور الرواة وتناقلتها الأجيال دون أن يكون لأصحابها ذات النصيب من الشهرة، ومن بين تلك القصائد زدية أبي دباس وولده دباس التي ذكرت في معظم المدونات الشعرية القديمة دون أي معلومات عن شاعرها سوى أن اسمه «محمد» أو «راشد» بالإضافة إلى المعلومات التي تقدمها القصيدتان من سفر الإبن للعمل وبقاء الأب وحيداً مما دعاه لكتابة القصيدة غائباً على انقطاع مراسيل الإبن مدة ثماني سنين، ومنها:

يا وثق وثبتتها من خلوا الراس

من لأهب بالكبد مثل السعيرة

ونين من رجله شدت ثقل مقواس

يؤن ثالي الليل يشكي الجبيرة

ويا حمس قلبي حمس بن بمحماس

ويا هشم حالي هشمها بالنجيرة

ويا وجد حالي يا ملا وجد قراس

يوم اثمرت واشفا صفا عنه بيره

على ثمر قلبي سرى هجعة الناس

منسخر رب عسى هبسه خيرة

الله يفكه من بلا سوا الاتعاس

ومن شر عيشات الليالي يجيره

في ديرة تقطعت عنه الارماس

سبعين يوم للركائب مسيره

لا والله الا حال من دونه الياس

حط البحر واليردون الجزيرة

بالله ياللي رد من علقب الاياس

يوسف علي يعقوب وابصر نظيره

ترجع علي «دباس» يا محصي الناس

يا غالم بالخاهنية والسيرة

ولما وصلت القصيدة الى «دباس» أرسل الى والده شيئاً من المال ووعدته بسرعة

العودة، وكتب قصيدة منها قوله في بدايتها:

حي الجواب اللي تـُـفـانـا من الراس
جـابـه غـلام مـا تـوانـا مـسـيرـه
جـواب من هو لي مـسـود من الناس
أبـوي مـا يوصـف حـلي تـسـيرـه
فـرز الوغـا كـنه عـلى الوكـر قـرناـس
وقـروم ريعـه كـلها تـسـتـشـيرـه
دليل عـيـراتـي لـيـا هـب نـسـاس
ثم ادلهم الجـو مـا من دـخـيرـه
مـهـمـي الغنـم لـاهـل الركايب والافراس
لي روحو لـه مـا عـلـيـهم قـصـيرـه
راعي مـعـامـيل بـها العـبـد جـلاـس
للـين يـشـري بـالـسـنـين العـسـسـيرـه
وهي ختامها يقول دبـاس:

إن كان تشكي الضيق يا بوي لابس
جـاك الفـرج يا بوي هو والبـريرـه
والا فـانـا يا بوي قـطـاع الارمـاس
أصـير عـلى الشـدة وتوـهي عـسـيرـه
أبـغي عـسى الله يـبـرد القـلب يا ناس
من لاهـب شـبـت بـقـلبي سـعـيرـه
ومن كان له غـايـب فـلا يـقـطـع الـيـاس
إن قـدر الله جـاب عـلمـه بـشـيرـه

وقد وردتنا في المختلف رسالة من الثارئ مشاري بن راشد بن حمد الدباس من مدينة الرياض تضيء جوانب خفية من حياة هذا الشاعر يقول فيها:

«الشاعر» أبو دبـاس» هو: راشد بن عبدالله بن دبـاس بن علي الدباس - المكنى بابي دبـاس - ولد وعاش وتوفي ودفن في بلدته «عودة سدير» البلدة المعروفة بمنطقة سدير شمال الرياض (تبعد حوالي ١٥٠ كم عنها) ، وقد عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري من بيت حميد ونسب ورتاسة ويرجع أصله إلى الدواعين من الدواسر : وهو ينحدر من سلالة غانم بن سابق بن ناصر الدواعني

الدوسري».

ويضيف القارئ أن أبا دباس كتب قصيدته المشهورة عندما غادر ابنه دباس من بلدته «العودة» إلى ساحل الخليج العربي «الإمارات العربية المتحدة وعمان» بحثاً عن اللقمة الشريفة كمعظم أبناء جيله في الترحال لطلب الرزق، وهذا يتضح من بيت الأب الذي ورد في القصيدة واصفاً الرحلة حيث تبدأ من بلدة العودة إلى الصمان:

تتشرب من «العودة» على نور الأتفاس

عند الفجر والليل مقضي مريره

والعصر بالصمان تسمع لها أضراس

حبيل الرمن خطر تبتثر جريره

وقد كتبها حاثاً ابنه على العودة إلى بلدة والبقاء مع أسرته وجماعته في ظل شوق الوائد لولده ، ولأب العديد من القصائد التي لم تدون وظلت تتناقل بين كبار السن حفظاً مما أدى إلى قلة ومحدودية تداولها بين الناس وله أيضاً هذه الأبيات:

جعله من المشقر إلى نجد ومزوم

ومداين عنها جنوب وشمال

والى أخذوا شهر وخمسة عشر يوم

تباتسروا بالفضع والعشب زامي

وله من قصيدة أخرى:

عيّ عديم ما يطيع العذاذيل

والى نوى درب هلال هيبه حيلة

وقد أشار القارئ في نهاية رسالته إلى أن راشد الدياس توفي في العودة ، وخلف ثلاثة أبناء وبنت هم: دباس، وعبدالله، ومحمد، وزهية». (x)

(x) نشر هذا الموضوع في العدد (٦١) من مجلة المختلص.

راشد بن عفيشة

يعتبر الشاعر «راشد بن محمد آل عفيشة الطهواني الهاجري» واحداً من أبرز الشعراء الذين عاشوا جيل الشعراء الكبار في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وقدموا تراثاً شعرياً زاخراً بالإبداع ، ولا يذكر راشد بن عفيشة إلا ويذكر معه ولده الشاعر عمير بن راشد الذي ورث عنه الشعر حتى صار علامة بارزة في تاريخ الشعر النبطي وخاصة في دولة قطر التي قامت وزارة إعلامها قبل سنوات بجمع تراث هذين الشاعرين في ديوان باسم «آل عفيشة» قام بتحقيقه وشرحه حمد الفرحان وحمد بن عمير نجل الشاعر.

كان الشاعر راشد بن عفيشة مولماً بالترحل ونجد في شعره وصفاً لنواحي نجد وجنوب العراق والشام، وفي شعره حماسة حتى قيل أنه كان «يشعل نار الحرب ببيت ويخمدنها بآخر» كما اتصل بالشيخ قاسم بن محمد آل ثاني مؤسس حكم آل ثاني في دولة قطر ومدحه، ومن ذلك قوله سنة ١٩٠٠م:

منصاك شيخ يجعل الشـر مـادوب

«أبو فهد» نور الوطن غـوج الأطلاب

الشيخ قاسم زين من جاء مكروب

فرز الوغى لي من هبـا كل هبـاب

نجم لعقاريت الفـراعين مكتوب

مفـراص قـولاد ولـلحـرب دولاب

حصن لنا عن سود الايام منصوب

وحن ميفه اللي ما يبقي بالارهاب

هو درعنا الضـافي إلى مسـنا اللوب

سور لنا عن جور الايام وحجاب

كما اتصل بالشيخ زايد بن خليفة آل نهيان المعروف بزايد الأول وهو جد الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات الحالي حيث جاء إليه متوسطاً لبعض أقاربه ممن كانوا في السجن ، وقد أطلقهم الشيخ زايد إكراماً له، فيقول:

منصاك فرز الدار في حومة الوغى

شيخ على الشيخـخان له ماقـفر واهي

أسد سيدي سابق اسمه فعاليه
يحط عقرت القراعين ميلافي
فلا يحاتي كون عود مقبرنس
يحاتييه من ضد الليالي بالاسلافي
باز قهواضع له حرار بروسها
تحت صيخ وكره يطلب العفو من خافي

كما أن راشد بن عفيشة قصيدة في مدح الأمير محمد الرشيد ومدح السلطان
عبد الحميد الثاني كما أنه رد على قصائد الشيخ راكان بن حثلين وله قصائد كثيرة
في مدح قبيلته وذكر مآثرها .

وقد عمر راشد بن عفيشة طويلاً حتى تجاوز الثمانين من عمره وكف بصره ،
ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد لكنه في الثلث الأول من القرن العشرين
الميلادي .

أما ولده عمير بن راشد آل عفيشة فهو أحد سبعة ذكور أعقبهم راشد وأمه من
آل مرة .

ولد عمير بن راشد سنة ١٨٩٠م (١٢٠٧هـ) تقريباً ، وقال محققا ديوانه عنه :
«شعره عميق جميل - لا يختلف اثنان على روعة شعره وجماله ورهته وعذوبته ،
واحتمل عمير بن راشد العفيشة مكانة بارزة بين شعراء الطبقة الأولى من شعراء
البيط في الوطن العربي . وقدمه كثير من النقاد . له قصائد مشهورة في كل مكان
من جزيرة العرب وله أبيات جرت مجرى الأمثال . عارف بكثير من المسائل والتاريخ .
له قصائد يذكر فيها أقواماً لا يعرفهم غيره إلا قليل» .

وشعر عمير بن راشد كثير وتتنوع أغراضه في المناسبات الوطنية والفخر والغزل
والعتاب والمدح والرتاء بالإضافة إلى قصائد الرمد والتصيحة كما أن له مساجلات
كثيرة بينه وبين شعراء عصره في قطر وغيره من أمثال صالح الكواري ولحدان
الكبيسي وعيسى الرميحي ورشد بن عجب الهاجري وبلال بن حارب والشاعرة
عوشة السويدية .

ومن شعر عمير بن راشد نلتقط الأبيات الآتية :
البارحة نومي تفارق وموقه
سهر وغيري في حال النوم شافي

باسمباب طيرري صنادقت له وفوقه
 قص العلق واقضى له النود قاضي
 طير له الصقار نفسه زهوقه
 حر وبن اسما الحرار اختلافي
 اما اشقر جارج سريع لحوقه
 ما هوب للمقضي قلوب مرافي
 درع مخاليبه وذرع شيدوقه
 من نشر دم الخرب تحت الخوافي
 والا نعيرري صخار دقوقه
 طلعه حرار اليها اعتلوا بالكشاففي

وله في النصيحة هذه الآيات:

ظروف الدهر ما عباد ينجي شريدها
 وتمكن الطارد بقبضة طريدها
 كما قال راعي الوصف: طاردك لا حقلك
 بطول المدى عزى لحالة وحبيدها
 فيما غافل الدنيا ترى الحذف واصلك
 تشبهه ترى الأيام هل من مزيدها
 وللهمم رحد وكل حي له الفنا
 يكون الذي كئون سماها ويدها

وامتد العمر بالشاعر صجير بن راشد آل عفيشة الهاجري حتى توفي سنة
 ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ) بالعاصمة النمساوية فيينا حيث كان يتعالج ، ودفن في دولة قطر
 رحمه الله. (١٠)

(١٠) نشر هذا الموضوع في العدد (١٦٩) من مجلة المختلص.

سالم الحميد

حين كانت بلدة الزبير تزخر بأهلها من أهل نجد الذين اضطرتهم سنين القحط والأوبئة إلى أن يهاجروا شمالاً عرفت هذه البلدة عدداً كبيراً من الشعراء ، وليس محمد بن لعبون وعبدالله بن ربيعة وعبدالرحمن القصيمي سوى أمثلة لشعراء آخرين كثير يعد «سالم الحميد» أحد أبرزهم ، وسنحاول في ما يأتي من السطور التعرف على هذا الشاعر وما ترك من تراث.

هو «سالم بن محمد بن عبدالله الحميد» من مواليد الزبير سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) ، وعاش حياته فقيراً رغم أنه عمل رئيساً لحراس البلدة في بعض الفترات ، ومات فقيراً بعد أن عمّر أقل من مائة سنة حيث توفي سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م).

رغم قصائده الجادة التي كانت تتمثل في شائبة أغراض المديح والثناء والحكمة فإنه اتخذ من الطرفة والسخرية والألحان الفشائية الخفيفة قالباً لغزلياته وخاصة في محبوبته التي كان يلقبها بـ «ثقيلة».

ومن أشعاره قوله في مدح الشيخ حمود بن جراح الصباح:

يا رجم عديتك ولو كلف مسرقاك

ياغ أكسر عيبرتي فوق عاتيك

لو البلا به «سالم» كان ما جاك

وقع براسك ما تخرى بحمديك

يا قلب طاروني والى طبعك طبعك

تعلم بمضمووني ولا هوب خافيك

وهي آخر القصيدة يقول سالم هذه الأبيات:

من أول نرعى أميين بحمصاك

واليوم قلينا على الدار فرجيك

ما زل يوم الأ على البقال طرياك

عمرك يطول ويبعد الشر ما يجيك

يمناك يا زين المشافيق يمناك

العز هالك والتسعيد دوم يتليك

وتعود للقنص مرة أخرى فنرافق الشاعر سالمة الحميد في رحلة قنص مع أحمد البراهيم الراشد شقيق «عبدالله» شيخ الزبير سنة ١٣٢٦هـ، وكانت مع سالمة بندقية لا تخطئ فأصاب بها ستة من الخيلاء تمزقت جلودها، ولم يصدق أحمد أن كل هذا من صيد الشاعر بل قال أن تمزيق الجلود دليل على أن الذئب هي التي افترستها، وعندها قال الشاعر قصيدة أكدت له حقه في الصيد منها:

الصيد يذكر بالجمال حكي به
تحزمووا يا أهل المواز يترتيب
كل يمين بالتفافيق طيبه
عنه اليني إلبا تقيتوا المعازيب
يا صبيد انا صيد الخلا مشتقي به
ربيع قلبي طردهن باللواهيب
الحميد لله يوم جيتني غريبه
من سلاح دولتنا عطاها المناصيب
خمسة كيالة رميها تفتدي به
ما هو خفي بين بالتجارب
«الجرمني» من صاغها لا تجيبه
شغل الخبيث مسووجه باللوالب
صناعها يصنع ولا احد يري به
مجد يشوفه باقي له سراديب

ولو أردنا أن نقف مع كل حكاية من حكايات سالمة الحميد ونقرأ ما كتب فيها من شعر لطال بنا الأمر، ولكن يبقى لنا أن نقول أن شعر سالمة الحميد أو جزءاً كبيراً منه جمعه د. علي عبدالرحمن آيا حسين في ديوان بإسم الشاعر ندرت نسخه الآن، وكم أتمنى أن يقوم أحد المهتمين بشرات هذا الشاعر بإعادة طبعه، والإهتمام بجمع المتناثر من شعره في كتاب يستحقه هذا الشاعر منا. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٠) من مجلة المختلف.

سليمان بن شريم

يعد سليمان بن شريم واحداً من شعراء النصف الأول من هذا القرن المميزين ، ووصلت شهرته للحد الذي دعا صاحب «التحفة الرشيدية» مسعود بن سنان للقول : «هو من فحول الشعراء الشبطين لا يدانيه أحد في إبداعه وشاعريته» ، وقد سمعت مراراً من شعراء كثيرين وأدباء الكويت والجزيرة العربية أنه يلقب بحق متبي القرن العشرين».

ولد «سليمان بن ناصر بن شريم» وهو من بني زيد المعروفين من حاضرة نجد في بلدة «عين ابن قنور» في «السرا» بإقليم القصيم سنة ١٢٠٥هـ (١٨٨٨م) في بيت عيسور الحال، فتعلم القرآن وواصل التعليم حتى بدايات شبابه حين بدأت موهبته الشعرية في الظهور في قصائد حماسية تطلبت تلك الفترة الزاخرة بالأحداث.

وبعد الحماسيات عُرف ابن شريم بالغزل وطرق كافة أبواب الشعر مما وفر له شهرة مبكرة تجاوزت القصيم ووصلت بلاداً أخرى ومن بينها الكويت التي عاش فيها فترة من حياته لوجود بعض أقربائه فيها، ونال بها شهرة كبيرة خاصة في محاوراته مع شاعرها الكبير صقر النصف.

وعندما عاد سليمان بن شريم إلى بلاده، لم تطل به الحياة كثيراً حيث توفي سنة ١٢٦٢هـ (١٩٤٤م) بمدينة بريدة التي استقر فيها في سنوات عمره الأخيرة تاركاً تراثاً كبيراً يقدر بعشرات النصوص الرائعة.

ومن أشعاره نقرأ المقاطع الآتية:

■ في الغزل:

حيّا الله الذي يغيب ويسرع الردة
الذي يجـبـني إلى منه تباطلاني
قلبي يحبـه: وقلبي كنه القـدة
وذّي بشوقه ودونه عـقبـاني
يا صاحبي جارك الله ويش هالـصـدة؟
ما هو بـ حق تولعني وتـجـفـاني
إن كان عندك هـرج بي خـامل السـدة
فانت المصدق، وأنا حقّي وما جاني

إهريج على ما تورى والبيـحـت بدء
 لا تنقـهر يا بعد خـيـي وخـيـيـاني
 ترى حـالـة الـهـوى لو طالت المدة
 ما هوب يوم صديق ويوم قـومـيـاني
 وإن كان ما أت بمصافـيـي على الشدة
 وقت الرخا واجـدر ربي وخـالـاني

■ في الوصف:

ريحه كما زهر النفل في شعـيـبه
 في خـايـع عـلـه من الوسم تشـعـيـب
 مـطـوـر امـس ومـمـسـي مـا وطي به
 واليوم شمـس وفـاح طيب على طيب
 ■ وله في القاطلة باع طويل ، وهذه إحدى محاوراته مع الشاعر الكبير صقر
 النصافي بدأها صقر بقوله:

والله اني ما اخلـي اللـعب ذل وفـشـيـله
 دام رامي عليه الـيا لمـسـته عـقـالي
 قال سليمان:

يا سـحـاب تـرـم وارـتـكـب نو.. سـيـله
 يا لله انك تخـفـف سـيـلـته يوم سـالي

قال النصافي:

من بغا يضرب المضمـاء يـمـلا صـمـيـله
 لا يـجـوشـه نـهـار يـلمـس السـمـع خـالي

قال سليمان:

كم صـبـي تـهـقـواثا خـفـسـنا زـيـله
 يصـبـح الصـبـح مـاعـونه من العـز خـالي (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٣) من مجلة المختلف.

صقر النصافي

يعد صقر النصافي شاعراً من الطليقة الأولى بين شعراء النبط في القرن العشرين ، وله حضور مميز في الذاكرة الشعبية.

ولد «صقر بن مسلم بن زيد النصافي الرشيدي» في الكويت سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) حصيماً حنّ في مقدمة ديوانه الذي جمعه حقيقه مهلي مهلي صقر النصافي، وهذا التحديد يساعدنا في التعرف على الحقبة التي عايشها الشاعر ، ونحن ننظر في المصادر المدونة بحثاً عن ظروف نشأته لا نجد ما يضيء الغليل غير أن الثابت لدى الرواة أنه «عمل في الغوص كبضيه أهل الكويت وصارع الحياة من أجل لقمة العيش كغيره من رجال ذلك الوقت، وتقل بين الصحراء بالشتاء والبحر بالصيف طلباً للرزق».

ويمثل الشاعر صقر النصافي من خلال الفترة الزمنية التي عاشها وأعطى فيها نتاجه الشعري جيلاً كاملاً من رواد البصر والير الكويتيين، فقد عمل في البحر حتى إذا أخذ نجم هذه المهنة بالأقول وأخذت دوائر الدولة تتشكل في الكويت وانتظم الكثيرون من أبناء الكويت في الوظائف الحكومية انقطع النصافي عن العمل الشاق في الغوص، ولكن ليس لدينا أي معلومات عن التحاقه بأي عمل حكومي وتعلمه كان أكبر سناً من ذلك خاصة وأنه توفي سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) قبل اكتمال الشكل الحديث للدولة.

عرف الناس صقر النصافي رجلاً عفيف النفس كريم الخلق نقي المسيرة صادق اللهجة قليل الكلام لكنه إن تحدث أعجب مجالسيه ، ولذلك كانت صلاته مع رجال عصره طيبة للغاية، ومن أهمها صلته بالشيخ أحمد الجابر الصباح الحاكم العاشر للكويت الذي كان يصطحبه في بعض رحلاته إلى البادية لمباراة الشعراء في فن «القلطة» الذي برع فيه صقر حتى غدا شاعر القلطة الأول في الكويت.

ومن قصائد النصافي في تصوير حياة البادية التي عايشها أيضاً قوله:

قالوا علامك يا نصافي تخايل

كذلك تخيل البرق وبين اشتعاله

قلت أبا اخايل نشر ضاهي الجدايل

شد الشديدي ووين تمشي رحاله

أشوق مظهر دور أريش العين شاييل
توه علي تشويرته باحتـمـاله
هـمـي وانا قـمـيت فوق الرحايل
ما عباد عيني تجتلي من خياله

ومن القصائد الجميلة التي يصف فيها التصافي تغير طباع الناس ونظرتهم
المستريية لعلاقات الحب الشريفة مصوراً نماذج من الحياة الاجتماعية للناس في
الماضي بهذه الأبيات:

لا والله إلا صار طبع العرب شين
من داج بين بيوتهم برقوا به
الحب شان وشينوه الخبيثين
اللي من أول قـدـ مشـوا هي درويه
ما يامرون إلا يفارقوا المحبين
سوق المودة كنهم ما سمعوا به
قيما مضى نعتي وناضل قريبين
زولي إلى منهم بدا رخصوا به
واليوم صاروا كلهم لي عسـدوين
كثـرت تعاليمهم وخلي حكوا به
يا ناس ما زاهـقت خـلي علي شين
إلا علي وضح النقـا في درويه
ومن شعره في الغزل أيضاً قوله:

يا مرحبـا مرحبـا راعي الضـعـايف
ذود جـفـاء الوقت يدبي ديبـه
ترحيبـة ماني يراعي حـسـايف
بالنظر واللي طرـشـه مع نديبـه
ذبت لي من قـاطـعات التـنـايف
تجيبـة يا وي والله تجيبـة
ركبـتـها واجنبت يم الردايف
منـذهب وادور بو هـروـج عـجـيبـة
ولقـيت من كنه ظبي الحـسـايف
عنده هله ما هم عنه بغيبـه

وعذبت له في مظلم الليل حايض
يوم ان كل حاجع مـــــــــــــافري به
وكشفت عن راسه تحاف القطايف
وطيرت عنه النوم من غير ريبة
وقالت: وش انت؟ وقلت: ادور عرايف
انتي عرافتنا وصرتي قريبة
قالت: تقلع ما نحب الكشايف
هذا طريق بالنصافي مالي به
قومي اركبي والهي بذاك الحلايف
لاذبحك ذبحك من تقاضي حبيبيه
قالت: كفاك الله دروب الحسايف
وقد ذللك صوتها لا تجيبه!! (x)

(v) تشر هذا الموضوع في العدد (٨٩) من مجلة المختلص.

عبدالله بن دويرج

توفي في «عنيزة» سنة ١٢٦٥هـ (١٩٤٦م) شاعر مميّز من شعراء التبط، فقيراً معدماً وترك من ورائه قصائد يذكرها رواة عصره بإعجاب وتقدير كبيرين.

ذلك هو عبدالله بن دويرج وهذه سطور عن سيرة حياته الشعرية.

ولد «عبدالله بن علي بن محمد بن دويرج» الملقب بـ «هديان» في قرية الجفن بمنطقة الأسر بنجد . ولا يذكر «بنو الدوخية» الذي جمع ديوان ابن دويرج وقدم نبذة مميزة عنه السنة التي ولد فيها شاعرنا، ولكن يلاحظ أنه توفي وقد بلغت منه الشيخوخة مبلغها وبدأ نستطيع القول أنه ولد في الفترة الزمنية المحيطة بسنة ١٢٨٠هـ قبلها أو بعدها بقليل.

ولم يعيش ابن دويرج حياة مرفهة إذ أنه كان فقيراً يحتطب ويجمع الحشيش من البراري، وعندما انتقل إلى عنيزة تم تغيير حاله كثيراً ويبدو أنه ظل رافضاً التكسب بشعره حتى توفي سنة ١٢٦٥هـ.

عاش ابن دويرج بداية دخول المخترعات الحديثة وله في ذلك أبيات طريفة مستغنياً محطة تحلية مياه البحر في جدة، فقال:

يا كثر ما شافوا الأسلام منهم موار قشر

حديد يمشي برجلينه على الرقعة والآخر يطير

واظهر مكيّة تصفّي ماء قراح من هماج البحر

لولا شافه لبيب العقل في عينه جزم ما يصير

مكاين جعل من هندس بها تين استوت في سقرا

والى دعا الله يغيشه وزه مائك على زهرير

حنّا إلى صلح الساعة جدانا قبيل هذا الضّر

هذا استاد الفرنجي ما ورا هذا استاد بصير

ومن قصائده قوله مخاطباً ولده «مشعل» الذي كان يعمل في الحجاز، ويكثر الشاعر عبدالله بن دويرج من مخاطبته في قصائده، وهذه إحداها في الشكوى من فقر حاله:

مضى العمر أنا والفقر يا شعيل حظ وشيل

أنا أقسواه يوم وياهي الأيام يقسوانى

أدير الروايح لين يقبل سمار الليل
إلى رحت مع سوق ابغديه لاهاني
قلبني وله مع ساقتي مثل وجد الخيل
على وصلتي للباب ولأه بيتاني

ويجد القارئ عدداً من المحاورات بين ابن دويرج وشاعر يدعى «عقاب الغرمول»
وحيث أن تاريخ الشعر في القصيم لا يعرف شاعراً بهذا الاسم، فإن المرجح أن
الغرمول شخصية وهمية اخترعها ابن دويرج حين كان يخرج لجبل الصفري قرب
عنيزة وحيداً، وينصب إبريقاً للشاي يسميه الغرمول ويظل يشكو الحال له وينظم
معه المحاورات.

ولاشك أن اختراع شخصية هي الأساس عبارة عن «إبريق شاي» طرفة من
ابن دويرج، ومن محاورتهما يقول الغرمول:

يا سلامي عد ما جر القنبيب الضاري
كل ما منه تظور في رفيع القارة

فرد ابن دويرج:

البقا بك عد ما هل السحاب انهاري
أو عدد ما سال واد واختلف نواده

فيرد الغرمول:

ليتني ما جيت عن من محلي ساري
يالله أنك لا تعيد بمثلها تسياره

وكان رد الدويرج:

انت تدعي مير علمني وش اللي جاري
فان بغيت فلا تعلمني عرفت الشارة

وتستمر المحاورة بين الغرمول والشاعر ويصل التحدي مداه مثل أي قلعة
عادية!!

ويقول أبو عبد الرحمن الظاهري: «ابن دويرج ذو صلة بهدعي الألبان في عنيزة
وذو صلة بأسمال ابن شريم الذي رحل إلى الكويت، ولأيد أنه سمع الحان يادية
الحجاز وأقصى عالية نجد لاسينا اللحن الشيباني الذي عرف فيما بعد باللوبحاني
وهو عدة أدوار، وابن دويرج ولّد الحاناً مما سمعه من الحان الملعبه ولكنه ظل

مشدوداً بالأحان البادية الحجازية وأقصى العالية لا سيما لحن الشياطين». وما نراه أن تجديدات ابن دويرج في الألحان اعتمدت على مزج البحور وتطويل بعضها خاصة مع بحر الرمل وتشعيلة «فاعلاتن» فهو يكررها خمس مرات مع تحويل الخامسة إلى «فعلن» ليقول:

يا هل العييرات يا كركان مرّيتوا طوارف خلّي
خيرود ائي شكيت الهمّ والساموح عقب فراقه
ما تسيت الصاحب اللي بالمودة والهوى صاهر لي
جنالي اصفى من غدير المقر واحلي من حليب الناقة

ومن تجديدات ابن دويرج في الوزن قوله:
آه يا من ضربني في يده كفاً على خدتي عسراوي
ما استحييت به مبر المودة صابر بالخطا راعيتها
وتفعيلات الشطر الواحد كالآتي: «فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعل».

ومن المواقف الطريفة في حياة شاعرنا أنه رأى قطاً في بيته رغم خلو البيت من كل أثر للطعام لفقر الشاعر فقال:

يا يمن يا للي تدور بدارنا وش تدور؟
قرى عوضك التعب.. مير اختسب للمراح
حنّا من العمام يا كساهي علينا ديور
إنحرو ساع الصبحون اللي وراهم طياح!
هذه بعض ملامح سيرة شاعر مجدد عاش حياة بائسة وترك تراثاً غنياً. (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠١) من مجلة المختلف.

عبدالله الفرّج

شاعر وفنان كان له أثر كبير في مسيرة الأدب والفن في الكويت والخليج. نظم الشعر القصصيّ والتيمّطي.. شعره القصصيّ ضاع أكثره أما شعره العامي فيبقى محفوظاً مما سهل جمعه وإصداره في ديوان شعر كما أنه له الحاناً وموسيقاً ما زالت تعيش بيننا حتى اليوم.

هو «عبدالله بن محمد بن فرج بن عبدالرحمن بن فرج المسعري الدوسري». ولد في الكويت سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م) وتوفي بها سنة ١٢١٩هـ (١٩٠١م).. حفلت حياته بالهجرة والاغتراب فابتعد عن وطنه الكويت حيث استقر في نشأته الأولى في الهند واستمر هناك يسير مع الحياة بكل ما فيها من ألوان وفنون ولهو وطرب ولكن روحه ظلت في غريبتها.

كان عبدالله الفرّج وحيد أبيه لذلك كان اهتمام أبيه منصباً عليه، وقد هبّ له كل وسائل الترفيه كما أدخله المدارس الهندية وأحضر له معلمين للغة العربية، وقد برع شاعرنا في كثير من العلوم لكنه أثر الشعر والموسيقا، ولما توفي والده سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٥م) آلت إلى شاعرنا ثروة هائلة فبداها سريعاً مما اضطره للعودة إلى الكويت منقطعاً إلى نظم الشعر والتلحين والغناء، فاكسب شهرة واسعة ومقاماً رفيعاً.

تمتاز قصائد الفرّج بالتعابير البلاغية والبديع لتأثره بالأدب العربي وله قصيدة طويلة مطلعها: (أنشيت من روض الفكر يوم أن حضر) حاول فيها أن يصنع للشعر التيمّطي قواعد وضوابط أوزان كالشعر القصصيّ.. ولكن تلك القصيدة لم يحفظ منها سوى عدة أبيات صاغها شاعرنا كالغزل وقد ذكرت في ديوانه الشعري.

برع الشاعر عبدالله الفرّج في نظم الشعر التيمّطي وكذلك في مواويل الزهيري التي جعلها مرتبة حسب الحروف الأبجدية - وقد أسماها الشاعر (الروضة) - مليئة بالبديع والتراكيب اللفظية بين مهمل ومعجم ومتجانس وغيرها من أنواع التسفات اللفظية البدعية وبعضها يعسر فهم معناه.

بجانب قصائده المنتشرة في عدة دواوين فإن له ديوان واحد خاص بأشعاره العامية طبع في بومباي بالهند عام ١٢٢٨هـ. وقد لاقى رواجاً كبيراً جعل ابن عمه الأديب خالد محمد الفرّج يعيد طباعته في دمشق عام ١٢٧٣هـ.

طرق عبدالله الفرج شعر الغزل فبرع فيه كما برع في شتى موضوعات الشعر
من حكم ومعارضة ومدح وهجاء وغيرها .

وقال بمدح الشيخ عبدالله الثاني الصباح حاكم الكويت الخامس :

تلوح بخشموم الأعداء وسومهم
مثل الرشوم وقنايد الصعاب بزمام
حسب جناح الصبيد مغذي لحومهم
تشوف عقبان الوري منه خرام
أندى من الغيث المثلث غيومهم
بالتجود والطف من ذعابذيع الانعام

أما قصائد الغزل لدى شاعرنا فهي رقيقة إلى حد كبير ومليئة بالأحاسيس
المرهقة، ويقول في إحدى قصائده الغزلية :

جرى الدمع من عيني على الخد وانتشر
وبنح بسدي يا علي دمي الجاري
شجاني حمام ناح بالمورق الخطر
وهيئ غرامي ثاني الليل والفكاري
الا واشقاً قلبي من الويل لي ذكر
حبيب جفاني يوم رنت به اشعاري
جفاني وعرقن بالجفا روعي الوعر
وجسمي دعاه من اللحم داخل عاري
نحل حالي فحسره وباليت ما هجر
محباً يروف بحالته دوم ويداري
ختين الذوايب يا علي كلمنا خطر
على البسال ذكره سيئه البسال بذكاري
أنا كيف باسلا عنه واصبر كما صبر
وأنا اللي بحينه للملا شاعت اخباري
تلفني على فرقاء وجدي مع السهر
فهل يا علي عن حالتي متلفي داري
ضحوك اللمى له غرة كنهها القمر
الى شعشت بسري على نورها الساري

حسين سواته ما حدر شاف أو نطر
 غزال بزينة يخلجل البيض ويماري
 أنا سبأ شوفي للغضي في شهر صفر
 نطحن عصىر ساطع نورها واري
 نطحن وحيرني بها صافي النحر
 وسببه ديلي عقب ما تيه افكاري
 ألا ليت عن حالي حبيبي خلا الخبر
 ولا هال من تذري همومه كما اتذاري
 علامه إلى من شافني مقبل نضر
 وإلى قلت قول: قال والله «بيماري»
 ألا يا هل المعروف ما ينزع الحذر
 قضى الله ربي ما قضى بامر الجاري
 يلاتي الهوى وبيت بالجادل العطر
 وهذا المقدر يا علي حكمه الباري
 هواي الذي منه اتحقق مدى الدهر
 وهو ما يسر عني ولا هو ب في كاري
 أرى منه روعي يا هل الغي في خطر
 إلى مت فاخذوا منه يا هل الهوى ثاري (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٥٣) من مجلة المختلط.

فواز السهلي

عاشق الشاعر «فواز السهلي» الضرة الذهبية للشعر النبطي ، والتي ظهر فيها جيل من العملاقة من أمثال «تركي بن حميد ومحمد بن هادي ومشعان الهذال وراكان بن خثلين ومحمد العرفج وعبدالله بن ربيعة وابن لعبون».. إلى آخر هذه القائمة التي ما زلنا نتهل من إبداعاتها إلى يومنا هذا.

ورغم أن «فواز السهلي» يعد من الشعراء المقلين إلا أنه حجز مكاناً واضحاً بين شعراء جيله، وهو إنجاز في حد ذاته لاستثنائية ذلك الجيل.

وقد عرّف به الباحث سلطان بن عبدالهادي فقال هو: «فواز بن خثل آل رويضان الزهعاني السهلي»، وكما هو واضح من تسميته فهو ينتمي إلى آل رويضان أمراء الزعافين مما يعطينا انطباعاً عن المكانة الاجتماعية التي كان فواز ينطلق من أساسها.

ويصفه المرحوم عبدالله الحاتم وهو أول من دون شعر السهلي في كتابه الرائد «خيار ما يلتقط من الشعر النبطي»: (فواز شاعر ممتاز ، في شعره خفة الوزن وجودة القافية وجزالة اللفظ وبراعة التصوير مع قوة في المعنى ، ولو كان شعره عربياً فصيحاً لكانت له منزلة مرموقة بين الشعراء بل ربما احتل الصدارة لأن الشاعرية لا تختلف عن كون الشاعر نبطياً أو فصيحاً وإنما هي مجرد شعور وإحساس).

وإضافة لما قاله الحاتم نجد طلال السعيد يضم فواز السهلي لأعلام الشعر النبطي الذين انتقاهم بمهارة من بين كل شعراء النبط ، واختارهم ليضع لهم تراجم في الجزء الأول من موسوعته النبطية التي لم تكتمل حتى الآن، ورغم فقر الترجمة التي أوردها السعيد لفواز إلا أنه أشار إلى ملاحظتين تقديسيتين في شعره وهي اعتماده على نظام القافية الواحدة كما أنه أحيى استخدام بحر الرجز الذي سبق لحميدان الشويرر أن أسرف في استخدامه شعرياً ، وهاتين الملاحظتين جديرتين بالاهتمام والتساؤل عن سبب هذه النزعة في شعر فواز السهلي خاصة وأنه عاش في فترة سيادة بحر المسحوب ذي القاهيتين المختلفتين في المصدر والمجز الأمر الذي نلاحظه في شعر معاصري فواز.

أما تراثه الشعري الموجود بين أيدينا فزعم أننا نجد أشعاراً لفواز في «خيار ما

يلتقطه نلحاته ومخطوطة ابن يحيى ، لباب الأفكار ، ومخطوطة هوير والكردلي والأزهار النادية وغير ذلك من مجاميع الشعر إلا أننا لم نعثر على أكثر من القصائد الثلاثة التي أوردها الحاتم وبالتالي فنحن أمام شاعر ضاع معظم شعره ومن الصعب استنتاج الكثير عن شخصيته وحياته، وهذه القصائد هي كالآتي:

١- قصيدة في مدح حاكم نجد في أيامه الأمير عبد الله بن ثيان آل سعود ، وذلك سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) وقد أوردها الحاتم في خمسين بيتاً بينما زادها الباحث سلطان بن عبد الهادي باستفادته من مراجع أخرى حتى أوصلها في ضميمته إلى ٦٢ بيتاً ، وفيها مدح بابن ثيان وتوصيته خيراً بقبيلتي السهول وسبيع، وهي على بحر الرمل (تكرار قاعلاتن ثلاث مرات في الشطر الواحد) ومنها:

يا عزيز الجار يا سقم الحبيب

يا صليب الراي يا مروى السنين

وذاك ان الشيخ تمضي له قـمـال

مثل فـعلـك يجـسـرون القـابـلـين

إن عدلتك قيل لك ما ذا بشيخ

جـاك راي وانت خير الفـاطـنين

إتبع المشـروع وأرجي انك عليـه

وحط سـبيـح فـاطـمـع الـظـالمـين

والله الله في سـبـيـع والسـهـول

لأل مـقـرر سـامـعـين طـايـعين

٢- أما القصيدة الثانية فهي في رثاء الأمير الشاعر أحمد بن محمد السديري المتوفي سنة ١٢٧٧هـ. وأوردها الحاتم في ٣١ بيتاً، وهي على لحن الرجد (بحر المتدارك في الفصحى)، وأولها:

يقـول الفـصـاحـم فـواز

قـيـل يـالـقـرطاس اسـطـرد

ومنها في ذم الدنيا:

شـيـئت الدنـيا رمـيـت بـوـبة

كل تلـفـح قـمـدم تـظـرد

أحـمد يـطـردـها وتـمـيـي

وأحـمد تـجـيـيـه بلا أدور

دائم تالف من طماع الناس

وتعلمح الظالم والفجورة

٣- أما القصيدة الثالثة فهي في مدح حاكم حائل في أيامه الأمير طلال الرشيد، وهي أطول قصائده إذ أوردها الحاتم ٦٦ بيتاً، وزادها سلطان بن عبد الهادي خمسة أبيات أخرى من مراجع متنوعة، وهي قصيدة تعاني من مشكلة في الوزن إذ أن البحر الغالب على أبياتها هو البحر الصخري إلا أن الصياغة التي وصلتنا للقصيدة مختلفة الوزن في كثير من الأسطر فالببيت الأول كالآتي:

أول قصيدتنا نثني على الله

أن ينجينا من أضرار الخطاري

وهذه الصياغة مختلفة الوزن بينما البيت الثاني على الصخري سليم الوزن:

ويوصلنا ديار تمنينا

ويوصلنا مواكبير الحراري

وهكذا في بقية القصيدة، واعتقد أن مراجعة لكافة المصادر التي أوردت القصيدة، وثبتت من طريقة طريقة لفظ المفردة في لهجة الشاعر تمكن الباحث من إصلاح الخلل الذي سببه الرواة في هذه القصيدة.

وهكذا نجد أن فواز السهلي شاعر حاز مكانة متقدمة بثلاث قصائد، ولاشك بأن له ما هو أكثر ولعله ما زال محفوظاً في صدور بعض الرواة، فهلا وجدنا من المهتمين من يسعى لإخراج هذا التراث إلى النور؟

.... تساؤل نتمنى أن يجد الإهتمام، وبقي أن نقول أن شاعرنا فواز السهلي توفي سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠م). ولدينا من شعره وأسماء معاصريه ما يدل على أنه لم يمض صغيراً بل توفي بعد حياة طويلة لاشك بأنها أثمرت ما هو أكثر من هذه القصائد الثلاثة التي بحوزتنا!! (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٦١٥) من مجلة المختلص.

محسن الهزاني

يعد الشاعر محسن بن عثمان الهزاني الذي عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر الهجري أحد أكثر شعراء النبط قاطبة شهرة وتأثيراً، وكان شعره بالفعل منعظاً هاماً للقصيدة النبطية تغير بعده شكلها وموضوعاتها لدرجة تجعله رائداً مهماً في تاريخ هذا الأدب.

ولد محسن في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري. وتولى إمارة بلدته «الحريق» بلدته فترة ثم اعتزل الأمر على حد قول الباحث طلال السعيد في موسوعته. وتوفي سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م) حسبما ذكر المؤرخ النجدي مطلق المطلق في مخطوطته «شذى الندى في تاريخ نجد».

وامتلات حياة الهزاني بالأساطير بسبب الرواة الذي أعجبوا بهذه الشخصية فزادوا على سيرتها الكثير وجعلوا لكل قصيدة له سبباً كما قالوا الكثير عن تعلق النساء به، وأنه قال الشعر في طفولته عندما أرسله والده للكتاب لتعلم القراءة والكتابة فعندما لقنه التطوع: (ألف)... قال الهزاني:

ألفـ واليف الروح ——— ميل اسم زرياد

غـرو يعلني عن جـميع المعاني

فقال له: باء... قال الهزاني:

البا يعلني شـوء الطـعـر مـبـناه

وادعى مـبـاني غـيرهم مـر مـبـاني

فقال له: تاء... فقال الهزاني:

التـا تـراني كل ما أوجـيت طـريـاد

أفـر زلـو حلـو الكـرى غـشـشـاني

وتنسب إلى الهزاني بعض التجديدات المهمة في الشعر النبطي ، فيقال أنه أول من كتب القصيدة ذات القاهيتين المختلفتين للصنر والفجر ، وهي ذلك نظر لأن هذا الشكل موجود قبل الهزاني كما أثبت الزميل إبراهيم الخالدي في كتابه «طواريق النبط» كما يذكر أنه أول من أدخل النظم المربع المعتمدة قوافيه على الجنس التام على الشعر النبطي كما في قوله:

أهيم وأصعد مرهب الغي وأرقها
 وأنوح من شوط الجوى نوح ورقها
 وإلى كتمت البعد عن حضر ورقها
 أبداه ذارف ومع عيني إلى سباح
 طفل نشأ ما شيف مثله ولا أشهد
 لا راح لا تريق ريقه ولا شهيد
 لا خد شفتا مثل خده ولا شهيد
 ولا شممنا مثل ريحه بالأرياح

يركز الباحث إبراهيم الخالدي الذي جمع ديوان الهزاني وأصدره ضمن «سلسلة المختلف للتراث الشعبي» على أربعة ملامح في تغزل الهزاني في شعره هي: «نرجسية العاشق لديه حيث أنه الطرف الأقوى في علاقات الحب - التركيز على الصفات الحسية في محبوبته ومقائنها الجسدية - عدم الإكتفاء بمحبوبة واحدة في القصيدة إلا فيما يتعلق بمحبوبته الشهيرة «قيوت» - التركيز على الوشاة في مقامراته الغزلية خاصة العجائز منهم».

ومن أشعار الهزاني في موضوعات أخرى غير الغزل قوله في مناجاة الخالق (عز وجل) والإستغاثة للمطر:

يا مجيب الدعاء يا مكرم الرجا
 أسألك بالذي يا إلهي نزل
 أسألك عبادي مادي كلمسا
 لئح فيه الرعد حل هيمما الوجل
 وادق صدادق عبادق ضاحك
 ياكي كلمما ضحك مزنه هطل
 وامح لي سييتي واعف عن زلتي
 فإني يا إلهي محل الزل
 فإني الذي مدّ قبلك الرجا
 فلا خاب من مدّ قبلك الأمل (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٧٩) من مجلة المختلف.

محمد الفوزان

شاعر كويتي مبدع عاش في القرن الثامن عشر، ولولا ما أورده عبد الله الحاتم في «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» له من قصائد قليلة لكاد النسيان أن يلفه بعباءته الثقيلة، ولم نحظ بتعريف له سوى سطور معدودة من الحاتم تتعرف منها على المكانة الشعرية البارزة التي حازها «محمد الفوزان» إذ يقول:

«شاعر الكويت على الإطلاق محمد بن فوزان ويسمى «حليق الذهب» - تصغير حلق - لندرة وجوده ما يقول، وقضى جل حياته في هافة وعوز شديدين على عكس ابن فرج الذي ترك له والده ثروة طائلة جداً، وقد ظن الناس أنها لا تقنى ولو عمل ما عمل لكن الفرغ مات ميتة الفراء المتدمين عام ١٢١٩هـ (١٩٠١م) بعد وفاة زميله محمد الفوزان بحوالي خمس سنوات أما ابن فوزان فقد ذكر لي أحد الطاعنين ممن عاصره وراى أنه مات شيخاً».

إنهى كلام الحاتم، ومنه نعرف أن الفوزان توفي سنة ١٢١٤هـ (١٨٩٦م) أي في السنة الأولى من حكم الشيخ مبارك الصباح، وبما أنه مات «شيخاً» قلعله عاش سبعين عاماً أو أكثر، ولعل مولده قبل التاريخ الذي حدده الباحث طلال السعيد وهو سنة ١٢٥١هـ بسنوات قليلة.

ولا يورد الحاتم في كتابه للفوزان سوى خمسة نصوص هي كل ما نعرفه لهذا الشاعر الذي ضاع معظم تراثه وكم أتمنى أن يفيدنا اقراء بما يعرفونه من تراثه أو معلومات عن حياته إن كان يتوفر لديهم ذلك.

النصوص الخمسة التي ذكرها الحاتم جاءت اثنتان منها منفردة بينما القصائد الثلاث الأخرى جاءت في مخاطبة عبدالله الفرج أو الرد عليه، وجميعها على بحر شعري واحد هو المسحوب.

● القصيدة الأولى تتكون من ٢٢ بيتاً تدور في مجال الحكمة والنصح على قافيتي الشين والميم ومطلعها:

أصبر على ما جاءك من وقتك اللاش

واستو على الشدائد راعي عزائم

ومن أبياتها الرائعة قوله:

المرجلة لو هي على الهون تتحاش
 حاشوا لها حتى العقون الخمايم
 وياك لا تدمي قصي وفستاش
 على عيوب الناس وبك التهاميم
 ومن الردي لو تكسب الدر وقمماش
 اترك مماشاته وكن عنه شاميم
 وارح الصديق اللي الى صابك ادعاش
 خوف لظيئه في مصابك مساميم
 ويستمر الفوزان في النصيح في القصيدة التي يبدو أنه قالها في أخريات عمره
 وقد مسه الفقر والعوز الذي ذكره الحاتم:

هذا زمان جاز به كل غشاش
 أو واحد فستاش راعي تمايم
 من جا بلا دعوة فيقععد بلا فراش
 هذا طغيلي يستحق الشتاميم
 لا وا على من يطرش اليوم مطراش
 كلال ولا ودي بكسب الغنايم
 ما قصدي إلا بالتفرج عن الجاش
 من شن لجاب به من أمور عظاميم

● أما القصيدة الأخرى فهي في مجال الغزل على قافيتي الحاء والياء وتكون
 من ١٢ بيتاً فقط ومطلعها:

العين طول الليل تحمهر من النوح
 يصحخف لحالي كل من يسمع بكاي
 ومن جميل أبياتها قوله:

الله يلد الحب راعي مضموح
 مبرع يبيع السد ما هوب كماي
 على غزال هاذ القصد ملوح
 خطاف العقول العشاشيق سبائي
 غمر مشقيني على غير مصلوح
 إن جيت في ملواه ما جابا بملواي

بـالزَيْن مـلـوح ولا هـوب مـلـوح
 بالوصل وعـلـام ولا هـوب وفـلـاي
 وإن راد مني الحبل ما هوب مـلـوح
 يلقي الذي بالشين سـلـوا وهـاي

● ● أما القصائد الثلاثة الباقية فكان سبب الأولى أن الشاعر عبدالله الفرج وكان أصغر سناً منه أرسل إليه قصيدة يعاتبه فيها. وكعادة الفرج فقد استخدم طاروقاً سبق أن تراد عليه الشاعران محمد بن لعبون وعبدالله بن ربيعة. وفي قصيدته يقول الفرج:

كثير الحكي ما هو لنا بالعوايد
 لا وانت تدري يا محمد فلا ازيد
 إلا ولا طرف على الخلق نايـد
 لولا حكايا بعض ناس مـلـقـا ريد

ويتضح من قصيدة الفرج إن ما وصله من الضوزان آله، ويبدو أن الوشاية كانت تزعم التقليل من شاعرية الفرج فكتب إليه يعاتبه:

جئتنا علومك تنتـحي كالجراريد
 يشتان منها مسمع الضين والسيد
 غنى بها الساجع بروس الجراريد
 يا محمد الضوزان.. وش ذا الهرايبـد
 أثرك صحيح مثل ما قيل عايد
 ترمي علينا بالحكايا جـلـامـيد
 ما ساد من حكي الضفا كل سايد
 إلا عليه من الموائيم تشـمـيد
 يا من هراه القيل مثل الرفايد
 رده ترى ما الرد عن هـاك بـمـيد

فرد الضوزان مؤكداً كذب الوشاية ومطمئناً صديقه بقصيدة تتكون من ٢٦ بيتاً:

أنا معك صبرنا بنظم القصايد
 ما بيننا فرق كما العيد والسيد
 نظم الشعر يصلح لشرواك هايد
 مستانس بالكشك ما معه تنكيد

ذراهم تـعـمـل وراها فـسـوايد
 تاكل بها من الحصاصيل وتزيد
 والا هانا يا صاحبي في تكايد
 مستكشف بين العنا والتلاليد
 ويمضي الفوزان إلى موضوع العتاب وتكذيب الوشاية فيقول:
 تشـبـره عليّ وتقبول تحكي زوايد
 ترمي علينا بالحكايا جلاميد
 لك الشـبـره إن كان صبح ووكراید
 لكن ترى كـسـب ولا هوب توكراید
 معروض عن الدائن هم واليـعـايد
 لوني قـرـيب صـباير كني بعـيـد

• ثم وجه الفوزان بعد ذلك قصيدة للفرج لعلها في إذهاب ما علق بالأذهان من
 الوشاية تتكون من ١٧ بيتاً مطلعها:

لولا السبيل ولذمته تردع الجاش
 خطر يتيه العفل من شد ما فيه

وهي آخر القصيدة يثني الفوزان على شاعرية الفرج ويكرر تمني الرحيل، وهي
 رغبة سبق أن ذكرها في القصيدة الأولى:

اسمع جواب كاليواقيت وقماش
 ملفاه من بيخص خواهي معانيه
 ابن فرج ككتاب الأمثال ببالاش
 سهل عليه القيل يدعيه، ويجيه
 ما هوب مثلي عنه الأمثال تنحاش
 لو كان يغنيها فلا هيب تغنيه
 عـصـاه يتـسـحـفني برذله العـاش
 لـلـقـب كـسـود أنه برذله يداويه
 ياليت من يطرش هالايام مطراش
 لو قارق ربوعه وقارق أهاليه
 ينص الغروس اللي على كفة الطاش
 يا كـسـودها عن ضميم قلبه تسليه

ورد ابن هرج بقصيدة طويلة شاركه فيها الشكوى من الزمان، وتستفيد من مطلعها أن مصطلح «الشعر النبطي» كان مطروحاً في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي بشكل عادي بين الشعراء، وذلك في قوله:

شعر النبط من سابق نظم الجاش

مما هوب طرب له ولا هوب هاوية

• وفي القصيدة الخامسة للقوزان يوجه الخطاب أيضاً لابن هرج في قصيدة على قافيتي اللام والعين وتتكون من ٢٢ بيتاً مطلعها:

الله من كثر الهواجيس بالمال

يأثيت بفراق الهواجيس ساعة

وفي القصيدة يكرر محمد القوزان شكواه من الفقر، ولعله كان يلجأ لهذه المضارفة في الخطاب مع الفرج الذي كان يتميز عنه بالثراء قبل أن تفنى ثروته في سني عمره الأخير، فيقول القوزان:

اعرف ترى بالمال تصليح الأحوال

والا الضيق ما فيه كسود الشناعة

رجل بلا مال فلا هوب رجـال

لو هو على الجسيرة طويل ذراعـه!!

ويرد عليه الفرج بقصيدة طويلة يحمل فيها على الزمان وتقلباته.

هذا ما لدينا من شعر القوزان وهو لا يتعدى ١٠٦ أبيات فقط... فهل بين المخطوطات وفي صدور الرواة ما هو أكثر من هذا العدد من شعر «حليق الذهب»؟ سؤال نتمنى أن تكون اجابته.. نعم!! (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٤) من مجلة المختلف.

وناديننا وقالنا خـبـرهم
ترانا من مـفـارقهم تعينا
ترانا من مـفـارقهم نحلنا
وكان فـراقهم طـول هـينا

يقول الباحث طلال السعيد: «لم يكن ابن عبد الوهاب خيالياً يشعره بل كان واقعياً بسيط الأسلوب سهل التعبير واضح المعنى سليم المقصد يترجم ما يحسه بعيداً عن التكلف والتعقيد. تساعده على ذلك موهبته الفياضة التي فجرتها قسوة المعاناة، فاستطاع التعبير عن مشاعره بشكل بالغ التأثير».

ومن قوله لما ازدادت آلام المرض عليه وأحس بقرب النهاية:

يا زيمي قـول لي يحـفـرا
يوسع الملحد على شان اللحيـد
وايحجز بيتي وما بين الثرى
عن عظام ناحلات كالجرىـد
وانت يا دفـان يا لي قـبـيرا
يا مهيل التـرب بالسرعة مسجـيد
حط من فوق القـبر حـتى يرى
بنيتين كالتصايب له شهـيد
يعرفون القـبر من جا ينظـرا
يعرفونه قـبر مـذبوح الوديد
قـبر من صـان الموده واسـترا
قـبر من لاخان عـود للعـبيد
من صـير للحـب حـتى بـترا
زوع قلبه واودعه حياً حـبيـد

وأفاد الباحث السعودي صالح الذكرير في مقال مهم عن الشاعر نشر في الزميلة «قواصل» أن وفاة الفيحاني كانت في يوم الجمعة ٢٨ ذي الحجة ١٢٥٧هـ (١٩٣٩م) عن عمر لا يتجاوز الثانية والثلاثين، (٥)

(٥) نشر هذا الموضوع في العدد (٨٨) من مجلة المختلص.

محمد القاضي

«محمد بن عبد الله القاضي».. شاعر كبير عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، وعاصر ذلك الجيل الذهبي من أعلام القصيدة النبطية. يعد من الشعراء غزيري النتاج إضافة إلى جزالة الفاظه في قصائده وقوة معانيه وإبداعه في التصوير كما أنه يعد من الشعراء المتعلمين كما يتضح من جمال خطه الذي وصلنا نموذج منه بالإضافة إلى علمه الذي يتضح من موضوعات قصائده ومعانيها.

يقول الباحث الشاعر طلال المسعيد في موسوعته عنه: «أبدع القاضي إبداعاً ملفتاً للنظر في جميع فنون وأغراض الشعر النبطي التي تناولها حتى أن القارئ والمهتم بالشعر النبطي لا يجد في فكرته التي عالجها بقصيدة من قصائده حاجة إلى إضافة أو شرح أو تعديل أو تعقيب».

ولد القاضي سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م)، وهو يرجع نسباً إلى القضاة من آل بسام عن الوهبة من بني تميم، وأسرتة من الأسر المعروفة بالعلم حتى اكتسبت هذا اللقب الشريف، وهنا تجدر الإشارة إلى الخطأ الذي وقع فيه بعض الكتاب وأعني اعتقادهم بأنه كان قاضياً في مدينة عنيزة، وهذا غير صحيح إذ أن اللقب هو لقب الأسرة كلها وليس خاصاً بالشاعر، ولكن شاعرنا حفظ القرآن وهو ابن ثمان وقرأ الفقه على أحد علماء بلده ثم صار مهلة إلى الأدب والتاريخ ونظم الشعر النبطي.

عاش محمد القاضي في مدينة عتيزة التي كان يحبها حباً جماً حتى نظم في
مدحها قصيدة طويلة منها قوله:

دار لنا ووادي الرملة هو شمساته
غربيته الضاحي ، وشرقيته الجبال
في روضة شرق المياني قبالة
لجنة غروسة دائرة ثقل تضصال
دار لشجد مشرعته كم عنا له
راجي ومحتاج ولاجي ونزال
دار الشدي دار السعد والشكالة
ما ساقبت الخاوة لالأول ولا التال

ويذكر هنا أنه لما نظم هذه القصيدة قال له أمير عتيزة وقتئذ عبدالله بن يحيى
السليم: «بماذا تكافئك يا أبا عبدالله؟» فقال القاضي: «أريد مكافأتي أن كل
عيب يجرى عندكم تكون ضيافته عندي في اليوم الثاني.. لا يسبقني عليه أحد
بعدكم» ويتضح من هذه الحكاية التي رواها حفيد الشاعر محمد بن حمد أنه كان
من وجهاء البلدة الأغنياء بالإضافة إلى عشقه للألمحدود للكرم.

واستمر القاضي في نظم الشعر ، وله إبداع خاص في موضوعات الغزل إلى أن
بلغ الأربعين من عمره فتوقف تدريجياً عن نظم الشعر ، وتوجه إلى أمور الدين
والتفقه فيه ودراسته فنسخ صحيح البخاري كاملاً بخط يده.

ومن الحكايات المرتبطة بغزل القاضي حكاية لا نعلم مدى صحتها ولا بآس من
ذكرها ، وهي أن بعض أصدقائه تحدوه بأن ينظم قصيدة طويلة كاملة لا يذكر فيها
بيئاً واحداً من الغزل ، ويأثقل نظم القاضي قصيدته في وصف القهوة ومنها:

أخمس ثلاث يا نديهي على سباق
ريحه على جمر الفضا يفضح السوق
أحذرك والنبيسة ، وبالك والأحراق
وأصحا تصير بحمسة البن مطفوق
لي أصغر لونه ثم بشت بالأعراق
صفراً كما الياقوت يطرب لها الموق
كبه بنجر يسمعه كل مشتاق
راعي الهوى يطرب إلى دق بخفوق

ولما أشرفه القاضي على إنهاء القصيدة دون تغزل خشي الأصدقاء من خسارة
الرهان، فطلبوا من امرأة أن تمر أمامه راضية طرف ثوبها ليتبين «الحجل» الذي
تلبسه، فلما رآها القاضي قال متغزلاً ومضحياً بالرهان:

سحر كُتب في حير عيته بالأوراق

خديته نوّنين، وصاديين من فوق

كن العرق يخبّذونها حصاً الرناق

نثر على صفحات بلوره شعوق

إلى تبسم شع واشرق بالأفلاق

نوره ي فوق البدر مع حسن منطوق

تمشي برق خائفه مدمج المساق

يقصم حجول هزها الثقل من فوق

إلى صفت لك ساعة وانت مشتااق

فاقطف ثمر مالااق، والعمر ملحوق

وقد كان شاعرنا القاضي ذا علم، فكان يتقن علم الفلك ومواسم الزراعة ونظم
قصيدة تعد مرجعاً في هذا المجال منها:

ترى أول نجوم الليل: سبع وصايف

كما جيب وضحا ضيع الدرك دائق

أو نعل شاخ، والتوبييع تبييعها

وفي برجها الجوزا كما الدال دائق

ترفع بها عاهات الأثمار بسطة

نهايات قصير الليل عشر الدقايق

وتوفي محمد العبدالله القاضي في بلدته عنيزة سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م)، وترك
أربعة من الولد هم: «إبراهيم، وعبدالعزیز، وسليمان، وحمد» كلهم من الشعراء
وأشهرهم عبدالعزیز وإبراهيم الذي ترك شعراً كثيراً وكتاباً في التاريخ التجدي.

ويقال أن آخر قصائد القاضي هي المسماة بـ التوبة ، وهي من القصائد
الدينية المميزة في التاريخ النبطي ، ومنها هذه الأبيات :

يا محل العفو عفوكم يا كريم
لطفك الذي كـافـل كل الأنام
يا سميع يا بصير يا عليم
يا قوي يا متين يا سلام
موجد يدعيك بالليل البهيم
بالتخضع والتسرع بالظلام
خاضع لك خاضع لك مستقيم
اسألك وأدعيك باسمك العظيم
أن تروف بحال من جسمه سقيم
علته تيراه من خمسة عوام
داوني بيدوك من دار اليم
واشفني بشفائك يا من لا يضام (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٨١) من مجلة المختار.

الفصل الثاني: قصص من الماضي

بيت على الطريق

كان الفارس «عسير العطاوي» إذا نزل أرضاً جديدة معتاداً على أن يبني بيته على طريق المارة ، فلامه بعض ضعاف النفوس على اختياره هذا الموقع لأنه سيضطر بسببه لاستضافة الراح والفاذي وسيكون بيته هو أول ما يستقبل الضيوف حين يجيئون للقبيلة . فرد عليهم مؤكداً أن هذا الأمر هو غاية مناه وقال :

يا ملّ قلب يلجّ وداخله رثه
لجّة ضراباً على عبد عوى ذيبه
أو لجّة الحشو يوم اقضاية الكثة
وسهيل والقريض مرقبة ملاهيته
لي جنّ دعشور والمفروود ضدته
والحافظ توحى التضاريس في مصاليبه
عيال شول مشاحين حداثته
اللي على الحافظ تقبل به وتقضي به
يا رازق اللي بيوتته ما لفتته
علاهن الدرب بينة مهاذيبه
يا زين خبط التركيب هي سندته
خود من الليل خايبة مشاهييه
والنار كملت الحطب والنجر اكل به
والرزق عند الولي من حيث ينوي به
ما همني إلا الدلال وثالثته
كيش المرنى ثيا لزمتم مواجيرييه (*)

(*) تشر هذا الموضوع في العدد (٩٥) من مجلة المختلف.

كرم نادر

كان الشيخ ثويني بن عبدالعزيز القشعم يتمتع إلى جانب زعامته وشجاعته وقوة نفوذه بكرم نادر ، فقد كان في الليالي الباردة يخرج يده من رواق البيت يتحسس برودة الجو ، ولا يرى طريقة لتقليل برودتها سوى بذيح نافذة أو خرووف ليأتيه الباحثون عن الدفء والطعام فتذهب البرودة مع اجتماع الضيوف، وقد أتبعه ذريته في هذه العادة حتى قال أحد الشعراء يصف ليلة باردة:

شـرـقـه شـرـور من «ليالي ثويني»

يكرم شـروره في خـرووف وخـايـل

ومن حكايات كرم ثويني أنه أمر خادمه ذات يوم بتجهيز ذبيحة لدرويش فقير نزل عليه ، فاستنكر الخادم ذلك قائلاً أن الضيف مجرد درويش والسمن والتمر والسمن يكفي ، فأجابته ثويني: «اذبح له يا وليدي، لعله شيخ الدروايش» . ومن حكاياته أيضاً أنه أمر بذيح خرووف لكلب غريب عن الحي رآه على باب مضيقه . وقال للخادم أيضاً: «اذبح له ، لعله كلب أجواد» . (x)

(x) نشر هذا الموضوع في العدد (١٦٤) من مجلة المختلّف .

أجرة المشوار.. هجينية

كان الشاعر إبراهيم الطويان (توفي سنة ١٣٧٤هـ) من شعراء عنيزة يحمل بضاعة من الخضروات لرجل يدعى «منقاش» بسيارته ، ولكن حدث في يوم من الأيام أن تعطلت سيارته في الصحراء فمر به سائق شاحنة من نوع «عشرة يدعى «الحرابي» ، فطلب منه الطويان أن ينقله هو ومنقاش والبضاعة موافق . ولما أراد الطويان دفع ثمن النقلة رفض الحرابي طالباً قصيدة هجينية تطرد النعاس عن أصيحتهم مقابل ذلك ، فقال الطويان :

العنتــــــــــــرا لبي ركباً منكــــــــــــاش
حصن الحــــــــــــــــرا لبي بيــــــــــــــــوديه
من وردته مــــــــــــــــا دخل بكراش
ولا مــــــــــــــــركبوه العالــــــــــــــــية
هو منوة الــــــــــــــــي نوى مطراش
يســــــــــــــــري حــــــــــــــــوال الشــــــــــــــــيكية
سلم على العــــــــــــــــذب يا منقــــــــــــاش
يا علقــــــــــــــــها علق ريمــــــــــــــــية
الخط منعم لبي بيــــــــــــــــلاش
ومن عندنا هــــــــــــــــيه خرجــــــــــــــــية (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٦) من مجلة المختلف.

كرم متبادل

القصة الثانية رواها المؤرخ النجدي حمد بن لعبون المدلجي الوائلي (والد الشاعر النبطي المعروف محمد بن حمد بن لعبون) في كتابه المخطوط عن سبب تسمية جده الأكبر بـ «مدلج». فيقول عن جده حسين أبي علي الذي نزل في أشيقر وعاش في القرن الثامن والتاسع الهجري:

اشتهر حسين أبو علي بالسخاء والمروءة وإكرام الضيف ، وفي أثناء أمره أقبل غزو من آل مغيرة ومعهم أموال كثيرة قد أخذوها من قافلة كبيرة بين الشام والعراق ، فأتقاهم الليل إلى بلد أشيقر فنزلوا قريباً من نخل «أبو علي» . وكانوا متبرزين عن ضيافة البلد ، فأمر أبو علي بجذال جعله من نخله ووضعها في الأرض بين أسطر النخيل ثم دعا الغزو المذكورين وأميرهم حينئذ مدلج الحيارى المشهور في نجد بالشجاعة وكثرة الغزوات، فدخلوا إليه وأجلسهم على التمر فأكلوا حتى شبعوا عن آخرهم وهم نحو خمسمائة رجل.

ثم طلب من مدلج المذكور ورؤساء الغزو بالمبيت عنده وذبح لهم وصنع لهم طعاماً خصهم به ، فلما كان آخر الليل وهزموا على المسير وضع مدلج تحت الوسادة صرة كبيرة فيها مال كثير معاً أخذوه من القافلة وساروا ، فلما كان بعد صلاة الصبح وطلوا الفرش وجدوا الصرة تحت الوسادة فركب أبو علي فرساً له ولحقهم فلما أنهم قد نسوها، فأبى مدلج أن يأخذها وقال : «إنما وضعتها على سبيل المعاونة لك على صروعتك»، فرجع أبو علي بها وكانت زوجته حاملاً فقال لها : «إن ضيفنا البارحة من أهل المروءة والكرم ، فإن رزقنا الله ولداً ذكراً أسميناه على اسمه مدلج» . فولدت ذكراً فسماه «مدلج».

ومن «مدلج بن حسين» نشأت أسرة كبيرة برز منها الكثير من الشخصيات في مجالات الزعامة والعلم والأدب أما مدلج الحيارى فلعله الأمير مدلج بن نعيم بن حيار الطائفي أمير عرب آل مهنا في بلاد الشام المستول شاباً سنة ٨٢٢هـ. وهناك أمير آخر أكثر شهرة يدعى «مدلج الحيارى» عاش في القرن ١١ الهجري. (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٨) من مجلة المختلف.

البدو والأجراس

ارتحل الشيخ عقيل المجالد شيخ الدهامشة من غزوة بقومه إلى مكان كثير الخضرة والماء يدعى «سليما» في بلاد الشام، ولما نزل سمع أجراساً أزعجته وأجفلت إيلهم وأغنامهم وحين سأل عن هذه الأجراس علم أن أهل القرية من النصاري وهذه أجراس كنائسهم.

وكانت عقيدة المجالد من القوة بمكان أن دعته للذهاب لزعماء القرية ومحاولة إقناعهم بالمدخول في الإسلام بالترغيب والترهيب، ولما رأوا تصميمه عرضوا عليه أخذ الجزية منهم، ولكنه رفض منهم إلا الإسلام، وبالفعل اضطروا أمام قوة قبيلته أن يتظاهروا بالإسلام وبيتوا مسجداً في قريتهم، ويوافقوا على الصلاة عاماً كاملاً حتى رحل عنهم عقيل المجالد، وقد ثبت الله قلوب كثير منهم على الإسلام، وفي هذه الحكاية يقول الشاعر المعروف رميح الخمشي مادحاً المجالد:

دَنُوا قَعُودِي كَانَ صَارَتْ مَصِيبِيَّة

يُفْرَحُ لِيَا قُرْبَ شِدَادِهِ وَدَنِي

يَلْطِي عَلَى حَامِي جَوَانِبِ شَعْبِيَّة

غَضِبَ عَلَى الزَّعَالَانِ مِنْ غَيْرِ مَنِي

«عَقِيل» زَيْنُ اللَّيْلِ لَمَدَانَتْ هَلِيبِيَّة

خَلَى النَّصَّارَى دِينَهُمْ دِينَ سُنِّي (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٦٨) من مجلة المختلّف.

المجدور

راسلنا بهذه القصة القارئ ياسر غازي العضياني عن أحد أبناء جماعته في الزمن القديم فيقول:

أصيب الشاعر والفارس بطليحان بن مبارك العضياني العتيبي بمرض الجدري (أو العقر كما كانوا يسمونه قديماً) ، فابتعد عنه أهله وذووهم مسافة ليست بالبعيدة خوفاً من انتقال العدوى إليهم ، وتركوه في معزل لا يأتونه إلا بالطعام والشراب حتى عافاه الله تعالى بعد أن قاسى من المرض شهراً كاملاً.

وهي مرضه كان ابن أخيه فالح بن هضيان يأتيه بخليب المغاتير ، وبعد الشفاء أسند إليه بطليحان هذه الأبيات:

يا فالح ، العقر اختفى قبل الأذوار
تعال هرجني يوم أنك عجيبي
يا جعل عمرك ما تجي فيه الأشرار
يا واحد جاني بطاسلة حليبي
جاني بها فالح من العرب الأبرار
ومصلحات في شعبي عشيبي
قدأمها فالح بدا راس مجدار
معه ام خمس اللي تجر الرعيبي
شريتها بالسلم ما فيب مكار
وهو عشتقها والنصيب النصيبي
شريتها من الدهاسي ورا الدار
مصدق له وموقله للبيبي (x)

(x) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٥) من مجلة المختلّف.

صداقة مع اللبوة

كان الناس في الماضي يعيشون حياة الشقاء والعناء والتعب بسبب قلة الطعام والمياه ، وحدث في تلك الأيام أن امرأة من قرية قفار (قرب حائل) يقال أن اسمها «هيا الغيث» كان معتادة يومياً على الذهاب إلى الصحراء خارج القرية التي تسكنها .

وهي أحد الأيام ذهبت إلى مكان بعيد عن القرية فوجدت بين التلال لبوة «أنثى أسد» تخرج بسبب شوكة أصابت يدها ، فاقبلت اللبوة إلى المرأة التي أصابها الخوف والهلع مادة يدها ، فأخرجت المرأة من أغراضها «منقاشاً» واستلقت الشوكة من يد اللبوة المفترسة ليس بدافع الشفقة فقط بل من الخوف أيضاً ، وربطت يد اللبوة بقطعة قماش . فهزت اللبوة رأسها كأنها تشكرها على منيعها ومشيت بجوار المرأة حتى اقتربت من قريتها «قفار» فرجعت اللبوة من حيث أتت .

وفي الغد وهي نفس المكان شعرت المرأة باللبوة تجر بأنيابها ظليماً من أحسن الظباء وأسمنها ، وأقبلت إليها ثم ألقت بالظلي بين يدي المرأة جزاء على معروفها بالأمس . (*)

(*) نشرت هذه القصة في العدد (٨٤) من مجلة المختلص.

أب يفقد ابنه الوحيد

روى هذه الحكاية الباحث إبراهيم اليوسف في كتابه «قصة وأبيات» بما معناه أنه: «كان لعمادة بن منيس من الخرصة من شمر ولد باز به يعمل بالأجر، وما يحصل عليه يعطيه لوالده الذي كان في ضيق من العيش وقلّة ذات اليد، فكان الأب دائماً يرى هذا الولد وصلاً له عاقداً عليه آمالاً كبيرة، وفي دورات الحياة بحثاً عن الرزق نزل عمادة جازاً عند «مسعد المرمش» في بلدة موقق بضواحي حائل بينما كان الولد يسوق السواقي في بلدة قنار مقابل أجر زهيد.

وفي أحد الأيام اختلت إحدى بكرات القلب، فصعد الولد لإصلاحها وأراد الله أن يسقط الولد في البئر مطلقاً صرخات الاستغاثة، ففرغ الناس إليه وحين وصلوا إليه وأخرجوه وجدوه ميتاً، ولم يجدوا طريقة يخبرون الأب عمادة بها، فأشار أحدهم أن يرسلوا إليه طفلاً لينقل إليه الخبر، فأحضروا الطفل وأوصوه بما يعمل، وعند وصول النبا إلى عمادة خرج إليهم مشدوه البال يتمتم بالأبيات التالية رثياً ولده البار:

امشي وعلمني صغيروا أنا ابيض
وقسفت ثقل موسر لي بقعدة
يا ثقل ضريرة زانة بالسراجيف
الزانة اللي مـــــا له اذن ترونة
وا كيدي اللي ثقل يقصم به الشيف
او ثقل موسر بالضماير يقدة
او ثقل فوقه حامييات المراضيف
او ثقل فوقه غدة فوق غده
ثوا حبيبي قصبتته الصواديف
صواديف بقـــــما ليت ربي يلدّه
غرفاتها مـــــا ينخطف بالمخاطيف
وبلاويه كثر الشمر من يمدّه
ثري بقـــــما له رجا جيل وتخيف
والخين يـــــمـــــه والغرابيل بدّه

وعلمه وأخوها لازم يذبح الكيف
وياما خذت من راكمين الاشنة
وياما خذت من خير يكرم الضيف
ومن خقرة مثل القراطيس خذ
تعمي وتصيح مثل شعف العواصيف
ناس تصلفسقفها وناس تصدده (x)

(*) نشرت هذه القصة في العدد (٨٥) من مجلة المختلص.

نجر المطوع

أحياناً يشكل شاعران ثنائياً بحيث يؤدي كل واحد منهما إلى شهرة الآخر، ولدينا في تراثنا القديم أمثلة كثيرة على ذلك.

وسعد بن مساعد أو «سعيدان» شاعر عاش في «نفي» غربي نجد أوائل القرن العشرين. وكان معاصراً لشاعرها الشهير عبدالله بن سبيل الذي كان يشغل منصب أمير البلدة بينما سعيدان إمام مسجدتها، وبالتالي تكونت بين الرجلين صداقة «لدودة» كان من ثمرتها بعض الطرائف الشعرية التي مازالت تروى إلى يومنا هذا.

ومن ذلك أن سعيدان كان يضرخ كثيراً بنجدة الذي يدق به القهوة. وقد حاول أكثر من شخص شراءه ومنهم دغليوب بن خنيسر، فقال:

نجر المطوع يوم ساممه دغليوب

فقالوا: تبيعه، قلت: والله ما ابيعه

أبغى إلى جونا هل الفطر الشبيب

أجواد مرفقهم عدو الشريعة

أول قراهم دلتين وترجيب

ترجيبه سهلة بنفس ربيعة

ما أنا بأحب إلى بجنيته عذاريب

طبيعة يا حيتها من طبيعة

تعل رجل ما يعرف المواجهيب

تجيبه ليعات الليالي سريجة

فالتقط ابن سبيل هذه الأبيات، وعارضها متقدراً على فخر صديقه المطوع:

اللي يجي يقه هل الفطر الشبيب

شرق عن الهيشة يسار الربيعة

والأ.. المطوع كل هرجائه تكاذيب

واليا بغى ما هي بـ «ترفة» تطيغه!

ويحاول المطوع تكرار الفخر ثانية فيقول:

لى ضاق صديري قمت أضوت لـ نورة

هاتي حطب وارميه للجار والضيف

من قـبـل ولد اللـش يـبـدي بـشـوره
 حـمـسـت من بـن الـيـمن غـايـة الكـيف
 فـرد ابن سـبـل مـسـتـهـزأ من رواد مـجـلس المـطـوع:
 مـطـوع يا كـبـيـر.. هـولـه وجـوره
 مـشـراه في دور الـسـنة مـدً ونـصـيف
 ودلائـهم دية الـليـالي مـهـجـورة
 وخطـارهم مـا غـيـر ابـو زـيد وحنـيف
 ولـرد يـكـتب «سـعـيدان» مـطـوع ثـمـي هـذه الأبيات مـتـفـزلاً في صـبـية صـغـيرة قـيل أنها
 ابنة ابن سـبـل الـتي كـانـت تـدرـس عـلى يـديـه في «الـكـتاب»:
 هـيـض عـلى جـوـيـدل مـا تـخـطـي
 يـلـعب مـع الصـبـيـان بـام الخـطـوطـي
 يا شـبـه غـرـنوقٍ مـع قـرـخ بـطـا
 تـوّه وحـش نـزل البـحـر والشـطـوطـي
 كـنه عـلى شـوك الـهـراس يـتـطـوطـا
 والـأ مـيـر يـوم بـالـرجـل يـوطـي
 وبـالـطـبع كان ابن سـبـل خـصـمه النـقـلـيـدي له بـالـمرصـاد فـرد عـليه:
 مـطـوع يا مـال كـشـف المـخـطـي
 يا خـنـد عـلى رقي المـنـابر شـرـوطـي
 شـرم عـلى ورج وهو مـا تـخـطـي
 يـلـعب مـع الصـبـيـان بـام الخـطـوطـي، (×)

(×) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٩) من مجلة المختلف.

حب لا يعرف اليأس

سعد بن قطنان، شيخ من شيوخ قبيلة سبيع القاطنين في الخرمة، وأمه هي أخت الفارس الشيخ محمد بن هادي بن قرملة، وكانت لسعد ابنة عم عاينها على الزواج منذ طفولتها، ولكن أباهما زوّجها لأحد الأشراف المقيمين في رنية ويدعى ابن صامل.

رغم ذلك فإن سعداً لم ييأس وتوجه إلى رنية حيث حل ضيفاً على صهرهم الشريف وأسمعه هذه الأبيات:

حائي كما هيتشا غدا جلدها دف
ما عايتت من رعيها القفسر زودي
عليك يا لي ما تقضى منه شف
حالموا عليه معنزين البلودي
غدا بها حمأي ركب إلى خفا
لي تاهوا الشردان قـرع الزنودي
يا صاحبي حظيت كفر على كف
وأنا احسب أنك ما تخون العهودي
عساك يا نابي الردايف تحمف
على عهود بقتوها بالجحودي
أما المرأة فقد قامت إلى مجلس زوجها وخاطبت ابن عمها الضيف قائلة:
قلبي كما طير يرف بجناحه
يبي يطير وشابكنه الحابيل
والأ كما بن يزيد ابتجاجة
عقب التجاج مرجح بالعاميل
حي المراح وحي من هو مراحه
مراح من يثني خلاف الرجاجيل
لي طالعوا نشر ثقال لقاحه
يجيك كسبه من خيار الزعاجيل

وعندها لم يجد الزوج الشريف أنبل من أن يجمع بين ضيفه وابنة عمه فطلقها.

وهكذا تزوج سعد بن قنطان من محبوبته.

ولكن القصة لم تنتهي هنا إذ لم تمر فترة طويلة حتى أصيبت هذه الزوجة بمرض هضمي على حياتها، وهذه مراثية لسعد في زوجته منها:

يا عين هلي صاقي الدمع عسبار
تزايدني توقيال ناظرك ما ييش
على الذي يتعش قواذي الى سار
إلى ضحكك لي بالثمان المهايش
الصاحب اللي قريت منه الاقدار
عنه ابعدتني مبعيدات الطاريش
غر البخت منها وعمسين الابصار
وعديت كني من هثيل الدرايش
وازينوها وان حضب البيت خطار
وكمرون عشقات العيال الفوائيش
تفحص يحشمة واحد يكرم الجار
رجل تحاكوا به ركاپ الطراريش (x)

(x) نشرت هذه القصة في العدد (١٠١) من مجلة المختلّف.

غربة العرفجي

روى الشاعر عيسى بن الحميداني في كتابه هذه الحكاية على أنها عن شخص من أهل بريدة يدعى «محمد العرفجي» ورث ثروة هائلة من أبيه التاجر فبذرها حتى صار فقيراً مع الأيام.

ولنا هنا وقفة فمعروف أن آل عرفج أسرة تميمية من أهل بريدة ، وقد تولى إمارة بريدة عنهم الشاعر المعروف محمد العلي العرفج في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي (توفي سنة ١٢٥٨هـ) ، وهذا الشاعر كان له غيبة في العراق شغل يا ترى هو صاحب القصة التي نحن بصددتها الآن .. نعتقد ذلك لأسباب أهمها لغة هذه القصيدة وأسلوبها ومعرفتنا بأن الرواة قد يغيرون تفصيلات بعض القصص (وللعلم فإن الشاعر عبدالله بن ربيعة صديق محمد العرفج قصيدة على نفس وزن وقافية القصيدة الملحقة بالقصة وإشان من أبياتها لأبن ربيعة وهما البيت القائل: إن كان مالي من ثمرهن بطاطلي وما قبله).

المهم أن الحكاية تقول أن «العرفجي» بعد افتقاره عاد إلى بيته فترة الظهيرة فوجد فيه ضيوفاً ، ولما دخل على زوجته أخبرته أن القهوة والرز نقداً من البيت ، فذهب محمد إلى السوق لإحضار ما طلبت زوجته إلا أنه وجد كل الدكاكين قد أغلقت لإداء صلاة الظهر إلا واحداً لرجل يدعى «قرباط».

رفض قرباط أن يعطي محمد العرفجي ما طلب بالدين رغم رجائه وشرحه للظرف ، ولما يش منه ضاقت الأرض على العرفجي بما رجب ، وخطرت له فكرة مجتونة إذ رأى أمامه قافلة تجارية للعقيلات توشك على الرحيل للشام، فرحل معها دون أن يخبر أحداً من أهل بلده ودون أن يعود إلى بيت لتوديع زوجته.

أما الزوجة فيعد أن تأخر زوجها وطال بها الانتظار خرجت الي جازها «أبو محمد» وطلبت منه ما تحتاج لإكرام الضيوف وتدبرت الأمر حتى خرجوا من البيت شاكرين.

فلت الزوجة تسأل عن مصير زوجها حتى عرفت أنه ارتحل مع القافلة عله يحصل رزقاً يغنيهم عن الحاجة، فباعَت مصوغاتها الذهبية واشترت راحلة وأرسلتها مع رجل لحق بالقافلة وسلمها للعرفجي حفظاً لمكانته بين أفراد القافلة.

ولما وصلت القافلة إلى الشام باع «العرفجي» راحلته وتاجر بثمنها حتى ربح

وصار يتاجر في الإبل مع العفيلات منتقلاً بين مصر والسودان مدة خمسة عشر عاماً متتالية حتى أثرى. وبعدها استقر الحال به في بغداد حيث اشترى قصراً على نهر دجلة قرب صفاة الإبل.

و ذات يوم حضر إلى العرفجي رجل من أهل بريدة فقال له: «أما شيعت من الدنيا بعد هذا كله؟» إن زوجتك تنتظرك منذ خمسة عشر عاماً فأما أن تعود لها أو تطلقها؟

وهي أثناء هذه المحادثة بين العرفجي والرجل إذا يأنس شدو الرجال متوجهين إلى نجد... فقال العرفجي: من هؤلاء؟ قال: إنهم من أهل بلدك ويريدون بريدة.. فقال له: «إذهب وقل لهم أن ينتظروا قليلاً حتى أكتب إلى زوجتي رسالة أعلمها فيها أنني قادم بعد تصفية أعمالي» وكتب قصيدة وجهها إلى جاره أبي محمد منها:

قل: يا أبو محمد هزني واختبأطي

من حاجة حدثت على بيت «قرياط»

لكن جرح بالحشا ما يخاطي

على عشيير يجدل الراس بمشاط

وعلى عيونني من فراقه غطاطي

ودوا عيونني لي حجيبيبه إلى ماط

يوم اذكركه لكن جـوفي يماطي

أو كن يضرب بمسرة القلب مخباط

يا غرسنتين لي على جبال شاطي

مذريات عن هوى النصف وشباط

إن كان مالي من تمرهن بطاطي

لعل يسظمنهن من الهيف سمباط

يا سايل مني ترى في انبساطي

في سوق بغداد على زل وبساط

وبعد فترة من إرساله القصيدة عاد العرفجي إلى بريدة.. واجتمع الضمير بزوجه، ودفع الديون المتراكمة عليه خاصة لـ «قرياط» الذي استدعاه العرفجي وقال له: «سوف أقدم لك هدية كبيرة لأن كل هذه الأموال جاءت من أسبابك» (x)

(x) نشرت هذه القصة في العدد (٥٥) من مجلة المختلف.

كيد النساء

قصة عن الكيد والدهاء والحب أيضاً .. لا نعرف عنها إلا أسماء أبطالها وتفصيلات الحكاية التي رواها عنيد الفهيد أما الزمان والمكان ومعلومات النسب فقد ظلت مجهولة . ولكن طبيعة الأشعار الواردة في القصة تجعلنا نعود بها إلى قرون قديمة في بدايات الشعر العامي.

يقول الحكاية: كان «بشر» متزوجاً من امرأتين إحداهما تدعى «حسن» (بشكين السين) ، وكانت والدته تفضل الزوجة الثانية على «حسن» ، ولما كان «بشر» غائباً عن البيت دخلت والدته على «حسن» فرائها تداعب ولدها الصغير الجالس في حجرها وثقبته واضعة شماغ والده على رأسه . فاستغلت الأم الفرصة وأخبرت ولدها بشر حال عودته أنها رأت واحداً يداعب «حسن» وأقسمت قائلة أنه: «صغير الهامة كبير الغمامة».

ما كان من «بشر» بعد أن سمع هذا الكلام والقسم من أمه إلا أن ذهب به «حسن» على مسيرة يومين حتى اقترب من منازل قبيلة معادية لقبيلته فأناخ ذلوله في آخر الليل للمبيت . وحين نامت زوجته تركها وحيدة وركب ذلوله ورجع إلى أهله. ولما استيقظت عرفت أنه كان يريد هلاكها فاتجهت إلى أقرب المنازل وزعمت أن قوماً أشاروا على قبيلتها وقتلوا أهلها فلم يبق لها أحد. وعندما سمعوا قصتها أكرموها وبقيت عندهم فترة وهي تحرص على أن تبقى مثلمة دائماً حتى عند الأكل، فلم يروا وجهها إطلاقاً طيلة فترة إقامتها لديهم ثم حدث فيما بعد أن شيخ القبيلة «ابن حمرون» خطبها فوافقت شريطة ألا يرى وجهها أبداً.

نعود إلى بشر فتجد والدته قد أصيبت بمرض خطير، وقالت لابنها إن هذا المرض بسبب ظلمها له «حسن» وأخبرته بالحقيقة .. عندها ركب بشر ذلوله وذهب يلتمس خبر «حسن» حتى عرف مكانها . فحل ضيفاً على زوجها «ابن حمرون» مدة من الزمن كان بشر خلالها كثير التيكاء قليل الأكل، فاشتكى «ابن حمرون» حالة الضيف هذه لزوجته «حسن» بقوله:

يا حسن عينا ياكل الزاد ضيفنا

هنا جميع تشنتكي تيكا

فأجابته حسن:

خير المألا عندني «بشر» ما يكيته
 ويألفي المألا لو موات ما نفعاه
 وعندما رآها بشر ورآته فعرفته قال:
 يا حسن يا حسنة الدل طالعني
 علي ابن حمرون يهوز عساه
 قالت حسن:

امنع عنه يا حامي الخيل بالننا
 عسى جميع الحاضرين فداء
 قال بشر:

يا حسن وش تجزين من جاك عاني
 من الغرب وخبلاً والديه وراد
 قالت حسن:

أجزاه أنا في حبيبة من ذيلي
 من أشاقي ما شافهن خذاه
 وكان حسن تريد بذلك أن تغضب زوجها «ابن حمرون» عله يطلقها، فشامت
 نفس «ابن حمرون» عنها وطلقها قائلاً:
 من عاقنا عناه لو كان غاني
 ومن جد حيلي ما وصلت رشاه
 فروحني مني لبشر عطية
 عطية عنقري ما يريد أجزاه
 وهكذا طلقها «ابن حمرون» عندما عرف أمرهما السابق، وعاد بها «بشر» إلى
 أهله فرحاً مسروراً. (*)

(*) نشرت هذه القصة في العدد (٥٦) من مجلة المختلف.

حوار مع الذئب

في ظروف الحروب والغزوات القبلية في الماضي كانت بعض النساء يقعن بين
نارين عندما تقع الحرب بين قبيلة أهلها وقبيلة زوجها ، وبطلة قصتنا هذه واحدة
من أولئك النساء .

وعندما تقع الحرب تسنح الفرصة للجنثل (سارقو الليل) للتكسب من إيل
الفريق المعادي. وذات ليلة بينما كانت هذه المرأة نائمة قرب حماتها وزوجها في
المرعى يحرس إبله جاء شقيقها متسللاً ليلطو على قبيلة أنسيائه، ولكي لا يكتشف
أحد أمره أرسل إلى شقيقته صوتاً يشبه الغواء لتعرف بمجيئه وتدله على مكان
الإبل. وعجزت المرأة في العثور على طريقة لحاوية شقيقها بسبب حماتها القريبة
هاخذت ترفع صوتها بالغناء لتسمع أخيها دون أن تشعر العجوز بالأمر، فقالت:

يا ذيب يا ليلى جـر صـوتـر عـوى به

مـدري طرب والا من الجـوع يا ذيب

البـوش عندك يم (خشم اللهاية)

هي فيضة السرداح والإبل عواذيب

أي أنها أخفمته أن الإبل في الموقع المذكور. وهنا ظنت أم زوجها أن الذي أرسل
هذا الصوت هو عشيق لكتنها ولكنها ليست على يقين كاف فأعزت لها بالقول:

جـذراك من ذيب يعـضـاك بنـايه

تري صـواب الذيب ما به تطايب

أي أنها حذرتها من الانخداع للرجال المذؤوبين فمن هانت مرة ستهون دوماً
فعرفت المرأة مقصد العجوز وأجابتها بجواب أسكتها:

وحياة جـلاب المطر من سحابة

إني عـضيضة ما دخل عرضي العيب

أنا كـما عـد قـليل شـرايه

ما تدهله بالقيظ حـرش العقارب (*)

(*) نشرت هذه القصة في العدد (٦٢) من مجلة المختلط.

شاعر يرثي نفسه

معروف أن التراث العربي القديم يحتوي على قصة شهيرة لشاعر رثى نفسه قبل الموت هو «مالك بن الربيعة» ، وتخصيلااتها معروفة في بطون كتب التراث أما تراثا العامي فيحتوي على قصة مشابهة لشاعر آخر رثى نفسه قبل الموت هو الشيخ مسلط الرعوجي العنزّي الذي رثى نفسه وهو يموت بطيئاً بين يدي صديقه الشاعر الغزلي الراحل محسن الهزاني في بلدة الحريق.

ومسلط هذا سمي بالرعوجي لشجاعته الفائقة لأنه كان إذا صاح (يرعج) الخيل أي يسقط ما في بطونها ، وطلق لقبه على اسمه بالرغم من أنه من آل هذال شيوخ قبيلة عنزة، وقد كان مسلط شاعراً فذاً يمتاز شعره بالقوة والجزالة والحماسة ، وقد شارك في العديد من معارك قبيلته فأصيب إصابة بالغة في آخرها، فأنزله رفاقه في بلدة الحريق لدى صديقه الشاعر محسن الهزاني لكي يعتني به حتى يشفى، وهناك قال الرعوجي قصيدة قبل وفاته منها:

قال الرعوجي مسلط وأهلي الأذكار

عصر الخميس وحفرتي جددوها

شدوا وخلّوني على دمنة الدار

يا حبيبنا حتى عياني خذوها

يا حبيب نسيوا هدائي والاذكار

مواقف صعبة عليهم نسوها

عقب العقاب الصيرمي طفت النار

لو جمّعوا كل الحطب ما أوقدوها

ماتي بغائبهم سوى حل الأمطار

لي خايلوا وسميّة وانجموها (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (٨٤) من مجلة المختلّف.

رد الجميل

راسلنا بهذه القصيدة القارئ خالد سعد الشمري من الأحساء ، وهي تدل على نبل أبناء البادية وتبادلهم رد الجميل بأصانة ووفاء .

تقول الحكاية أن «صياح المرتعد» وجماعته من ولد سليمان من عنزة خرجوا في غزوة لهم ، وسروا على بيت رجل من شمر يقال له : «مطير الحمزي السويدي» . ولسوء الحظ كان رب البيت غائبا . فرحبت بهم زوجته وهدمت لهم القهوة ، ومضت تبحث لهم عن طعام فلم توفق لذلك لضيق ذات يدها وغياب زوجها .

عند ذلك شعرت المرأة الأصيلة بالخجل من ضيوفها وجعلت تبكي حياء منهم . ولما يصير بها صياح صألها عن خيرها فأنبأته ، فجعل يقون عليها الأمر ويعتذر لها عن الإقامة لأنهم على عجل وكان قصده عدم احراجها ومضي هو وجماعته ، ولما عاد الحمزي الى بيته وأخبرته زوجته بأمر الضيوف واسم كبيرهم قام إلى نافذة أشيرة لديه ووسمها بوسم لصياح المرتعد وأشهد قومه على ذلك ، ومرت السنوات وأنجبت النافذة وتكاثر ولدها وكان الحمزي يسم كل نتاج للنافذة بوسم المرتعد ، وبعد مدة طويلة جمعت الأيام صياح المرتعد بالحمزي الذي سلمه الإبل كلها قائلا :

يا المرتعد واجيبك حق وصاياي

حق على اللي يفهمون المواجهي

وسميتها بحضور كل القرابي

ذبيحتك يا منقح الجود والطيب

لو ما بقينا ما علينا غصايب

لا شك ضيف البيت له حق ومصيب

يفدك منه وضاري للصبابي

في ضفاف علق بالمعزب كلاليب

جسمالة يا شوق ضاهي الذوايب

وذي عادة الطيب يستتر المعازيب

فقبل المرتعد بأخذ ثلث الإبل فقط ، ورد البقية للحمزي قائلا :

الطيب في وجهه المشيب وهاب

وطيب الفتي من عند ربه مواهب

ثَلثَ لَنَا وَثَلَثَ لِيَسِيْرَتِكَ حَلَايِبَ
مَقْسُومٍ بَيْنَ الضَّعِيفِ هُوَ وَالْمُعَاذِيْبِ
وَمُعَاذِيْتَنَا يَا فُضِيْتِي وَاثْتَ غَايِبِ
نَشْمِيْعَةً تَسُوِي كَثِيْرَ الرُّعَايِبِ
مَنْ جَرَّبَ الدُّنْيَا يَعْرِفُ التَّوَايِبِ
قَرَاهَ مَا يَشْنُو وَلَا يَذْكُرُ الْعُيُوبِ
وَالَّتِي يَسَمَّى نَشْمِيْعَةَ الْبُطْنِ خَايِبِ
أَصْلُ الْقُرَا.. أَلَيْنَ هُوَ وَالتَّرَا حَيِبِ (*)

(*) نشرت هذه القصة في العدد (٧٧) من مجلة المختلط.

قوت وفهيد

هذه قصة حب وجدناها في كتاب بعنوان «تاريخ سيناء» مؤلفه نعيم بك شقير مطبوع في أوائل القرن العشرين الميلادي، وراينا نشرها تقرباً جزءاً من التراث الذي حملته القبائل المصرية من بواديها القديمة في نجد سواء كان واقعياً أم أن الخيال صاغه في ليالي السمر.

يقول نعيم بك:

«عند نزولنا في غرب أولاد سعيد سنة ١٩٠٥م طلبت من أحدهم أن يقص علينا حكاية من حكاياتهم ، فقص علينا رواية «قوت وفهيد» قال:

كان في إحدى قبائل نجد فارس مشهور بالشهامة والإقدام يدعى «فهيداً» ، وكان في قبيلة أخرى تجاورها غادة مشهورة بالفصاحة والجمال تدعى «قوتاً» ، فكان كلما التقى فهيد برجل وجرى ذكر النساء يقول له: «لا يصلح لك زوجة غير قوت» ، وكذلك كلما التقت قوت بامرأة وجرى ذكر الرجال تقول لها: «لا يصلح لك زوج غير فهيد» ، ولم تكن قوت تعرف فهيداً ولا فهيد يعرفها، ورغم ذلك تولد في قلب كل منهما حب للأخر وشوق لرؤيته.

وكان لقوت جارية تعرف بمورد فهيد فأخذت جارتها واثت بها إليه، فاتفق أن فهيداً لم يرد الماء في ذلك اليوم ، ولكن وردها أخوه وهو طفل صغير فتقدمت إليه قوت وقالت له: «أنت شقيق فهيد الفارس المشهورة» ، قال: نعم. فدنت منه وقبلته وطلبت منه إبلاغ النخبة لأخيه وعادت إلى قبيلتها.

ذهب الولد وأخبر أخاه بما كان فاشتعل إذ ذاك فهيد حباً لقوت وأخذ يسعى إلى رؤيتها فلبس لباس راح ودخل قبيلة قوت ، وقال: «فقدت ناقة لي وجئت أفتش عليها بين نياقكم» ، فقالوا: «هذه إبنا ففتش على نافتك بينها» ، فدخل فهيد بين الإبل وكانت قوت هناك ، فلما رآها لم يشك أنها هي فصرخ جمالها ورشاقة قدما ، فتقدم إليها وحياتها بأبيات جميلة فعرفت أنه فهيد فردت عليه التحية شعراً أحسن رد.

وخاف فهيد إذا أطلال المكوث أن يتكشف سره، فودعها مرغماً وبعث يخطبها من أبيها بأي مهر شاء ، وكان لقوت ابن عم لها يريد الإقتران بها وكان أبوها راضياً به ، فرفض طلب فهيد ولكنه خاف بطشه فتقض خيامه وسار راحلاً إلى أرض بعيدة ،

فركب فهد، فرسه، ولحق بالثوم وأخذ قوت غنوة منهم وهي في هودج على جمالها
وسار بها قاصداً قومه.

وهي الطريق قالت قوت: «أخاف يا فهد إذا تزوجتني على الرغم من أهلي أن يعثر العرب أولادنا بأنهم أولاد «قلاعة» ، فالرأي أن نردني ونسوق «الجاهة» إلى أبي فيزوجك برضاء، وأنا أعدك وعد حب صادق أنني لن أرضى بأحد غيرك حرفنا لي» فاهتمت بوجاهة رأيها وردها إلى أهلها.

فلما دخل الظعن رماء عمها «وطفان» برمحه غداً فقتله ، فحزنت عليه شئت حزناً شديداً ثم أخذت قدبه وترثيه بالأشعار وقد انقضت عن الطعام والشراب إلى أن ماتت.

ومن قولها فيه:

يا طيـور حـومة يا ضوال الصنـاقير
أوصيكم عن فـيـد لا تنقـلـنـه
يا كم عـودـه طـوـح الـرمـح تـطـوـح
وأعطي اللحم لعشـوشكم تنقـلـنـه

١٠٠

يا عمي يا وطنان ما بي خلافي
أبكي صبي تدفق السـمـن يـمـنـا
يا عمي يا وطنان ما بي خفاقي
أبكي صبي يذعر الخيل طريـا
يا ونّي ونّة ثلاث الهـراـفي
اللي جلد حـيـرانهـه مـبـوا
يا ونّي ونّة عجوز كـهـيـرة (١١)
شافت ولدها سبق الخيل تنحـاه (١٢)

ذبحت أنا سبعة من الشجعان
ذبحتهم بالشار ما ذليت
كله لمينا ذبحه الطير فان
ذبحوا وتالي مورهم بالبيت

ويذكر الفهيد في موضع آخر من كراساته سبباً آخر لكشف مارق عن شخصيته، وهو أن فتاة قالت له: «رد الغنم يا عوج ساق، استخفافاً به، ولما أغار الأعداء على قوم الفتاة لحق مارق بهم وقتل منهم الكثير واسترجع المنهوبات كلها لوحده، وقال مخاطباً تلك الفتاة التي كانت معجبة بشاب وسيم هرب وقت الغارة:

يا بنت ياللي غرّها زين عشاق
وراه ما فلك وتو كان به زين؟
تقول: رد الطعان يا اعيوج الساق
وانا حلي مسولعات السراحين
ياما ثبيت الساق من فوق الاوساق
عساس بدو عقب الامحال منحين (٤)

(٤) نشرت هذه القصة في العدد (١٠٣) من مجلة المختلّف.

الزوجة المدخنة

«ابن جلق» شاعر عاش في الزبير خلال الفترة التي كان بها الشاعر المعروف محمد بن لعبون مقيماً في تلك البلدة ، وربطت بين الرجلين صداقة حميمة كما هو واضح من قصيدة ابن لعبون: «ما طروق هرق الورق يا بن جلق».

ويروى أن ابن جلق الذي كان صانعاً غاب هجرة عن بلدته ولما عاد وجد زوجته تشرب الدخان! ، فقال مخاطباً إياها:

لعل روعي يا اتلع الجريد قـدالـد
أوحشتني في شريك النارجيلة
شرب التبن ما هوب زين لشرواك
تكر ويأذي بالثنايا الصـقـيلة
من عقب ما كن اللواتو ثناياك
يكسيه بالصـفـرة وتاني كـليـلة
يا زين ترضى حين ما مـز من هـاك
عقب الشهد يآزي مـذاقـه: سـبيـلة
أوزاد ترضى نور صاقي مـحـيـاك
يكسيه دخان التبن كالمخيلة (١)
فردت عليه الزوجة معتذرة من أن تدخينها كان بسبب غيابه الذي أضناها:
يا زوج ما والي اللاطيلاق مـوـاك
باعث جميع الخلق مـثـي المخيلة
اليت مـيـر ايـقن بـريـك ومـوـلاك
الواحد اللي نرتجي مـد نـيـله
مالي شـفاة بالـغـلاوين لـوـاك
أنت الذي يا شـوـق أوزيتني له
أيا اتسلى به إني حين مـلـقـاك
والا التبن ما هوب عندي نـفـيـلة (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٢٣) من مجلة المختف.

الفصل الثالث:

مثايل

راعي الأجر

شعر: الإمام تركي بن عبد الله آل سعود

يُعدُّ الإمام تركي مؤسس الدولة السعودية الثانية المعروف بالشجاعة والديانة والشهامة. وهو من أسرة مباركة شهد لها التاريخ بالمجد والمؤدد.

قال هذه القصيدة يتوجد فيها على ابن عمه مشاري بن سعود، وأرسلها تركي لمشاري الموجود أسيراً في مصر عند إبراهيم باشا سنة ١٢٢٥ هـ، وهي من القصائد الممدودة هي الحكمة والحماسة:

طار الكرى عن موق عيني وقراً
وقـزيت من نومي طرا لي طواري
وابديت من جاش الحشا ما تدرأ
واسهرت من حولي بكثر الهذاري
خطاً لثـمالي زاد قلبي بحرأ
من شاكلي ضميم النيبا والعزاري
سريا قلم واكتب على ما تورأ
أزكى سلام لابن عمي، مشاري،
شيخ على درب الشجاعة مضراً
من لابة يوم الملاقاة ضواري
ياما سهرنا حاكم ما يطرأ
واليوم دنيا ضاع فيها افتكاري
أشكي لمن يبكي له الجـود طرا
ضراب هامات العدا ما يداري
يا حيف يا خطو الشجاع المضرا
في مصر معلوك لحم العتاري
من الزاد غـدام له سنام وسـرا
من الذل شـبعان ومن العز عاري
وش عاد لو تلبس حرير يجـرا
ومـتـوـج تاج الذهب بالزاري

فدنياك يا ابن العم هذي مغررا
 ولا خير في دنيا تورى النكاري
 تسقىك حلو ثم تسقىك مرراً
 ولذا تهما بين البرايا عواري
 اكفخ بجنحان السم لا تدرا
 هالعمم ما ياقاه كثر المداري
 ما هي يد المخلوق تقع وضرا
 وما قدر الياري على العبد جاري
 واسلم وسلم لي على من توروا
 واذكر لهم حالي وما كان جاري
 إن سألوا عني فحالي تسرا
 قبيح شرع العز لو كنت داري
 يوم ان كل من خيرونه تبسرا
 حظيت «الأجرب» لي خوي مبادي
 نعم الرقيق الى سخطا تم جـرا
 يودع مناعير النشامى حبادي
 رميت عني بوقع النذل بسرا
 ولا خير في من لا يدوس المحاري
 يبقى الفخر وانا بقبري معرا
 واقعال تركي، مثل شمس النهار
 أحصنت جدار عقب ما هي تطرا
 مصيونة عن حر لفتح المناري
 وتزلتها غصب بخير وشرا
 وجمعت شمل بالقرايا وقاري
 والشرع فيها قد مشى واستمررا
 ويقررا بنا درس الضحى كل قاري
 زال الهوى والغى منها وفرا
 ويقضي بها القاضي بلينا مصاري
 وان سلت ممن قال لي لا تزرا
 تجدر غدت بأبريلنا اسواري

ومن أمن الجاني كفى ما تحرا
وتأذي حريمه بالقرايا وقاري
واجهدت في طلب العلا لين قرا
وطاب الكرى مع لابسات الخاري
ومن غاص غيات البحر جاب درا
ويحمد مصاييح السرى كل ساري
وانا احمد اللي جاب لي ما تحرا
واذهب غيبهار الذل عني وطاري
والعمر ما يزاد مثقال ذرا
عمر الفيتى والرزق هي كفا باري
وصلاة ربي عند ما اخط بالرا
على النبي ما طاف بالبيت عاري (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٦) من مجلة المختلف.

العبيّة

شعر: شالح بن هدلان

قصيدة لشالح بن هدلان الذي سبق التعريف به في الفصل الأول، وقالها شالح خلال زيارته لبستان صديق له من أهالي «الحوطة» يدعى «فواز»، وكان الأخير قد عرض على شالح خيار نخله ملكاً له إن هو قبل ترك البادية والإقامة بين هذه البساتين، فكان رد شالح هو الرفض القاطع موضحاً أسبابه المقنعة الآتية:

والله يا لولا حب بيت العبيّة

إن اتخضض را في البلد عند فواز

شبهتها والشيخ يقهر كمينه

أدمية عادت على خشم محواز

والساق ناعور تعاقب دليته

عليه ورد البدو غسادين أركاز

والله يا لولا الرب يزرا علينا

لاقول: «شيرة»، والرمك غيرها، أيباز

يا زيتها بالجوخ والقمر مزية

إلى زير جمع ورا جمع أركاز

تلحق بمسطور سريع الهوية

يضرب بحمد الرمح ما هو بهواز

أردّها لعيون جاتي الشنية

غرو صغير كل ما جا الخير، هاز

لزم علينا فلك راعي الرمية

بشلخا وريح من هوت فيه ما ناز

فعل لبوي، وفعل جدي، ولينه

ماكر حرار ما شرك فيهن أيباز

هل فرسة من عاد بقعا صبية

لى جانا الشذر ترسي، ولا حن بشرأز (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٨) من مجلة المختلف.

طوارق هوانا

شعر: نمر بن عدوان

من القصائد التي لم تنشر من قبل للشاعر نمر بن عدوان، وهي في الشكوى من الحب ولعلها قيل وفاة زوجته وضعا التي اشتهر بعثراته لها:

سارت خشـارق في طوارق هوانا
تحسوف زفراته لواهـب لوامـيع
ليلة ثمان في توالي رمضـانا
غـايـب قـمـرها والكواكب توابع
في جنح ليل راحت الروح والـا
لا قلت روعي، ياخذ الوجد توليع
تمنيت روعي ياخذ ثوبه امـدانا
خلف الخلى في وجـيهه المـفازيع
يرد ورا المطروح سـاعـة نخـانا
في وجه صبيـان سكارى مـداريع
والأ بـفـاراتنا يوم كـانا
والنفس ياخذها سـيـاب توابع
خـذها حـبيب بالودة سـلـانا
لا في غـلاه اخـذ ولا اشـري ولا ابـيع
قد خم قلبي خمـة الخـيـطـانا
كـدرة هـفت مع ذاوية الـريع
قلبي هـيـل وبـالـخـلايق شـقـانا
يا سـاري القلب المشـقـى وانا ابـيع
قلب يـقلب وزود منـا ثـمـانا
وضع عليهن مثل غـتر المـصانيع
يا لايـمي بـيـلاك رافـع سـمـانا
بـسـبع بـسـبع الله بـسـع التـمـايـع (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٤) من مجلة المختلف.

مائي وأنا بتندر

شعر: بتندر بن سرور

بعد بتندر بن سرور (١٩٤١ - ١٩٨٥م) واحداً من الشعراء المميزين في هذا القرن
نبطياً وقد ترك تراثاً شفوياً يمتاز بالجودة وقوة الأسلوب، وهاتان القصيدتان من
أشهر قصائده راحت كثير من أبياتهما مضمراً للمثل، وقد كتب بتندر أولاهما في
بداية حياته ثم تسج على نفس وزنهما وقافيتها القصيدة الثانية مما جعل الكثيرين
يظنونها قصيدة واحدة:

(١)

يا الله يا جالي الأمور المهمة
تجلى وهج قلب يرى حال راعيه
البر دجته والبحر رخت يمه
وافرج سبب حظ على الله ميساعيه
يوم أن ولد اللاش رزقه على أمه
رزقي على اللي ميت القشع يحييه
مائي وأنا بتندر ببياع دمه
خسسران يا بياع دمه وشاويه
اللي بيع لابسات الأزمنة
تور بيا بيض العماهيم تفتيه
خلو البخيل اللي يكثر مومه
يقرا الكتاب وواجب الله يخليه
إما هرج لك في رقيقه بتمه
والأ عطي وأمه تضيع هقاويه

(٢)

يا مل قلب كل ما مات همه
دارت ذوايب الدهر لين تحبويه
أحمد ينام وحط رأسه يكمه
واحد تخم النوم عيشه وتخطيه

واحد يحاول بالردى بنت عمه
واحد يحاول ستر عذرا عوانيه
انشدك يا نلي كل شي تتممه
تقرا الكتاب وكل قرص تصليه
ويش القلب اللي عميق مجمه
ما سر غرسه ما عطش موانيه
سم السيب يا عارف عنه سمه
سم السيب يا عارفه قبل اسميه (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٢) من مجلة المختلف.

عرضة نجدية

شعر: عبد الرحمن بن صفيان

تظل هذه العرضة نصاً مدهش الروي قادراً على تلخيص التاريخ الطويل لتوحيد الجزيرة العربية على يد الملك عبدالعزيز آل سعود في أبيات قليلة:

نَحْمَدُ اللهَ جِيتَ عَلَيَّ مَا تَمَنَى
مَنْ وَلِيَ الْعَرْشَ جَزَلَ الْوَهَابِ
خَبَّرَ النَّاسَ طَامِعٍ فِي وَطَنًا
دَوَّهَهَا نَشْنِي إِلَى جِيتَ طَلَابِ
وَاجِدَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ قَدِ تَمَنَى
حَرَرْنَا لِي رَاحَ عَنَّا يَفِ وَقَابِ
يَا هَبِ لِي الْبَرْقَ وَبِنَ الْوَهَابِ
تَحَسَّبُ أَنْ الْحَرْبَ نَهَبَ الْقَرَابِ
لِي مَشَى الْبَرْقَ هَذَا زِيَّومَهُ أَنَا
حَنَ هَلِ الْعَمَادَاتِ وَأَهْلَ الْحَرَابِ
كَانَ مَا نَجْهَلُ عَلَى النَّاسِ جِهَلْنَا
مَا سَكْنَا الدَّارَ يَوْمَ الْجَلَابِ
دِيرَةَ الْإِسْلَامِ حَيَا مَيَّنَهَا
قَامَصَرِينَ دَوَّهَهَا كُلَّ شَارِبِ (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٠) من مجلة المختلّف.

الشيخة

شعر: مقحم النجدي

هناك أكثر من قصيدة سميت بـ «الشيخة» في التراث النبطي، وقد تكون هذه أكثرها شهرة لما تحتويه من حكم ومعاني بليغة:

يا الله يا المظلوم يا والي الاقــســدار
إنت الذي مـدأت جـودك لظليـفة
يا الله يا العـبـود عـاون هـل الكار
تحل شطآن عـلـيـهم كـليـفة
اللي مـجـالسـهم بـها بـن و بـهار
وتجر بصوت لـهـجـاهـا رـجـيـفه
مكارم للضعيف اصـيـلات ويكار
ومفطحات في صـحـون نظيـفة
يا مـزـنة غـرا من الوسم مـبـدار
اللي جـذبنا من بـعـيد رـقـيـفه
تومر علي كل المـضـالي بالامطار
تصـبـح بـها خـدان قـومـي مـريـفه
غـب الحـيـا قـاحـت بـها رـيـح الازهار
تخالف النـوار مـثـل القـطـيـفه
ترعى بـها قـطـعـاننا سـر و جـهار
ترعى زـمـاليق الضيـاض النظيـفه
قـطـعـاننا مـا يـرتـغن دهنـة الدار
في ظل مـروين الغـلب والرهيـفه
ترعى بـضـف الغـوش بـقـصـاف الاعمـار
تـقـطـف زهر مـريـاعـها مـع مـصـيـفه
في ضـفـة الله ثم جـبـر و جـبـار
خـيـالـة يـوم المـلاقـا عـنـيـفه
ترعى بـها وضحـا من الدوه مـعـطار
غـيـوفة الخـطـار مـجـل عـطـيـفه

يبني عليها بنينة اللبن لجدار
 عقب الضعف راحت زدوم منيفة
 ما هي حكايا مسرد عقب ما نار
 التي تكس اطراف رمحه نظيفة
 هذي حكايا مجريين بالاقدار
 حريتنا لو هو بعيد نخيفه
 أين من الماهود واقطع من النار
 وحريتنا يرجع فشيل معيغه
 إن سوهجوا عنها قليلين الابصار
 من دونها نروي الحيدود الرهيفة
 الصبر مفتاح الفرج عند الازكار
 ومن لا صبر تصيح حواله كسيفة
 خطو الولد مثل البليهي الى نار
 زود على حمله ثقل حمل اليقه
 وخطو الولد يهش على مودة النار
 مع العرب يشبه لخطو الهديفة
 والي بخصته ما سوى ربع دينار
 صفر على غود تضبته كتيفه
 وخطو الولد يامال قصاف الاعمار
 لا نافع نفسه ولا منه خيفة
 وخطو الولد مثل النداوي الى طار
 صيده سمان ما يصيد الضعيفة
 حنا كما الشخص عن الصرف مابار
 بالوزن يرجع والمصاري خفيفة
 حنا نرافي زلة الجار لو بار
 نضحك حجاجه بالعلوم اللطيفة
 نرفي خماله رفية العش بالفار
 ونودع له النفس القوية ضعيفة
 ولا تبدي الخافي الى صار ما صار
 يفلج قصير البيت لو بان حيفة

أحسد علي جاره بخاتري ونوار
 واحسد علي جاره صفاء محبته
 الجار لأبد مقلقي عن الجار
 وكل بجيرانه يعد الوصية
 نكرم سبال الضيف حق وتعيار
 لي من ولد العفن شح برغيشه
 لأبدها ترجع تواريخ واذكرار
 وتبقي لدمين الشوارب وظليقة
 يالله يالله يالله الحج زوار
 يالله عبيده كل يوم تضيقه
 عساك تفرجها على كل محار
 بهم وهو جاس تزايد نكيطه
 وصلاة ربي اعداد ما اخضر الاشجار
 على نبي له شريعة شريفة (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٢) من مجلة المختلف.

طرب وهو اجيس

شعر، تركي بن حميد

قصيدة طبقت شهرتها الأفاق حتى عدت منارة من منارات شعر الحكمة هي تراثا النبطي ، وشاعرها غني عن التعريف فهو واحد من أهم شعراء القصيدة النبطية على امتداد تاريخها ، وهو الشيخ تركي بن صنهاج بن حميد الغنيمي المنوفي سنة ١٢٨٠هـ.

ثومك طرب وانا ينومي هواجيس
ما سهرتك بالليل كثر الهمومي
اسهر إلى نائم عيون الهاديس
وبالليل اراعي ساهرات النجوم
قالوا جهلت، وقلت جهل بلا قيس
الجاهل التي ما يعرف الهمومي
اشوف عدلات الليالي مقابيس
ولا احذر من الدنيا عظامه سلومي
تضحك وتخفي لك خفي الهاديس
تفطر لها يوم ويوم تصومي
اعمل وتلقا، وافهم العلم بالقيس
دنياك لو زانت تراها نومي
والعز فوق معسكرات السواديس
إلى قصيدتي التي بالاشيا رحومي
قبا تناري بالاشيا كراديس
والطير في روجاته يحمومي
إلى توافق مشور السور وابليس
تبصر منه وعز ربي يدومي
بالليل اصالي حاميات الحماميس
والصبح الاوي كل هينا قحومي
أربع سنون ودمع عيني امباريس
العين تمسهر كن فيهما هزومي

وإلى ركبت مما اجساد المضارين
 يبرء على قلبي لهيب السمومي
 صوابنا بالليل غسق إلى قيس
 وطريقنا في مشير ما يقوم
 إن جن بنا مثل النعام الأمارين
 لي خفا عجل مع رفاق الحزومي
 استلحق اللي يطالبون النواميس
 اللي من الأقصين وادنى اللحومي
 لا خير في كثر الحكا والتمايس
 خرج بلا فـهـل يجي به وهوومي
 لومي على اللي يشغلون العيبايس
 واهل الفـرنج وكل رامي الحـومي
 إن جن باليدان مثل الدواويس
 وطار الخطا عن قانيات الرقومي
 خرج باهلهم كنهن القـرانيس
 على الطريق مـصـويرات كظومي
 إلى سـمـك عـج الرمك بالملابيس
 المسعد اللي حظ ريعه يقومي
 حتى يزين لنا المثل والتوانيس
 والكيف طاب لن يـكـ القـحومي
 من لا يلوس من قـهـل مـا ديس
 عليه داسوه العيـال القـرومي
 ومن لا يقلط شذرة المـيـف والكيس
 يـيـدي عليه من الليالي ثلومي
 والقصر ما يصلح على غير تأسيس
 ومن لا تعلم ما تـمـر العلومي
 ومن لا خذا الدنيا بميز وتقـيس
 مثل الذي يصـبـح بـلـيل يعـومي
 كل القلم من كتـبنا للقـراطيس
 وركابنا من كثر الأقـران تومي

يا زير.. يا زحار

شعر: خضير الصعيليك

واحدة من أروع قصائد المدح في تراثنا النبطي لغة وبلاغة، ولا غرو فهي هي
الثناء على «أبي خوذة» الشيخ عبدالكريم بن صفوق الجريا المعروف بكرمه البالغ:

يا شيخ أنا جيتك على الفطر الشيب
قـزآن من دار المحـبين دباب
دبا عليّ ودباً مني بتـقـريب
قل المواشي يا ذرا كل من هاب
من دارنا جـينا لدارك مغـارب
يوم نجم لا تقـير ولا غـاب
متخـيرك يا منقع الجـود والطيب
لا خـيب الله للأجـاويد طـلاب
سلام من قلب مسـحب بلا ريب
ته يستـتاب الشاب ويشب من شاب
يا جـوهر النـاريز، يا عطر، يا طيب
يا الصعل، يا الصهال، يا حصان الاطـلاب
يا زير، يا الزحار، يا النـمر، يا الذيب
يا الليث، يا اللايوث، يا الشـيبل، يا الذاب
يا الضاري الضـرغام، عـطب المضـارب
يا القـرز، يا مـقراض ضـدّ والأجناب
يا تادر الهليغ، عـقاب المراقـيب
يا ثافل جـيله يعـيدين واقـراب
نحاح طـيور العـصاكر الي هيب
سـتر العـناري لي غـشى الزمل ضـبضاب
وعـيبك الي من قالوا الناس بك عـيب
بالسيف لأرقـاب النـاعير قـصـاب
وعـيبك الي من قالوا الناس بك عـيب
تـسـمن فوق مـقلح الحـيل صـباب

وذبح الغنم والكوم حرقن العراق شيب
 وعظما المهار ويدل مالربلا حساب
 ويك شارة كب الفرد المحباتيب
 ويدل الطعام وللتناهيل كساب
 نمرأ تجره للعدا والأجانب
 تفجا بها غرات ضدك بالاسباب
 ومن عقب ذا بالعون ما يك عذاريب
 أحلى من السكر على كسب شراب
 جيناك فوق الهجن شيب المحاقيب
 شاهدهك يا شوق وضاح الانياب
 الحر يضرب بالكفوف المعاطيب
 والتبع قناصيه من الصيد ما جاب
 وانت الذي تافي بكل المواجيب
 كنك هديب الشام، بالحمل عشاب
 ثني لابو صلفيق ما به تكاذيب
 شيخ الصخا معطى طويلا الارقاب
 ياما عطيت اللي يجيوك طالليب
 كم واحد جا لك من الوقت منصاب
 وفرجت همته في كسار المواهب
 من علم يزمي كما يزمي الزاب
 عز الله انك طيب وتفعل الطيب
 والطيب يجني منك يا راكي الانساب
 ولا هو كثير يا مهدي الاصابعيب
 أفعالكم يحده اللي بالاصلاب (x)

(x) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٥) من مجلة المختلص.

الحبيب الجنوبي

شعر: حمد المغلوث

كتب حمد المغلوث (سبقته ترجمته في الفصل الأول) هذه القصيدة مخاطباً الشيخ علي الخليفة الصباح ، وقد تغنى بها علي الربابة الفنان عبدالله الفضالة:

ياح العزّاز من الحبيب الجنوبي
يا علي كنّ العقل بالكف مجذوب
يا علي تذكر اريش العين دوبي
زولته يزول لي واذا عنه محجوب
ابكي علي فارقنا والعبي واهوبي
والدمع من عيني علي الخد مسكوب
من حرّ نار الولف مزلعت ثوبي
وطوّحت بالونسة علي كل تهنوب
عقب الستر كل الخلايق دروا بي
والسند نار من الحشا ثورة الطوب
يا علي لي تستس تسيم الهبوب
نود من الشرقي يري حالي الثوب
سألّ سل الحال من كثر ثوبي
لا هم لا فارقنا ولاني بمطبوب
الا يلالي فراق من مسدد ثوبي
عن كل معشوق من البيض رعيوب
يا علي يا فرز الوغا يا محبوبي
وش انت شايف يا حجا كل مكروب؟
عيني يطيب لي الكرى مع شروبي
كن الحشا يعللي علي حرّ لاهوب
ليت اتركايب يا علي ما مشوا بي
من ديرة المحبوب والرزق مكتوب
ياليت رتي ما سمعي في ركوبي
ليت السنع معتاق والترب مقضوب

واليوم يا شاهـر عظيم الذنوبي
 أسألك يا المظلوم يا خير مظلوم
 تجمع بضملي مع حبيب عجوبي
 محبوب ما غيره من الناس محبوب
 اللي كما بدر قمر ليلاني
 أو شمعان في دجى الليل مشبوب
 اصفر عطر الكف منه مخضوبي
 ومجمله ربي ولا شيء عذوب
 إلا الوفا ما هو مكور كنوبي
 ومفضل ما يعطي العلم مقلوب
 عز الله أنه ثقل الحمل صوبي
 بالحب وادعائي شقي ومتعوب
 هو ريف روعي يا علي لو حكوا بي
 مصدود عن عذل العواذل ومحجوب
 ما اطيع انا العذل لو برقوا بي
 ولا اكف عن وصله ولا أسلى ولا اتوب
 ما اسمع ولا اوحى عن حبيبي ولو بي
 صبر فلا حاريت زام ومشروب
 ما اطيع انا الفرقا رفاق جنوبي
 وقلبي ضعيف ودايم النوم متعوب
 يوم الليالي عن حبيبي زمو بي
 غديت مكتوف الجناحين مصبوب
 مثل الضقيير اللي قريب عزوبي
 مستاجع ماله حذر يقضى الثوب
 أو شيء حيدر للبراة مخصوبي
 حملة ثقيل وصار بالخف شاذوب
 والأ كما طفل يتيم يحوبي
 من قلة الوالي ورا الباب مذبوب
 هذى سواتي عقب شرقا الجنوبي
 اللي هجرني ما لفي منه مكتوب

هو يحسب أن البيض ضربه فلدوا بي
 وأنا بصوب وعن هوى البيض في صوب
 وين اسلى اللي لى ذكـرته ينوي
 عتلي: وهو متطرف يسحب الثوب
 غرو من البيض العذاري محسوبي
 ترف الحشا ومعرل تقل مسيوب
 كن الردايف لا اختارها الهوبي
 صيوان حكام بالاطناب مضروب
 وعيوته الخرسات سود سطوا بي
 ونهود مثل التين والعنق مسلوب
 ياعلي وين اسلى الهوى وين اقوي
 وين اقدر التجليد والعقل منهوب
 ياعلى خلوتي حـزـين ألوي
 لوب الحمام اللي على راس نيتوب
 غير الوصل ما شي يبرد لهوي
 وصلوا على المختار ما افتردا لوب (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٩) من مجلة المختلط.

حيّ أليّ شراها لي

شعر: هراج بن ريفه القرقاح

قصيدة من نوادر الشعر النبطي بجودة معانيها وقوة أبياتها لشاعر رغم قلة القصائد التي بحوزتنا له إلا أنه يعد بحق من رموز الشعر النبطي على مر العصور وقد توفي في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وهذه الأبيات الجميلة دليلنا على ذلك:

قال بن ريفه: بدا في المرقب الحياتي
يا أليّ المراقيب توحي به هيايبها
ما يدهله كؤن صافي الريش والواتي
والاّ التولع يوم يفتك في عجايبها
هتضني الرجم واتا من أول سالي
لهم على القلب ديران شطيت بها
يا مرقب جاك من الأمطار همالي
نصوب مزن من المشتى يهل بها
لهم علينا شذوق الثفن لي سالي
وعطفة طريب الي زافت جواتيها
تا غدا القريض كنه زرع عمالي
سيلة من القدم تليطنان ناهيها
كم مرق قد نزلنا عشبه الخالي
ببيوتنا اللي وزا المجرم يلوذ بها
تبني بيوت بعراق فر وجها لي
وان جا التذر من حفيظ ما نزهيها
عسى هل الشين ما يبق ليهم نالي
واهل السلوك الردي يا رب تنه بها
واللي جليل ولشطات حمالي
ارفع نواصييه يا ربني وقطبها
انا من الخبيرة اللي شورهم عالي
واما هل البخل بامر الله نجن بها

يا راكب من على التي مشيها ارماني
مامونة يرفع الهالان غاريها
تزها السفايف وتزها الخرج وحبالني
ومجرب لي سرى في الليل صائليها
حي الطويلة وحي التي شراها
من واحد جانيها في السوق جاليها
شريتها في الدهر يوم ارخس الغالي
بمية وخمسين ما يهمل بفاليها
حديدها .. واذكر الله كنه ربي
وكن الحيايا تطوي في مقاضبيها
بشتروغها زياد عند دلاي
والا طموج هواها من يلاعبيها
واضرب بها الوعل لي منه تهياني
ابو حنية كبير الراس شايها
لي ثار بارودها الي العود متالي
منها الريايا مقطعة تشايها
واطمز بها عند ربي وامنع التالي
لي هاب ولد الردي ما عاد يزهبها
عد الطويلة عريب الجند والخالي
ولد الردي لا تخلونه يزولبها
والي لقونا من المقتاص زعالي
احد مدح بنديقه واحد يعذبها
بشرتهم بالعشا من عقب مقبالي
والقاييدة من مرز الكوع ضاربها
واسرح بها في السحر ما نيب كسالي
وكم سرحة فرقت منها ربايها
يا الله وانا ظالمك عطلني هوى بالي
حمرأ من الجيش طفاح جنايها
لي روح الجيش حاديه اشهب اللالي
لي هي تورذ وسيع صدر راكبها

الشيخ من يعطي الفقاري المفايس
 يبدل الساعة بعزّ يقومي
 والحرّ لي دبت عليه النواميس
 يشهرو عن دار المذلة يشومني
 والى اكتر من بعض الاشياء فماليين
 اعزم ولايد الفرج بالعزومي
 باب الفرج لبسك تظيف الملايس
 ينجسيك بايام الكرب والزحومي
 اوجس قلبي مثل حق النجاساتيس
 الله يلوم التي لحالي يلومني
 يجلي صدا قلبي ضريح الهاريس
 لي قام شراب القهواوي يعومي
 ودلال فوق النار دايماً مجاليس
 اكبرامهن حق علينا لزومي
 من صنعة الصبة وخمس التخاميس
 برينة يعامل بهما كل يومني
 ويهارهن هيل بلياً حواسيس
 كيف يهدي للنشامما القرومي
 عبده لحماي القيد المرانيس
 والا الحضان التي بقينه وهومي
 وصلاة ربي عند رمل الطعناميس
 على شفع الخلق يوم اللومومي (١٠)

(١٠) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٣) من مجلة المختلف.

اللي على كـوورها واللي بالحبيبـالي
واحـد على عـيزها واللي بخاريها
لي روجت مع تخاتيج الخـلا الخـالي
كن الذبابه تنهش من جنايبها
فاسـتغـفر الله اللي فوقنا عـالي
حطيت في حفرة رزوا نصايبها (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠١) من مجلة المختلّف.

سراج البيت

شعر: سليمان بن شريم

كم نحن في هذا الزمن بحاجة لتصحيح تراثنا للخلق القويم، وهذه نصيحة من
شاعر عرف بكرم السجايا توجه بها لولده وللأجيال المتلاحقة، فلنستمع لما يقول:

يا ملّ عين في محاجيرها شوك
والقلب به عن لذة الثوم دكّـاك
لي دكّ في قلبي من الهمّ دكـوك
جاوبت طريان الحمام والاديك
عزّي لحالك يا عزّيزه وأنا ابوك
كان الزمان اللي وطاني توطاك
أمشي وكنتي يا عزّيز بتسابوك
في حبس جبار تحت حكم الاتراك
على عتير دونه الباب مصكوك
ما غير امره واتعداه مثاك
وقعدت انا في تالي الوقت مملوك
دورة زمان بين جاك وتمـدّاك
إفهم وصاتي يا عزّيز وأنا ابوك
دامك صغيرو غاية العلم يقراك
تراه ما يضاعف عمك ولا اخوك
لي صار ما تقضي لزومك بيمنك
وربعك إلى بان الخلل شريك عافوك
اقرب قريب لك من الناس يشناك
وان كثر مالك صدّقوا لك وطاعوك
وان قلّ ما بيديك شانت سجاياك
لو تطلب الما عندهم كان ما اسقوك
ابعد مزارك عن وطنهم ومرياك
وان طاب حظك صدّقوا لك وزاروك
وان بار كلّ ما يبي غير فرهاك

والى اعترضك لك من صروف الدنيا صوتك
كل تبرى متك ما هو بويك
وهرا جلة المجلس الى جليت وروك
متازل تطرب نظيرك بدتيك
واللى يجي من رفقتيه ريب وشكوك
احذر عنه بالحوال ليك ليك
والى جفوك اهل الوطن واستخفوك
اشلع عيريك ثم هدم ركاياك
وعطهم مجازاهم الى منهم جوك
واغلق ضميرك لا تعلم بقصصك
تراك لو تمشي على الرجل صعلوك
احسن من اللي تلتجى له وياطاك
خدمتك شيخ كلك العبد مبروك
يامرك شيما يشتهي ثم ينهك
وقرى الملوك اليها صفوا لك وحبوك
اصغر خدمهم ينتقم لك وينفك
والى جفوك اهل الوظيفة وصافوك
خلفت موازينك وكل تهفوك
الى قضاوا ملك اللوازم وخلوك
تفرقوا وانت احتمل كل ما جاك
كلك سراج البيت للثور شبوك
والى قضى الوارد حذا الربيع طفاك
والا كما ليمونة الحمض مصوك
والى قضى منها الطعم طوحوا ذاك
واعرف تراك ميرقع منه مشبكوك
وحذرك في حبل الندامة ولا ارقاك
ان طيت ما حبوك وان جرت زابوك
وتقضي حياك فاقبل ذاك يرداك
واضحى لخلا ان الرخا لو تفالوك
اعرف ترى اطيهم الى احتجت يجفك

كنك خوي، مقبحة، دهووك واشووك
 حقة عطاك رشاك واقفي وخالك
 واحذر عن العيلة ترى الحق مدروك
 مثل العمل يدركك ما منه فكاك
 وان كان عدوانك على الضيق جدوك
 فاصم طلابهم بعجفاك واقداك
 وان كانهم في واضح الحق ماشووك
 ناظر مظاييع الفرج قبل مبداك
 وان طاوخوا لا بليس ثم استهوانوك
 فاصبر على البلوى وفتك زياك
 وزهم تراك اليـــــا تواتيت زاروك
 ان ما يدبت بصاحب السوي يداك
 ان كانهم ما طاوخوا لك وعافوك
 اضرب على الكايد ليا عميت ازيك
 لو هديوا لك بالمصاييب وضدوك
 مل مدبحووك قبل تدني مفاياك
 واحلم عن الجاهل ترى الحلم مدروك
 وقم للضعيف اللي من الضيم ينخاك
 وادمح خطا جيران بيتك الى اذوك
 ترى القصير وجرومة الجار بحماك
 عطهم جميع حقهم لو تناسوك
 في كل ما يصلح بدينك ودينك
 وقم للرجال الي عنوا لك وضافوك
 اغلى كرامتهم: حجاجك وبشراك
 واعرف ترى مالك من الضيف مشروك
 لولاه يطلب حاجته فيه ما جاك (x)

(x) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٣) من مجلة المختلف.

يا كليب.. شب النار

شعر: دغيم الظلماوي

أرسل لنا القارئ فخر صالح الظلماوي من عرعر النص الكامل لقصيدة «يا كليب» المعروفة في وصف القهوة للشاعر القديم دغيم الظلماوي.

يا كليب شب النار.. يا كليب شبّه
عليك شبّه، والخطب لك يجابي
قلط لها يا كليب من جزل خبّه
وشبّه الي منه غمما كل هابي
حنا علينا جيب ماها وحبّه
وعليك تقليب الدلال المذابي
إغلق ليا شيبيتها ثم قبّه
تدعي لها ربع سقارة غيابي
ولو هم بعيد شوق ضوء شبّه
ولو هم قريبين بنبح الكلاي
بنسرية يا كليب ياشين غبّه
ليا فسنست كنوها مع دابي
متلطمين وناطحين مهبّه
متكافين وسوقهم بالعقابي
خطو الولد يا حيف ما ينحسب به
معيقة على غصير الشياي
وش عباد لو يلبس زبون وجبّه
يصير منهم من حساب الزهاي
الوالدة يا كليب عجل بصبّه
والرزق عند اللي ينشي السحابي
صبّه لقرم مسرقتة ما حسب به
يوم البس خيل مكنهب الوجهه هابي
وشنه لصندور ليا جاء نبّه
يرخص بعمره والدخن له ضياي

وعنده عن اللي ما يداري المسببة
 اللي يدور بالقصير الغيابي
 احرض على جعده من احراق حبه
 لما تشوف العرق بالحب نابي
 ودقه بنجر قالي الليل نبيه
 يشادي تذيب يا عوى براس نابي
 ودق البهار ويهره ثم صبيه
 تصبغ على الضجال مثل الخضابي
 ومن يوجعه راسه ترى الهيل طبه
 وليا تقهوا غايه الكيف طابي
 تذبح لهم كبش عريض المليه
 ومن مذبح السكين حسن الركابي
 كم كبش مصلاح لراسه نجيه
 ولو زودوا فيه الثمن ما نهابي
 مع الشتال مزين طبخ حبه
 والعذر مع هذا وزين الجوابي
 وثبدي لهم يا كليب هرج التحية
 يا جنب الهين عريض العلابي
 ويهرج احلى من شخاليل جيه
 واحلى من السمن الجديد العرابي
 يا رب تاخذ قالي العهر عيه
 من قبل ما ينف علينا القرابي
 الصبر زين وراعي الصبر غبه
 يرقى بروس مشمرخات الهضابي
 ومن لا صبر يا كليب هي حكم ربه
 هناك يوم البيعت ماله ثوابي (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩٧) من مجلة المختلف.

ذبحه الشيخ

شعر، عواد بن شبينة

الرثاء من أصدق أنواع الشعر، فالنوت ليس مجالاً لتزييف العواطف حيث تخرج المعاني ندية بدموع الحزن الصافية .. و«عواد بن شبينة» شاعر قديم وصلتنا له قصيدة نظمها في رثاء معدوح بن سبطام آل شغلان من شيوخ «الرولة» يقول فيها:

يا عين كفي دمعك يا قوميحة
ما عاد لك من باقي السهر مصلوح
برق يلوح وشاق عيني ليحبه
بخشوم غرباً بالسما بمن له .. ضوح
عسى الحيا يسقي جناب السطيحة
يسقي شخايا وادي فيه «معدوح»
شيخ الشيوخ التي لربعه متيحة
ما هو من التي شيخته بس للروح
مجزب كل سمع في مديحه
التي لجمعات الطواوير ذابوح
مضاريه باهل السبايا مبيحه
من غائله بالطيب غادي ومفضوح
عزي كن مثلي همومه مشيحه
وقلبه على سردال الابطال مجروح
القلب عينا لا يطيع النصيحة
جاوبت قمرى الحمائم على النوح
ليتي حضرت الشيخ .. واتطخ تطيحه
أو ليتني مع ذبحه الشيخ .. مذبوح (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (٤٨) من مجلة المختلف.

البارحة يوم الخلاق

شعر: محمد بن مسلم

أختلف في هذه القصيدة بين نسبتها إلى نعر بن عدوان وهو الأشهر لدى العامة ، وبين محمد بن مسلم شاعر الأحساء وهو ما ورد لدى بعض الكتاب المهمين كعبدالله الحاتم وابن يحيى ، وقد بحث الزميل بدر الحمد في كتابه «قالت الصحراء» في هذا الموضوع ورجح نسبتها إلى ابن مسلم بدلالات قوية تتسم بالتحقيقية، وأيا كان صاحب هذه القصيدة فإنها مراثية حزينة تتناولها الأجيال وتتفطر لها أفئدة سامعيها:

البارحة يوم الخلاق نياما
بينحت من كثرة اليكا كل مكنون
قمت اتوجد وانتشر الى على ما
من موق عيتي دمعها قبل مخزون
لي وثة من سمعها ما يناما
كثي صويي بين الاضلاع مطعون
والأ فني وثة كسمير السلاما
خلوه ريعه للمعادين مديون
هي ساعة قل الرجا والمحامما
فيها، وريعه شافهم يوم يقفون
والأ فني وثة راعبي الحامما
قيام ذكرها والقوانيص يرمون
تسمع لها بين الجرايد حطامما
من نوحها تدعى المواليف يبكون
والأ خلوج ساعفت للهيامما
على حوار ضايغ في ضحي الكون
وحوارها الراعي تحرله شمماما
وامسه تطالع يوم ذكوة يعيون
يروم ارزمت والخلج حوله حيامما
ترزموها ممها وقاموا يحنون

والأرض صبيح جسر عسوه الفطاماما
 أمه شئت قبل أربعينته يتمون
 على عشرين شرب كاس الحياماما
 صرقت بتقديري من الله ماذون
 جاء القضاء من بعد شهر الصياماما
 صافي الجبين بثاني العيد مدحون
 كسوه من عرض الخرق ثوب خاماما
 وقاموا عليه من التراب يهلون
 راخوا بها حررة صلات اليماماما
 عند الدفن قاموا لها الله يدعون
 برضاء والجنة وحسن الختاماما
 ودموع عيني فوق خدي يهلون
 حطوه في قبر عساه الهياماما
 في سهمه من غرب الأموات مسكون
 يا حفره يسقي ثراك الغماماما
 مزن من الرحمة عليها يصبون
 جعل البختري والنفل والخزاماما
 نيت على قبر غدا فيه مدفون
 مرحوم ياللي ما مشى باللاماما
 جيران بيته راح ما منه يشكون
 يا وسع عذري وان هجرت المتاماما
 ورافقت من عقب العقل كل مجنون
 من طيب خيم اللي ذكرته ولا ماما
 ومحاسن ما عتق الناس يدرون
 أخذت أنا وياه سبعة أعواماما
 مع مثلهم في كيفة مالها لون
 والله كنه يا عرب نصف عاماما
 يا عوثة الله صرقت الأيام وش لون
 واكبر همومي من غويش يتاماما
 إن شفقتهم هدام وجهي يكون

إن قلت لا تكون، قالوا علاماً
 نبيكي ويبيكي مثلنا كل محزون
 قلت السبب تكون؟ قالوا يتاماً
 قلت اليتيم أياي وأنتم تسجون
 مع العيال وكل جرح يلاماً
 إلا جروح بالحشا ما يطيبون
 جرحي عميق مثل كسر السلام
 إلى مكن عنه الأظيان يعجزون
 قمت اشتكي حالي لرب عدام
 جوني على قرقا خليلي يعزون
 قالوا تجوز واتس لأم ما يلاماً
 ترى العذارى عن بعضهم يصنون
 قلت: انها لي واقفت بالولاماً
 يا ناس ما بي غيرها.. لا تشيرون
 ما ظننتي تلقسون مثله حراماً
 أيضاً ولا فيهن على السد مامون
 أخاف أنا من غادات الذمام
 التي على ضيم الدهر ما يتاقون
 أو خبلت ما عقلها بالتمام
 أو نذلت ممهونة بنت ممهون
 أخاف أنا أقع لي بعقرب هدام
 تضحك وهي تلدغ على الكبد بالهون
 تؤذي عيالي بالفرز والكلام
 وأنا تجرّعني من المرّ بصحون
 والله يا لولا ذلغوش اليتامى
 خوفاً من أسباب عليهم يضيمون
 لا قول كل البيض عقبه حراماً
 واصبر كما يصبر على الخبس مسجون
 ولا نقت عقبه لا طعام ولا ماء
 ولا منام والخيل لايق ينامون

عليه مني كل يوم سلاما
عدة حجيج البيت والتي يطوفون
وصلوا على سيد جميع الأناما
على النبي ياللي حضركوا تصلون (x)

(x) نشرت هذه القصيدة في العدد (٥٦) من مجلة المختلف.

زين المعاني

شعر: مرشد البذال

قصيدة للشاعر الكويتي المعروف مرشد بن سعد البذال المتوفى سنة ١٩٩٠م ،
وقد جمع فيه صنوفاً من الحكمة في قالب من جزالة الألفاظ وجودة السبك.

قال الذي زين المعاني قطفها

أمثال مبداهن عن الشك مفروود

أمثال عنهن قاصر العرف يفها

من حيث درب العرف طلعات وصعود

لو كل من قال المثايل عسفها

ما صار نقص بالمعاني ولا زود

والبندق العوجاً تجنب هدفها

لى صار منظرها عن القطر مصادود

وغاية جميع الخلق محذر عرفها

رضا جميع الخلق ما هو بموجود

لأشك تدني كل نقص نصفها

تري كلال العادل يظهر له شهود

من رابع العاقل لنفسه صرّفها

عن تيهة يتسقى بها ما بها فود

أسمع عن اللي تيهته ما عرفها

يمكن يرد اليها لقي الدرب مسدود

لومي على اللي تيهته قبل شغفها

ومن العيا كنه عن الرشيد مطرود

نفسه على شين المماشي حذفها

أصبح ذميم لوه من نسل محمود

لا يفتخر بأفعال ناس وصفها

له الفخر كانه وقف ماقف الغود

ماكل اجاويد تبعها خلفها

لا بد ما يخلص حمد سيرة حمود

كم واحد يمة جدوده تسفها
 على الشمامال ورد مع ذريه وزود
 ضرب دروب ما تشد عن كلفها
 وكندر سماء وصار بالجهل مزود
 نفسه خطا فبهره لعب في شرفها
 أصبح بخيت لايس ثوب مقروود
 كم واحد ريمه يعدل عجزها
 من نشوته صاروا مشاكيل وقهود
 عنهم مهمات الأفاعي كنفها
 ما حد يجيهم بطش والحق مريود
 لومى على راع مماش حرقها
 عن درب ابوه ودرب جنده هل الجود
 اقول له دنيا بلا مدح عفا
 ترى تلايا الجسم للقاء والذود
 انتم بنر ناس تقدم سلفها
 مرحانها تسقي خلايا من الرود
 هذي ميانها وهذي غرفها
 بقى العمار وياني القصر مفقود
 وغيره بيوت للنداوى رفها
 مثل الجبال السمر والوانها سود
 محلى حلاها عقيب سيرة صلفها
 في خبايع نيتة لها ارقاب عاصود
 كم فيضة زين المياني كنفها
 بيوتها للخيل عن مرتع الذود
 قب مطاليب القضي نحفها
 ياما نضح منها العرق نضحة الجود
 في من كسباب الرعيمة خطفها
 صاح الصياح وجاوبه حسن بارود
 كل ركبها ما تشد عن كلفها
 جنك على الداعي مع الحزم جلعود

كم أبلج عنه الجببانة كشمسها
 خلّى بجيش القوم حاوي ومردود
 وكم أبلج نفسه جياها قصصها
 أصبح فؤاد أمه من الحزن ملهود
 هذي سلوم اللي تقافت صفوها
 يوم الهوا عدل لركابة القود
 واليوم ترحم حالها من ضعفها
 ما كنهم شيقوا بمرباع وعبود
 مضما البكار اللي تنفض شمعها
 لو تاصله عسيت به ريق وهنود
 قل لي سلام الوقت هذا صدقها
 وأقول لك هذا آخر الوقت مشهود
 محدد تصاريض الزمان اكتشفها
 تغيترت سلم على الخلق مقودود
 دنياك بالقفلات يضرب صلفها
 لحقة يصير ما له سنا يرق وزعود
 غدارة نواضحكك بظرفها
 تراك عقب الضحك ببكاء ماعود
 إن أقيمت قامت تمشط زلفها
 هنوف عرس طيبها المسك والعود
 وإن ادبرت شفت الكبر من حرفها
 تمسي تسيد، وتصبح الصبح مسبود (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (١١١) من مجلة المختلف.

تقاسيم الرجال وتواصيف النساء

شعر: راكان بن أميم

قصيدة تكتنز بالحكمة والنظرة الشاقية للأمور ، وهي من فرائد هذا الشعر في تراثنا العامي لشاعر قديم لا تملك الكثير من المعلومات عنه :

افكرت إلى نور الديار أرجـالـها
هم نورها ، وثقـورها ، وجمـالـها
هم ستـرها إلى ثقبوا اهل النضـا
لي جن من هج تسـوج احبـالـها
يثنى عليـها لأجل خطو الخـيـر
ويكسـونها بالذم لأجل انـزالـها
إن كان هم قـيـها كسـوها بالثنا
والأ كسـسـوها باللام ارذلـها
أدخل على الله من ملامـة معـسر
لي عاد ماله حيلة يـحتـالـها
ما يستحق ألـتم كـود ، امـتـلك
تقصـر يده والمرجلة ما نالـها
بائناس من حظ الصـخـالـة قسـمة
خذنا السـمـين وكب عنه اهـزالـها
وبهم من خـذا الراي وقبـضـي رايـح
ياما يسـدد من دروب اخـمـالـها
وبائناس من حظ الشـجـاعة مغـنم
نعم بمن يصـبـر على غـرـبالـها
وبائناس من حظ النـمـيمة مقـسم
خذنا البرذالة كلـها بحـنـالـها
أما الشـجـاعة قسـمتـين شـاصن
عليـا وسـفـلى ، واخـبـرك باحوالـها
القسـمة العـليا: شـجـاع على العـدى
يرخص ذبيل الروح عند القتـالـها

والقسمة السفلى: شجاع على الدنيا
فلما قصيرة في تحرر نقاتها
هذا فلا تجزع عليه اليها ذهب
نفسه على الرب الكريم زوالها
هذي قواميف الرجال ابديتها
واما الديار اخبرك انا باحوالها
فس الديار على الوقار براحة
مستوطن في جودها وخماتها
ليس بغيرك لا تقيس بغيرك
ولا يغيرك كلمة من قائلها
ان كان حكام الديار قودها
واسودها ، واكبرها عقالها
فلا بدلها بمنزل غيرها
العزتها له وهو يهيا لها
وان كان حكام الديار قودها
ونجوسها ، واخصاسها عقالها
أقول بدلها بمنزل غيرها
ولا تسبغ في يدي نزالها
دع ذا وقافيتها ثلاثة خصال
خصايل يمدح بها فخالها
الأولى: فكة ذويد الصاحب
من الحقيق ومباير عقالها
والثانية: توجيهته في كل زلة
طمرتها واقضى بها من جبالها
والثالثة: عز لجار نازل
ولو عياله مكثرين خماتها
هذي تقاسيم الرجال افهم لها
واما الحرير انا اخبرك باشكالها
منهن: دالمة الفواد مطيعة
وجبة سميج دنها ودلالها

ومنهن: عذرا عن الدنس محمّية
 عند الحاضِر يفلطون رجالها
 ومنهن: مصباح البيوت عضيضة
 زين على عقل وجوار حلالها
 ومنهن: عذرا زينف مشعورة
 ماقت ونادي زينها لخمها
 ومنهن: مكمنة العيالة برجلها
 تعدي ومرّ بالحكي بعدا لها
 ومنهن: هاقمة النظر لغوية
 مخلوقة من «لا» وخلقة لالهها
 ومنهن: عويبا شبيبة ملوية
 قحله بشوف اقضايها واقبائها
 ومنهن: دويقة فويرة منزل
 تخش عند الناس قوت عيالها
 اختار على ما لاق لك بالسامع
 ومن هو برك للحمل شال ائقائها
 والختم ملوا للنبي يائي حضر
 عند التيات وعد ويل خيالها (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٢٣) من مجلة المختلص.

الدار

شعر: فهد بورسلي

قصيدة للشاعر الكويتي فهد بن راشد بورسلي المتوفي سنة ١٩٦٠م ، وفيها يتوجه بالعتاب إلى الوطن الذي يظل القلب الحنون على أبنائه مهما هبت الظروف ،

الدار جارت ما عليها شافه
والحر فيها شاف ما عافه
بالك تكاثر صلتها وإن صددت
عاداتها عقب القبول تكافه
دار تغير عيالها مشكورة
والأ ابنها تلعن أبو أسلافه
دار يعيش بها الغريب منهم
وتعيش فيها أم أحمد العكافه
دار أوصفها عسجوز شمطا
همزة مناعة حلافه
تغذي عيال الناس وتدوايهم
وعيالها تعيشونهم خطافه
أسف على الطيب تردى حاله
والأ الردي ما من عليه حسافه
مثل الحمامة فرخها بالبيضة
وعند طيراته تنكره وتعافه
ما دامنا شتى بظلك واحد
ذاب الشراع وضاعت الفرافه
هذا جزاها.. زين سموت قينا
خل الفارق ما يوهل النزافه
نصير غضب أو طيب.. هذي قسمة
لؤلؤ الحس التمرة ورا الخرافه
أنا اعرفها زين ما استنكرها
ألي يوصفها تخضع أوصافه

هذي «عذاري» الجار ما يثكرها
 تسقي البعيد ولا ترش الحافة
 حنّا تقاطعنا وشلتنا فوسنا
 والزود خالنا على ميهاته
 والحسد والبغضا وقل الرحمة
 ما واحد منا معنى باتصافه
 نجني الثمر من كل علم وافي
 ولا تجني الثمرة من الصفصافه
 من داخل الداخل وبار بجشسه
 كل على اكتافه يشيل احتافه (٥)

(٥) نشرت هذه القصيدة في العدد (٧٦) من مجلة المختلص.

يا عين

شعرا عبد الله بن سبيل

هو الشاعر عبد الله بن حمود بن بن سعد بن سبيل الباهلي، ولد في «نقي» وتولى إمارتها أيام الملك عبدالعزيز حتى وفاته سنة ١٣٥٢ هـ، وبعد واحداً من أشهر شعراء النبط وأكثرهم حضوراً في الذاكرة الشعبية. وفي هذه القصيدة يتوجد ابن سبيل على العشائر البدوية التي كانت تجاور «نقي» حين رحيلها عنهم أيام الربيع البعث عن المراعي المعشبة، وهي من أروع قصائده.

يا عين وين احببنا بك اللي تودين
اللي إلى طاب الوطن رنوا به
أهل البيوت اللي على الجو طوقين
عدّ خلا ما كنهم وقفوا به
منزاهم تنزي عليه المعاطين
تنزي عليه من النوازي هبوا به
عسدي بهم باقي من السبع ثنتين
قبل الشتاء والقيظ زل امحسويه
قلت جهامتهم من الجو قسمن
الزمل حذر والظعن سئدوا به
يصفون مصفاً من النير ويمين
الله لا يجزي طروش حكا به
قالوا من الوسمي نباته الى الحين
ومن قالي الكنة تملت دعوا به
شيلة الكايد على العسر واللين
والى وطاهم موجب رجبوا به
زاد الشتاء معهم بلياً مواعين
وان شافوا الضيف المظرف عدوا به
والى تريتض يذبحون الخراطين
ومن زاد بيت الله تقرش عصبويه

وإلى صطلوا يعطون روس البهــارين
 وإن فلات منهم شي ما حـسـبوا به
 يريون مال شاختته الحوارين
 يشدي قراطين العجم يوم جـوبه
 وإلى تعلوا فوق مثل الشياطين
 صاروا على بعض القبـايـل عـقـوبه
 لي تلها الراكب غدا الحـبـل ثـنـوين
 مثل المعشر راسها عند ثوبه
 عقب النكاف كنهن السـراحيـن
 ما قيل يعمل قبيتها واتظروا به
 وإن قيل عند اقطينهن يا هل الدين
 فالرمس اللي من قديم دعوا به
 ردوا عليهم ردة تعجب العين
 كل يبا التوماس قدم امحبوبه
 هذا طريق وذا شنيع الأكـسـاويـن
 وإلى تعذته السهـوم ارجلوا به
 ولحدودهم بمطرق الخـيـد حـامـين
 وقبأ تبدأ في براير كـسـوبه
 كم عزلوا ذيدان بدو عززين
 لو مالهم سيارهم وارثعوا به
 ولحقوا بعبيدين المساريح عجلين
 وقالوا لرعيان الأخيـذ: ابشـروا به
 وتوقفوا مثل المظاهر مرزين
 بالناقف اللي بايعوا واشتـروا به (x)

(x) نشرت هذه القصيدة في العدد (٩١) من مجلة المختلف.

من حاير

شعره عبدالله بن ربيعة

من قصائد ابن ربيعة في الشكوى من فراق أسرته المقيمة في الكويت ،
وعبدالله بن محمد الربيعه شاعر معروف من شعراء الطبقة الأولى في التاريخ
النبطي ، وهو من أسرة آل وطبان أبناء عم آل سعود ، وقد توفي في بلدة الزبير
سنة ١٢٧٢ هـ . وكان من المعاصرين لابن لعبون وبينهما جرت بعض الترديات، ويقوم
الزميل إبراهيم الخالدي حالياً بتحقيق ديوان ابن ربيعة تمهيداً لنشره:

من حـاير ياوي عـدوة حـاله

بين الجلال والعسر والكبر وعيال

متـسمت يـوزي الجـلد والجـمالة

ومـسمـر بين التـسماني والأمال

عن هاجسه والزود قصرت حباله

بائع حياته من قسا الوقت بخلال

هذي ثلاث سنين ما انصاح بآله

مهما شبا جرف الرجا طاح بالرجال

يطنا ومهما شاف لجة عياله

ذبا الطنا من هامة الراس بنعمال

يتلي الظعن حافي ولا له زمالة

وا شبيب عينيئه إلى سرب اللال

يا مـيلع ريف المـقـاوي رسالة

مضمونها: بانخاك يا حامي التال

يا ولد من كل قصير عن قـعـاله

ما مات من خلف لنا شبل الاشبال

ما انت بـ صـغير السن بك قول ذا له

أوي والله يا هل الخـيـل خـيـال

يذكر فريد ذابه الدهر، ماله

عيون سوى الله ثم رجواك خيال

رجوى الحـواله كلـفتنا جـمالة

العـام من شـوال في دور شـوال

بين الكويت وبين نازح شمســــــــــــــــاله
 حفتيت ركباني بين الاقنصا والاقبال
 ياخال شوفات القطيعة جرى له
 تقطع رحيمك بشور من لا لهم قال
 جالي شمسال وجيت أرجى نواله
 خالك لقي بطوالة الخيل خيال
 حاشاك يا من ريف عيني نواله
 تبيعتني في راي حاسد وعذال
 كان النزول بمساحتك له نزالة
 إلى شمس سلم صعد عالي العال
 بين الرحم بين اللحم والئنا له
 متونطر ما لك على الخال مدخال
 لاين بشهلول عن الضميم جاله
 ريف وذري من اللثقيلات حمال
 عندي إلى كل تسرفني بماله
 ذخيرتي هيصل، إلى كمل المال
 واسلم ودم وختامها بالجمالة
 بس اللثنا يبقى ومسا شفت زوال (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (٧٦) من مجلة المختلّف.

الله يسقي داركم

شعر: راكان بن حثلين

هو الشيخ راكان بن فلاح بن مانع آل حثلين شيخ قبيلة العجمان المشهور (سبقت ترجمته في الفصل الأول)، وهذه إحدى قصائده التي قالها في منفاه بتركيا:

يا الله يا علام كـاين وما كان
يا واحد كل امتته يرتجونه
تفرج لمن هو بين الاتراك منهمـان
من عين قاصـر دارهم لي مهـونة
ودّي يشـوف ديار مـروين الامـنان
اهل الشـهامة والوقـا والمعـونة
اهـمـالهم ما هيب زور ويهـتان
فعل شـهير والعرب يذكـرونه
الله يسقي داركم يا عـجـيـان
ويل من النـشـا تكاشف مـزونه
أسود عـريـض ريـض له تخنـجان
كن الهنـادي سألـه هي ركمـونه
من حومة النـقيـان لي حد صـوان
تسـبل همـاليـه ويسـود لونه
ويسقي من العـرقـا ليا جوسـوقـان
والصلـب حـيـث ان لايتي يدهـلونه
ديرة بني عم علي الخـيل فرسـان
والضـيف لي جا دارهم يكرمـونه
حـامـينـها بقـديمي صنـع نجران
شـلـاع ما يبرن الاطبـاب كـونه
وحـد يـقـصـن الراس من حد الامـتان
يقـضي بهـا الديان باهي ديونه
يايمان القوم لي اختـمى الهوش فرسـان
والضـفـد لو هو نازح ياصلونه

جاء أديبة للروح لي تار دختان
والروح لو د غالي يرخ صوته
كم شيخ قوم طوحوا به بالآيمان
خلوه من الميـــــدان يطرخ زيوته
ومن زان حنا له على الزين خـــــالان
يامن وحنا بالعهد ما نخوته
وليا نوانا بالقوامات خـــــبران
بيحلي ســـــهير ما تغمض عيونه
وصلالة ربي عند هتاف الامـــــزان
لحمد الله الذي منهجه يتبعونه (٢)

(٢) نشرت هذه القصيدة في العدد (٧٧) من مجلة المختلط.

باب المودة

شعر: محمد العرفج

تعد هذه القصيدة من عيون شعر الغزل في تراثنا التبلي ، وهي تمتاز بسهولة
الفاظها وعذوبة أحاسيسها ، وشاعرها تولى حكم بريدة عدة مرات آخرها كان سنة
١٢٤٢هـ كما عين أميراً على الجوف ، وله مراسلات شعرية مع شعراء من أمثال ابن
ربيعة والقاضي ، وقد قتل أمام بيته سنة ١٢٥٧هـ :

يا من قلب يبيع الوصلاً سـ
وان جيت اسلي خباطري ما تهينا
شاب الهوى واشحل جسمي وهذه
بيئتني لعدي واشميت قـ
يا قلب ياللي شيت الراس حـ
يا لك تكون لمن جفاك ارقبـ
يا قلب من قاضي جميلك بصـ
لا تقبله لو كان حـمن التـزياً
عن ذاك باب الوصل يا قلب سـ
شم للعلا واشمخ لنجم الثريا
الصاحب اللي هج باب المودة
لك ما صفنا لحدك يا قلب عـ
سلطان حور الدور انا ان قلت خـ
بدر تجلى .. ما زرى احـد عـ
ضافي الجعد . غـض التهـد . يوم اشد
غـصن تدنى والنهـصـر في يديـ
ما لي قـدا له لولي امـوال جـ
حيثه لي الجـا من حـدا والديـ
وان غـاب عني يزاد حـالي بـوده
الاعمى الورقـا ونومي شـويـ
واقي حـشاه انسان شـد الآشـدة
وسالني عن رفقة أخو كل حـيـ

لآلا ورباً البييت ما ريت قسده
 والزمن من صذب الثمان اشرفينا
 إن نقض مجدوله وكسده ورده
 واقبل يخطر لي بهسون وعشينا
 شديت وسطه والتوى عند حده
 وارويت من سكر ثباته ضميمنا
 وادعيت خده ما ينول المخدّة
 ومن السكر بي ما عن الله كميمنا
 لولا نهيت يده شد توبه وقسده
 ومحرم يرم بالوسط زاويه زينا
 مع مبسم وتعيستين بخده
 واذبيلتين كان انا القبول، ذينا
 عفر غريب الدل مجمول بدّه
 غرو على زمنة شيا به ظبينا
 أرجي من اللي ترجي الناس مسده
 محيي النما بالما رجاء كل حيّا
 يجعل صفاة قلوبنا مجرهدّة
 يا واحمد ترجي بلطفك خفينا (x)

(x) نشرت هذه القصيدة في العدد (١٠٠) من مجلة المختلط.

القلوب الهبايل

شعر: عليا الهالاية

بينما كان أبو زيد الهالائي يقاتل البربر في المغرب العربي... وصلت لزوجته عليا
«إخبارية ماء أثارت غيرتها (١١) فأرسلت إليه هذه القصيدة تعالیه»

يا ركب ياللي من عـقـل قـلـلوا
على ضمير شروى الحنايا نحـايل
أبا اوصيكم وصافـاً ما تثقل ركبكم
خـطـيـفـة على راعي الثنا والجمـايل
والها لقيتوا لاهلكم عقب غـريـة
متـفـطـنـين في بطون الحـالـيل
فتولوا لبو زيد ان يغاني بغـيـته
وان دور البـدلا لقينا البـدـايل
كم من رجوس الحـجل تـبـلى عـاقـبه
وكم عـاقـبة تـبـلى بواقي الخـصـايل
انجبت أخـضر ما يـزـر تـيـابه
هـبـيل يلعب بالقلوب الهـبـايل
والله لولا البـحـر بـيـني وبـيـنه
جـيـته على وضحي من الهـجـن حـايل
أبا زيد غـرـات الصـبـا لا تـغـرـك
تري الهـجـن خـير بالـسـرى والقـوايل
بالشـتا دور من الهـجـن سـمـر غـيـة
وبالقـيـظ دور من كـبـار الشـمـايل
غـزـالـية المقـدم جـمـالـية القـضا
عـلـيـكم بـهـا يـار كـسـبـين الرحـايل
أبا زيد لو ان النـسـا تـركـب النـضـا
جـيـتك على وجنا من الهـجـن حـايل
لكن صـرـيـخ الكـور حـلـري وفـوقـها
صـرـيـخ القـطا في مـحـكـمات الحـبـايل

أبا زيد... تنسائي وتنسي جماعلي
الله واكبر يا نكور الجمماعلي
نسيت يوم ان عرقات الارض بيننا
يوم ان جعدي فوق متنيك ماعلي
أبا زيد... تنسائي يوم ترشح لذبلي
كما يرشح العثشان باقي البالايل
قولوا لأبا زيد... ترى الوادي امّنا
وكل وادي من عالاويه ماعلي
يبيعون ما باعوا ويشرون ما شروا
ولا عين إلا بالنضما والجالايل (*)

(*) نشرت هذه القصيدة في العدد (18) من مجلة المختلف.

ست كلمات

شعر: بخوت الثرية

شاعرة مازال تاريخ الشعر النبلي يحفظ كلماتها العذبة، وهذه إحدى قصائدها التي حصلت عليها، المختلف، ونشرتها لأول مرة:

اسمحوا لي يا محمد علي ست كلمات

ذا كلام فاضلي واستحي لا طوله

يا محمد ما الأنثى بكفو معاملات

فولهن لا هوب يصمل ولا يترد له

راكب اللي في سما التجو تمشي بحركات

صوتها من سرعها من وراها تنقله

رؤخت وقت التضحى من محل الطائرات

وخطرت راع الهجن مارج في منزله

وخطرت رغبة الدوح من دون ادوات

ومرت الصلب الحمر والفريق باسقله

دارب سواقها ما يحسب للممات

وغلقت خمس الدقايق على الطائب هله

وهذه أيضاً إحدى قصائده بخوت تخاطب فيها جماعتها، وتصف حالها وكيف تقضي العيد وهي بعيدة عنهم بعد زواجها:

يا جماعة وان نويتوا علي انكم راحلين

غمغموني عن مظاهيركم لا شوفها

كن في صيدري سنا ضو ريع نازلين

ولعوها بالخلا والهوب بلوقها

ول عود لاش رجعة، ولا قلب يلين

عن ذودك في نحر قوم وانت تشوفها

عبدوا بي بالخلا والفريق معيدين

وكل عذراً انقشت بالخضاب كفوقها

ما يقرب دارهم كود صنع الذاهبين

كود حمراً عزمها من صفاة بلوقها

كن حنين الويل يشبه لخفّات القطين
لو توله بالقدم مع طمان جروفها (*)

(*) نشرت القصيدة الأولى في العدد (٨٥) من مجلة المختلّف بينما نشرت القصيدة الثانية في العدد (٥٦) من المجلة.

ظليت أخايل

شعر: عديمة الخراصية

من قصائد الحب السائية الجميلة في تراثنا النبطي هذا النضر:
عديت بأخايل وظليت أخايل
ولجيت مايل لين فبي معي مال
وجدى عليهم وجد زاعي شوايل
خلي خلاف الجيش والدم وشال
من كف شغف موم على وسق حايل
لعيون من قرنه على محزمه مال
الله على حر سيق الشلايل
حر يقطع راكبه زامن الجال
الحق عشير حط في الغلايل
والأ أن باقي الحي ما حسوا البال (x)

(x) نشرت هذه القصيدة في العدد (٨٦) من مجلة المختلف.

الحب الأقشر

شعر: صالحة العيسانية

كانت للشاعرة صالحة العيسانية أخ شاب يدعى غازي لاحظت عليه أمارات
العشق، وكانت كثيراً ما تنهأ وتحذر أن يقلد السفهاء وتحنه على مكارم الأخلاق،
وفي يوم من الأيام سمعته ينشد هذه الأبيات:

يا مرحباً بالتي على بيتنا مر
ورد السلام ولا معي منه حيلة
يا مرحباً عدة حصا كشب واكثر
وعدة جرار طائر من مقبيله
يا حلوزوله يوم ليس المشجر
ياظا بمصوب القدم في شليله
فردت عليه أخته «صالحة» بهذه النصيحة:

أنهالك يا غازي عن الحب الأقشر
أنهالك عن درب الهوى وتغدي له
راعي الهوى يا مال جوع المجذر
تري الهوى ما هو خطاة الخليفة
تري الهوى حسك وبر حلوة الدر
لي بركت حيرانهن يا المصلحة
وتري الهوى عزم الركائب الى مر
عن بيت خمع ما ينشق مقبيله
خل الشحم والسمن للريح يكثر
مع متسف دافي عليهم تشيله
من حيننا والأقربين المتجر
عظهم ثمنهم نقد والا بحيلة
ما هيب بنت التي نعوله لهن كمر
التي على مائه تديفق صميلة (١)

(١) نشرت هذه القصيدة في العدد (٨٥) من مجلة المختلف.

الفصل الخامس: **رحالة**

(ترتيب الشخصيات حسب زمن الرحلة الأقدم فالأحدث)

رحلة ناصر خسرو إلى الجزيرة العربية

ناصر خسرو القبادياني شاعر ومفكر فارسي عاش قبل ألف عام تقريباً في الفترة (٢٩٤هـ - ٤٨١هـ)، وينتسب إلى أسرة فارسية عريقة وعاش شبابه مرفهاً في بلاط السلطان الفزنوي، وعمل في دواوين البلاط ثم جاءت لحظة تحول فيها هزهد عما كان فيه من ثرف وقرر أن يحج إلى بيت الله الحرام ويغير حياته بالمرة.

رحلة الحج هذه كانت مغتات الرحلة التي صارت بين أيدينا بعد أن نشرتها جامعة الملك سعود بالرياض بترجمة د. أحمد البدلي، واستمرت سبع سنوات وفيها تصوير لواقع الدولة الإسلامية المكنكة وقتئذ بين السلاجقة والعباسيين في بغداد والفاطميين في مصر والإمارات الصغيرة في الشام وجزيرة العرب، وكتب ناصر خسرو عن كل ذلك من واقع ثقافته وأهوائه التي كانت تعيل للفاطميين مذهبياً.

في بداية رحلته عبر ناصر خسرو بلاد فارس وشمال العراق ليصل إلى بلاد الشام، وكان أهم ما حدث له فيها التقاؤه سنة ٤٢٨هـ بالشاعر أبي العلاء المعري الذي كان رئيس مدينة المعرة فقال عنه: «هو غني جداً وله عبيد وعمال كثيرون ياتمون بأمره وكل سكان المدينة في خدمته ورهن إشارته. وقد اختار طريق الزهد فكان يلبس الملابس الصوفية الخشنه وهو رهين منزله».

ومن المعرة ينتقل ناصر خسرو إلى بقية بلاد الشام فيمر بحماة وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور وعكا وطبريا وحيفا حتى وصل إلى بيت المقدس فأكثر من وصفها وذكر فضائلها ومشاهداتها، وبعد ذلك حج حجه الأولى التي ذكرها باختصار ثم ذهب إلى مصر حيث دولة الفاطميين، فأسرف في الوصف حتى استطاع تقديم وثيقة تاريخية عن مصر في تلك الفترة.

وخلال وجوده في مصر حج ناصر خسرو عدة مرات، وما يهمنا هنا هو وصفه لجزيرة العرب التي مربها في نهاية حجه الرابعة عائداً إلى بلاده الفارسية.

يصف الطائف في زمنه فيقول: «أنها أكبر من القرية ودون المدينة ولها سور محكم وسوق صغيرة وجامع متوسط الحجم، ومياه الطائف غزيرة وتكثر في المدينة أشجار الرمان والتين».

ومن الطائف خرج خسرو في طريق جبلية فمر بحصن المطار ثم موضع يسمى الشرا فيه نخل كثير وشيء من الزراعة. ومن الشرا توجه الركب إلى الجزع ثم حصن

بني نسير، وهناك التقى وحالتنا بشيخ قبيلة قام بحمايتهم يدعى أبي غانم عبس بن البصير وهو شيخ قبيلة تسمى «بني سواده»، وظل الركب يتقّل من حماية أعراب إلى آخرين للتمكن من المرور بأراضي القبائل المختلفة حتى وصلوا إلى الأفلاج.

قبل ذلك كان الرحالة قد استغرب من أكل مرافقيه اليدو للحم الضب وشرب البان الجمال فيقول: «أما أنا فلم أستطع أكل الصباب ولا شرب البان الإبل، فكل طعاما لمدة أيام في هذه البادية هو شجرة مصيفة تنبت في الصحراء لها حب يشبه حب القمح وتسمى حب القلت».

رسم ناصر خسرو صورة معزبة عن الأفلاج في زمنه فقد بدت كأطلال خربتها العصبية القبيلة. والزراعة لديهم ليست كثيرة وسكانها في غاية الفقر إلا أنه امتدح تعريها التي لم ير ما يدانيه حتى في البصرة، ووصف نوعاً ضخماً من التمر يسمى «ميدون» تزن التمرة الواحدة عشرة دراهم، وأهل الأفلاج يزعمون أن هذا النوع لو خزن عشرين عاماً فإنه لا يفسد أو يتغير لونه أو طعمه.

من الأفلاج توجه ناصر خسرو إلى اليمامة (من ضواحي الرياض حالياً) فقال: أن لها سور عظيم حصين تبدو عليه آثار القدم، وخارج السور مدينة وسوق فيه كل أنواع الصناعات وللمدينة مسجد عظيم. واليام الوفيرة في اليمامة وتكثر أشجار النخيل حتى يباع الألف من من التمر بدينار واحد.

بعد اليمامة انطلق شرقاً إلى الأحساء التي قال أنها مدينة ذات أربعة أسوار عظيمة كل واحد يحيط بالآخر في شبه دائرة كاملة، وعند جيشها أكثر من عشرين ألف جندي، ورأى في الأحساء مطاحن للدقيق تتولى طحن غلال السكان دون شغل.

وكانت زيارة ناصر خسرو للأحساء أبان حكم القرامطة فيها، ولذلك نجده يعيب معتقداتهم، ويقول أنه يوجد في الأحساء لحوم كل الحيوانات كالقطط والكلاب والحمير والبقر والغنم، وكل نوع من اللحم يشترطون على بائعه أن يضع رأس الحيوان إلى جانبه حتى يعرف الشاري نوعه. وهم يسمنون الكلاب مثلما يلفنون الغنم حتى تصبح عاجزة عن المشي من كثرة الشحم واللحم ثم ينبحونها ويأكلونها.

بعد الأحساء توجه ناصر خسرو بعبراً إلى مدينة البحرين (المنامة حالياً) فقال: «أنها مدينة عامرة كبيرة وبها نخل كثير ولؤلؤ». ثم توجه إلى القطيف ثم البصرة حتى عاد إلى بلاده سنة ٤٤٣هـ. (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٥) من مجلة المختلّف.

تقرير كنيب هاوزن عن الكويت

في عام ١٧٥٤م وبينما كانت الكويت في بدايات تأسيسها كتب رئيس المقيمة الهولندية في جزيرة خارج «تتبع إيران حالياً» السيد هون كنيب هاوزن تقريراً لدولته يصف فيه سواحل الخليج العربي وسكانه في ذلك الوقت.

وتقرير كنيب هاوزن الذي لم يطبع حتى الآن وترجمته هائدة خوري يقدم معلومات نادرة عن طبيعة الخليج العربي في ذلك الوقت ، ويتحدث بتفصيل عن الإمارات العربية التي كانت تقوم على الساحل الإيراني من الخليج وخاصة الهولة، ولكن ما يهمنا هو ما يحتويه من معلومات عن الساحل العربي، فيتحدث عن جزيرة فيلكا الصغيرة ومنها يصل إلى شواطئ القرين التي يقيم بها قبيلة «العتوب».

ومفروف أن القرين هي الكويت الحالية ، والعتوب هم آل صباح وآل خليفة والجلهمة وغيرهم، ويتحدث التقرير عن سكان القرين قائلًا:

«يعتمد هؤلاء على شيخ الصحراء حيث يدفعون له ضريبة صغيرة يوميًا ، وفي حوزتهم ثلاثمائة مركب إلا أن معظمها صغير يستخدمونها للغوص وصيد اللؤلؤ فقط إلا في موسم صيد السمك الكبير حيث يستخدمونها لذلك أيضاً، ويعتبر الغوص وصيد اللؤلؤ المصدر الوحيد لدخلهم، وهم يعدون أربعة آلاف رجل قوي، وجميعهم تقريباً لديهم سيوف ودروع، ولكن قلما لديهم بنادق يدوية فهم لا يعرفون كيف يستخدمونها».

ثم يتحدث كنيب هاوزن عن خلاقات أهل القرين مع الهولة، ويعطينا معلومة لا تقدر بثمن عن طبيعة الحكم في تلك الفترة عندما يؤكد أن القرين يحكمها «عدد من الشيوخ الذين يعيشون معاً متحدّين أهمهم مبارك بن صباح ولكنه ما يزال حديث السن وفقيراً، وهناك شخص يدعى محمد بن خليفة وهو غني ويمتلك عدة مراكب كما أنه يحظى باحترام كبير من قبل شعب قبائله».

وهذه المعلومة حول مبارك بن صباح لم ترد في تواريخ الكويت وتفيد بأن مبارك بن صباح الأول أخو الشيخ عبدالله الأول بن صباح هو الذي حكم الكويت بعد أبيه وهيل عبدالله الأول، ولم يذكر سابقاً في التواريخ الكويتية أن مباركاً حكم الكويت!!

وعن ملامح الكويت يقول كنيب هاوزن أنه: «فوق القرين نجد حصناً مدمراً قد بناه البرتغاليون قبل وصولنا» وهذه معلومة مهمة أخرى حول «الكويت» الذي سميت

به الكويت، وهو يذكر أنه رأى مدمراً سنة ١٧٥٤م، ويضيف أن البرتغال هم من بنو بخلاف الشائع من أن بناته هم بنو خالد، ولعل الأمر اختلط على كتيب هاوون أو أنه يكشف النضاب عن مسألة تتوجب التيقن لإثباتها.

بعد الكويت يتوجه كتيب هاوون إلى القطيف، ويذكر أن المسافة بينهما تخلو من أي أثر للبناء، وهي القطيف يعود للحديث عن صيد اللؤلؤ وبعض التعاملات التجارية مع نجد والأحساء ويصف سكان القطيف بالمسالمة إذ يعمل تصفهم بالغوص والبقية بالزراعة.

بين القطيف وصور في عمان يتحدث كتيب هاوون بشيء من الإيجاز عن صبحار والشارقة وشيخ القواسم «رحمة» و«قبيلة الزهابي»، ومن هناك ينطلق إلى مسقط التي يصفها بأنها معروفة جيداً لدى الأوربيين ويخبر عن تجارة أهلها وامتلاك إمامها لحصن مبابسا البرتغالي في ساحل أفريقيا.

هذه بعض الملامح من تقرير الهولندي كتيب هاوون عن منطقة الخليج سنة ١٧٥٤هـ والذي ظل محفوظاً بالأرشيف الهولندي طوال هذه المدة ولم يطلع عليه إلا القليلون، ولأشك أن المعلومات القليلة التي يحتويها ستساهم في فهم أكبر لماضي الخليج العربي. (x)

(x) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٠) من مجلة المختلّف.

رحلة رينود إلى الأحساء والدرعية

كان الدكتور الألماني سيتزن مقيماً في حلب في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي عندما رغب في التعرف عن أحوال الجزيرة العربية وإمكانية قيامه برحلة إلى قلبها مدينة «الدرعية» في نجد، فكان أن أرسل له صديقه الإنجليزي المستر رينود الذي عايش الجزيرة العربية لفترات متقطعة حيث رافق المقيم الإنجليزي في البصرة خلال إقامته في الكويت (القرين) لمدة ثلاث سنوات هذه الرسالة التعريفية المؤرخة في ٢ إبريل ١٨٠٥م (الموافق ليوم الثلاثاء الثاني من محرم سنة ١٢٢٠هـ) . وقد نشرت في حينها بمجلة «أخبار شهرية» الألمانية في عددها الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٨٠٥م أي بعد أشهر قليلة من كتابتها .

وفيما يلي نص ترجمة المؤرخ أحمد أبو حاكم لتلك الرسالة الموجهة من المستر رينود الإنجليزي لصديقه الدكتور سيتزن (بتصرف قليل):



«بكثير من السرور أقدم إليكم بعض الأخبار عن أجزاء من جزيرة العرب الصحراوية التي زرتها وأهملت فيها بعض الوقت خلال مدة عشر سنوات إلا أنني أخشى مع الأسف أن لا ترضيكم أخباري كل الرضا لأن انصرافي إلى أعمال من نوع آخر لم تسمح لي بتكرس وقتي وانتباهي بصورة خاصة إلى الموضوعات الأدبية والجغرافية .

ويأتسبب إلى مشروعيكم في زيارة هذا الجزء المعروف قليلاً من الكرة الأرضية لاحظ قبل كل شيء أن الصعوبات والأخطار للوصول إلى (الدرعية) لا يمكن التغلب عليها دون مساعدة وحماية المستر «مانيتي» المقيم الإنجليزي في البصرة، ولذلك فإنني أنصحكم إذا كنتم مصممين على زيارة تلك الأماكن الموحشة أن تذهبوا أولاً إلى البصرة وأن تعتمدوا كلياً على توجيهات المقيم هناك، فإنه سوف يزودكم برسائل توصية إلى شيوخ الأماكن التي تقودكم الرحلة إليها كما أنه في الوقت نفسه سوف يدبر مرافقاً موثقاً يرشدكم في تلك الأرجاء غير المأمونة التي ليس فيها طرق .

كانت طريق رحلتي في تلك الأرجاء كما يلي:

لقد سافرت في زورق مكشوف يخص عرب (بني عتبة) إلى جزيرة البحرين ثم وصلت من هنالك إلى القطيف، وهي بلدة صغيرة تبعد ما يقارب ٢٠٠ ميلاً عن

القرين (الكويت حالياً)، وتنتج البحرين كمية قليلة من التمور الممتازة - ولكن الجزيرة تسترعي الإهتمام قبل كل شيء بسبب صيد اللؤلؤ الذي يملكه عرب بني عتبة - والصناعة الوحيدة في البحرين تقتصر على نسيج رفيع من وبر الإبل الأسود يستعمل للثياب التي تطرز بالذهب عند الكتفين (يقصد البشوت).

أما المدينة نفسها فإنها متواضعة مبنية كلها بالطين، ويوجد فيها بكميات كبيرة نوع من السمك المسطح الممتاز يطلق عليه بالعربية اسم (الزيدي)، وهذا النوع من الأسماك غير معروف بالمرّة في أوروبا، ولم أصادف مثله في أي مكان سوى يومباي. إن القطيف مدينة بحرية وقد بنيت أيضاً بشكل متواضع مثل البحرين والقرين، وهناك قناة صالحة للملاحة بين البحرين والقطيف ولكن لا يمر منها سوى السفن التي تعمل في الخليج العربي. وكذلك فإن جميع السفن الأوربية لا تغف إلا على الشاطئ الشرقي من الخليج (الجانب الإيراني) لأن البحارة الأوربيين لا يعرفون إلا القليل عن الشواطئ الغربية، والسفن العربية التي تسمى بلفة البلاد جدييات (كذا ولعله يريد الجلاييت) عبارة عن زوارق لها صاري واحد وحمولتها من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ طن.

يستخدم في صيد اللؤلؤ في البحرين والجزيرة والقطيف والقرين نحو ٧٠٠ زورق تصصرف كلها إلى هذا العمل، وهذه التجارة وحدها تقدم ربحاً سنوياً يبلغ مليوناً ونصف المليون من القروش، وعدد سكان هذه الأماكن يقدر بستين ألف نسمة معظمهم من المسلمين الذين يراعون شعائر الدين.

ليس في القطيف سوى عدد قليل من المساجد، والأراضي المحيطة عبارة عن صحراء تتكون في الغالب من رمال فقط، وقد سافرت من القطيف إلى الأحساء التي تقع في صحراء رملية وتبعد عن المكان الأول ما يقارب رحلة سبعة أيام. وإن الأحساء مدينة صغيرة ولكنها غلبة بأبقارها الممتازة - وكذلك الخيل هي هذه المدينة تمتاز بانجمال والسرعة الفائقة إلا أنها لا يكاد يزيد ارتفاعها على ١٤-١٥ قبضة (كل قبضة تساوي ٤ إنشات).

كانت الأحساء قبلاً تحت سيطرة (بني خالد) والمدينة نفسها ليست أكبر من القطيف، وكل أعمالها الصناعية تقتصر على نوع من نسيج وبر الإبل، وكثيراً ما تتعرض الأحساء إلى نقص مياه الشرب إذ ليس هناك من نهر بالقرب منها، ولأن السكان مضطرون إلى تأمين هذه الحاجة من بعض الآبار فقط التي تحتوي على ماء مستقم.

أما الرحلة من الأحساء إلى الدرعية فهي ثمانية أيام أخرى، والطريق كلها عبارة عن صحراء رملية لا تثبت فيها إلا بعض الأشجار أحياناً.

والدرعية مدينة صغيرة ولكنها جميلة البناء على طراز عربي كما أن موقعها يجعل الإقامة فيها صحية تماماً، وتحيط بالمدينة عدة تلال مزروعة وهناك نهر صغير يروي المنطقة كلها (نظرة رأي سيل الوادي في موسم الأمطار فحسبه نهراً) ، ويمكن أن نجد هنا بعض الفواكه مثل العنب والتين وغير ذلك إلا أن هذه الفواكه جميعها حسبما علمت قلتهم من السكان قبل أن تتضح، والمسلمون القاطنون في هذه النواحي بسيطاء جداً لكنهم من جهة ثانية كرماء تجاه الضيوف، ويوجد هنا عدد كبير من الأغنام أكثرها بلون أسود وتُتَصَف بطول صوفها وأذانيها ولها لحم ممتاز أما الخيل المحلية فإنها رخيصة جداً وهي من أجمل الأنواع في جزيرة العرب.

حينما كنت في الدرعية كان اسم شيخها عبدالعزيز بن سعود (استشهد سنة ١٨٠٢م - ١٢١٨هـ) وهو والد الشيخ الحالي (أي الإمام سعود الكبير)، وكان والده سعود (يعني الإمام محمد بن سعود) هو الذي أسس الدولة الجديدة واقتصر عبدالعزيز على توسيعها، وكان عبدالعزيز يبلغ الستين من العمر تقريباً ، وهو رجل طويل نحيف ويعتبر مثقفاً جداً، وكانت أسرته تتألف حسب المعلومات التي وصلتني من ٨٠ نسمة.

وكانت جنوده إذ ذاك مائة ألف رجل، ولكن بما أن (الظفير وعنزة وبني خالد) وغيرها من القبائل العربية أصبحت الآن تحت سيطرته فأعتقد أنني لا أخطئ إذا حددت عدد جنوده أو بالأحرى عدد الرعايا الذي يجب عليهم حمل السلاح أمثالاً لأوامره بما لا يقل عن ٢٠٠ ألف.

وليس في الدرعية يهود أو أمة أخرى غير المسلمين ، وقد أقيمت في الدرعية مدة أسبوع تقريباً ثم بعد إقامة قصيرة في القطيف عدت إلى القرين.



وإلى هنا تنتهي رسالة رينود أما الدكتور سيتزن ومحاولاته للقيام برحلة إلى الجزيرة العربية فتلك حكاية أخرى لها وقت آخر، (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١١٩) من مجلة المختلص.

الليدي ستانهوب.. آخر ملكات تدمر!

تشكل الليدي إيستر ستانهوب ضلعاً من أضلاع مثلث تسائي مر بالبادية الشامية وترك أثراً بالغاً من بعده.. بدأ ذلك المثلث بها وانتهى بالليدي أن بلغت مروراً بالليدي جين دغبي التي خلص بها الأمر زوجة لأحد شيوخ القبائل العربية هو الشيخ مجول المصرب الحنزي.

والليدي إيستر لويس ستانهوب (١٧٧٦-١٨٢٩م) نبيلة إنكليزية من أسرة لوردات ذات شخصية ساحرة وذكاء حاد أهلها لتكون أمينة أسرار خالها السير وليم بيت رئيس وزراء بريطانيا ومهندس سياستها في عصر نابليون الذي أفقدها موته سنة ١٨٠٦م كل طموحاتها السياسية، فغادرت موطنها يحدوها أمل مستحيل بأن تكون «ملكة المشرق ومخلصته»، وحتى عندما لم تحقق هذا الهدف أصرت الكتب الغربية على تلقيها بملكة تدمر وساحرة الصحراء!

قصة وصولها إلى بادية تدمر طويلة مريت خلالها بجبل طارق ومالطة وجزر اليونان والقسمطينية ومصر وعانت الأهوال بعد غرق سفينتها قرب قبرص، وهي بلاد الشام زارت القدس وعكا ودير القمر ودمشق فكانت أول أجنبية تدخلها سافرة الوجه على صهوة جواد، واتصلت بالباب العالي ومحمد علي باشا وكبار ولاة العثمانيين والأمراء العرب وزعماء البدو خاصة الشيخ مهنا الفاضل شيخ الحسنة من قبيلة عنزة وولده ناصر.

وعن مهنا الفاضل تقول ستانهوب: «كان الأمير في الخامسة والخمسين أو الستين من عمره، وكانت عينه النافذة تقوم مقام أذنه الثقيلة السمع، وكانت لحيته مشعثة وكذلك حاجباه وقد بدلت التجعدات والأذران سحنة وجهه، وكان يرتدي سترة من الساتان الدمشقي، كما أنها تذكر قبيلته «الحسنة» بإعجاب خاصة وأنهم أحاطوا بها وحموها في رحلاتها الطويلة في الصحراء.

كما التقت ستانهوب التي كانت تهوى ارتداء ملابس الرجال بالجاموس الفرنسي لاسكاريس الذي خلّد فتاة فتح الله الحلبي رحلته في مخطوط مثير للجدل تم نشره مؤخراً عن دار طلاس السورية. وأبدت إعجابها به رغم الصراع الذي كان يدور وقتئذ بين فرنسا وبلدها بريطانيا.

وتختلف ستانهوب عن غيرها من الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة بكونها لم

تأت للكتابة أو للبحث عن الخيل العربية الأصيلة أو للتجسس لصالح بلدها، وبالتالي فهي لم تترك كتباً كغيرها ولم يكن المجد الأدبي أحد همومها فقد كانت تعمل لصالح أطماعها في الزعامة، وكل همها أن تصيح «زنوبيا» أخرى، وكل ما لديها من كتابات عنها مستقاة عن الكتاب الذين زاروها خلال إقامتها في الشرق ومن بينهم الشاعر الفرتسي الشهير لامارتين.

ولم تكن ستانهوب على غرابة شخصيتها تخفي حبيها لمن أقامت بينهم، فهاهي سنة ١٨٢٧م حينما اندلعت ثورة الدروز ضد إبراهيم باشا المصري بتشجيع منها وهي التي أصابها الهرم وخارت قواها وأنهكها العمل باعنت آخر ما تملك من حلي ومجوهرات كي تشري السلاح للثائرين وتعتي بالجرحي.

ويذكر التاريخ قولاً لمحمد علي باشا حاكم مصر: «لقد سببت لنا هذه الإنكليزية من الإزعاج أكثر من جميع المتمردين في سورية وفلسطين»، وهذه شهادة لها قيمتها خاصة وأنها جاءت من شخصية جبارة في تاريخنا الحديث.

وكانت هذه الثورة آخر أعمال ستانهوب المشهورة حيث عاشت بعدها في عزلة وفقر وهي التي بدأت حياتها تنعم في الحرير.

وفي عصر يوم مشمس من عام سنة ١٨٢٩م ماتت إيستر ستانهوب ورأى خدمها أنهم يحسنون صنفاً حين يلقون جسدها بعلم انكثرا لتدفن في حديقة منزلها ببلدان . وينتهي جسدها في البلاد التي حلمت أن تكون ملكتها المتوجة، وكان ذلك مجرد حلم رومانسي عرفت منذ البداية أن السعي لتحقيقه ضرب من المستحيل.

هكذا ذهبت ملكة تدمر الأخيرة (١١) التي لم تكن في أكثر الكتابات حيادية أكثر من مغامرة طائفة لم تحقق من أهدافها غير وهم كبير صنعه وحاولت تحقيقه دون جدوى! (١٢)

(١٢) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٣) من مجلة المختلف.

رحلة تاميزيه إلى عسير

تعتبر رحلة الفرنسي موريس تاميزيه إلى منطقتي الحجاز وعسير سنة ١٨٢٤م من أوائل الرحلات التي قام بها أوروبيون إلى هذه المنطقة، وقد استفاد تاميزيه من الميزات التي وفرتها له صفته كمرافق للحملة المصرية على الجزيرة العربية.

هو شاب فرنسي لم يكن يوم وصوله للجزيرة العربية يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، وكان يعمل كاتباً للبعثة الطبية المرافقة لحملة محمد علي باشا مما مكّنه أن يدون يومياته وأنطباعته عن المنطقة ليُسجلها في كتاب طبعه بعد عودته إلى باريس سنة ١٨٤٠م، وقد ترجم د. محمد آل زلفه الجزء المختص بمنطقة عسير إلى اللغة العربية قبل سنوات قليلة.

يبدأ تاميزيه كتابه بتوضيح الخلفية التاريخية لحملة محمد علي باشا على منطقة عسير مستفيداً من علاقته الوثيقة بواحد من الشخصيات المعروفة وهو «دوسري أبو نقطة» الذي يتكرر اسمه ونص الحوارات الشاقية بينه وبين المؤلف في شياث الكتاب كثيراً.

بعد ذلك يقدم تاميزيه وصفاً لمنطقة أبي عريش فيذكر السيول والأدغال في المنطقة، ومنوهاً بأهم الأشجار كشجرة الأراك، وانطرافها والبسم التي يستمد من بذورها في معالجة الحروق، والطيور في المنطقة والحيوانات كالقرلان والأبقار والجمال والأغنام والقطط المتوحشة والعقارب.

يصف أبا عريش فيقول: «يبدو شكل القرية غريباً عندما ينظر إليها من طرف واحد وهي داخل السور، ولكن عندما ينظر إليها بشكل عام فإنها تأخذ شكل مثلث طويل جداً، أما السور فمبني من الطوب أو الآجر المحروق، وله أبراج في الأركان مثل تلك التي شاهدها في الطائف، والقلعة المسماة «دار النصر» عالية جداً وذات منظر جذاب ولها فناء واسع في الوسط، والمدينة محمية بواسطة مدافع قديمة، ولقدّمها فإنها غير صالحة للاستعمال».

بعد ذلك يعود تاميزيه إلى تقديم يومياته ابتداء من ٢٧ يونيو ١٨٢٤م منذ خروجهم من الطائف إلى وادي ليّه إلى وادي بسل فيصف نساء المنطقة فيقول: «ثبت النساء فوق رؤوس أنوفهن نجومًا صغيرة مصنوعة من الفضة بها قطعة من العملة مقدار قطرهما ١٥ سم، وفي الوسط تشع لؤلؤة من لون مختلف».

بعد ذلك تصل الحملة إلى «قيا» حيث يلتقي تاميزيه بقبيلة بلحارث وكان قد التقى قبل ذلك ببعض فروع قبيلة عتيبة الحجاز قرب وادي بسل. وهنا تحدث عن مساكن بني هلال قبل تغريبهم المشهورة والتي كانت قيا إحداها.

يتحدث تاميزيه عن النمل في قيا فيذكر أنه له لسمعات مؤلمة جداً، وهو يهاجم الأشجار ويغطيها بإفراز أخضر يتحول للأبيض، والعقارب التي يتراوح طولها بين أربع وست بوصات ولسعاتها شديدة الخطورة حيث لسمعت أحد جمال الحملة قبل غروب الشمس فمات أثناء الليل.

وعندما سأل تاميزيه عن علاج هذه اللسمعات أجابه أحد البدو بأنهم: «يضعون على الجزء الملدوغ أمعاء الخروف الصغير وهي ساخنة، ويربطون العضو المصاب بضاغطة حتى لا يسري السم في الجسم».

أكملت الحملة مسيرتها جنوباً فمرت بويان وأبار وقبائل مثل عتيبة وبني عمر وبني حسن وفريش وبني بشير وعدوان وبني قثم حتى خيموا في سهل فرزان. وبعد ذلك في العقيق.

في منتصف يوليو غادرت الحملة العقيق حتى استراحت في «توراق» وهو واد مكتظ الأشجار كثير العشب، وفيه جدول ماء جار مليء بالأسماك الكبيرة، وبعد ذلك وصلت الحملة إلى رنية فيقول تاميزيه: «يتكون وادي رنية من عدة قرى صغيرة ذات منازل متناثرة هنا وهناك، ولكن أكبر مجمع سكني في الوادي هو قرية رنية نفسها حيث أنها محاطة بسور مبني من اللبن وله أربعة أبراج، والبيوت مبنية من اللبن ومسقوفة بأخشاب من جذوع النخل».

وصل تاميزيه إلى بيشة فقال أنها تشبه «مصر» إذ أن: «بيشة من الأودية الجميلة المغطاة بأعداد ضخمة من أشجار النخيل، ونيل بيشة هو المجري المائي الذي تتجمع فيه مياه أمطار جبال الحجاز وعسير حيث يقطع الوادي الإقليم مبتدئاً من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي».

وقدر تاميزيه سكان بيشة بخمسة وأربعين ألفاً، وعدد أهم قراها التي تقرب من ستين قرية واحداً تلك القرى وسكانها بشكل مستفيض نظراً للفترة التي أقامت فيها الحملة في بيشة ذكراً للمباحثات والأحداث السياسية التي جرت في تلك الفترة بين محمد علي باشا وزعماء المنطقة.

سارت الحملة في ٨ أغسطس إلى منطقة الحيفة ثم جبال ملاح فوادي الخضراء ثم وادي شهران، وتستمر الرحلة وتاميزيه لا يترك مكاناً إلا وصفه مبهوراً بجماليات

المكان ولا يهمل أيضاً تدوين بعض الأمور التي تصل إلى مسمعه من شؤون الحملة العسكرية السياسية التي كان السكان متضايقون منها للغاية لدرجة أن تامييزيه نفسه يعترف بأضرار الحملة على السكان ومورد رزقهم فيقول: «بالأمس كان وادي شهران جميلاً جداً ومنعشاً جداً، وحقله ما زالت خضراء قبل أن تلتهمها جمال وخبول الجيش»^(*).

في أواخر أغسطس وصلت الحملة إلى خميس مشيط، وانهمك تامييزيه في وصف الأحداث المهمة التي تعرضت لها الحملة هناك إذ بدأ الجنود يضعفون كل يوم، وجمال الركوب والتحميل تموت بالعشرات واصفاً انخفاض درجة الحرارة والأجواء الماطرة والرعدية.

وهناك يلتقي تامييزيه بـ «مشيط» شيخ خميس مشيط فيقول عنه: «يتجمع مشيط بمكانة معتبرة من قبل رجال الجبال، ويمكن أن يكون مستحيلاً أن تجد رجلاً يفوقه حسناً وحداقة. رأسه مرفوع وأنفه مستقيم. يبدو مثل رجل في أحسن أيام عمره مع أنه ينيف على الستين سنة وثمة ملامح من الحيوية ما زالت تبدو عليه، وله سحنة قلما تجدها عند العرب. عيناه ذات لون رمادي فاتح بل هما قريبتان من اللون الأزرق الفاتح وبشرته مشربة ببقع مختلفة الألوان، وله ذقن مستقيم مديب ينم عن طول ألفة الرجل للشمس، وحسن سيرته تحتل مكاناً عميقاً تنغمر بها عاطفة كل عربي».

بعد ذلك تبدأ رحلة تامييزيه في الوصول إلى نهايتها فيتحدث عن «مناظر» وهو موقع تحيط به الجبال من الجهة الغربية، وتنتهي هناك رحلة شاب فرنسي ألقب به الأيام في عسير مراقباً لحملة مصرية. (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢١) من مجلة المختلف.

رحلة والين إلى الجوف

لكثرة ما تعاقب على هذه المنطقة من الرحالة فقد رآها كل منهم بمنظاره الخاص، فهي هو «جورج والين» يكتب عن (مدينة الجوف) بعد أن مرَّ بها سنة ١٢٦١هـ (١٨٤٥م) كما مرَّ بها غيره من الرحالة الغربيين الذين أقاموا مغامراتهم وربما أساطيرهم ويطولاتهم على صحاري الجزيرة العربية، والذين مازال ينظر لهم بمنظارين مختلفين فأما أن يكونوا مغامرين باحثين أو جواسيس.

والين يتحدث عن الجوف قائلاً: «يعتقد سكان الجوف أن مدينتهم هي وسط الدنيا ولذا يطلقون عليها اسم «جوف الدنيا»، والواقع أن المسافات التي تفصلها عبر الصحراء المحيطة عن أقرب الأراضي المزروعة تكاد تتماثل في كافة الاتجاهات، فيمكن الوصول من الجوف إلى دمشق في سوريا وإلى النجف في العراق، وإلى المدينة في الحجاز، إلى الكرك في فلسطين في حوالي سبعة أيام لكل اتجاه.

ويضيف: «الكتاب العرب لا يذكرون مدينة الجوف باسمها هذا مطلقاً ويبدو أن هذا الاسم مرجعه شكل الوادي الواقعة فيه البلدة والذي وصف بأنه فجوة غائصة في سلسلة الجبال المحيطة بها، وإلى الشمال الشرقي من الجوف بلدة أخرى اسمها «سكاكا»، وفيها حصن يعرف بزعبيل، وفيها أيضاً أربعة أحياء أو أسواق هي: «العمران والسحيان والحرقان والفياء».

ويكمل والين: «إلى الشمال الشرقي من الجوف معلة صغيرة تدعى «قصر الطوير» تسكنها حوالي عشر عائلات، وبين المحلتين موضع ثالث يقال له «قارة» تقطنه ما يقرب من عشرين عائلة أصلها من الدغمي من عنزة وفيها حصن قديم يعرف بالمشرفة. وقيل لي أن القرى الثلاث تقع في أرض منبسطة ذات تربة قاسية فيها مياه وآبار عميقة مما جعلني أعتقد أن الصحراء في هذه المنطقة تحاكي الصحراء الممتدة إلى الشمال الغربي ولمسافة يوم تقريباً في ميزات أرضها الجبلية تبتثق من جبال الجوف تعترضها سلاسل».

«ولايزال الأهالي يذكرون اسم الجوف القديم «دومة الجندل»، والجوف لم يعرف عند جغرافيين العرب إلا بهذا الاسم القديم. ويقول أبناء المنطقة أن هذا الاسم يعني «كومة من الحجارة الكبيرة»، وإذا صدق قولهم جاز اعتبار هذا الاسم أنه قد يرمز إلى الجبل الكلسي الذي يرتفع فوق منبسط الوادي في شكل الكومة». ويؤكد والين:

«أن بعض السكان يقولون أن كلمة جندل تعني الصخور التي يتألف منها الجبل المذكور غير أن المؤلفين العرب لا يتفقون على أصل الكلمة فالبعض يرجعونها إلى دوماء بن اسماعيل بن إبراهيم، وكما اختلف في لفظها فمنهم من يضم الدال ومنهم من يفتحها. وسكان الجوف يزعمون أن بلدتهم الأصلية تعود إلى زمان الحكيم النبي سليمان بن داود عليه السلام الذي كان أول من مدّن بلادهم وأقام القرى وحفر الآبار، ويروى هنا أن البلدة في ذلك الزمان كانت أكبر حجماً وفيها بساتين الفاكهة والنخيل ما يغطي مساحة أكبر من الوادي، وفيها آبار وعيون كثيرة»

ويشير والين في نهاية رحلته إلى أنه كان يحيط بدومة الجندل كلها سور واحد وهناك حتى الآن آثار له، ففي قعر الوادي بقايا السور الذي بناه «الأكيدر» ليحيط ببلدته به، وكثيراً ما يكشف عن أوان منوعة مطمورة في الأرض منها هواوين حجرية تشبه الهواوين التي تستعمل في جميع بلاد نجد لطحن البن المحمص والتي اشتهر بصنعها سكان الجوف وتباع في نجد، وقد يبلغ ثمن الواحد منها جنيتها. (*)

(*) نشر هذا الموضوع في العدد (٦٧) من مجلة المختلّف.

رحلة بيرتون إلى الحجاز

كان البريطاني ريتشارد بيرتون قد حقق نجاحات مهمة عبر اكتشافه لبحيرة تيجانيقا بأفريقيا وترجمته لكتاب «ألف ليلة وليلة» لقراء الإنكليزية عندما وجه أنظاره إلى الجزيرة العربية راغباً بتحقيق مجد خاص به عن طريق عبورها كاملة من الغرب إلى الشرق.

عزم بيرتون المولود سنة ١٨٢١م على تحقيق هدفه فقدم طلباً بما يريد إلى «الجمعية الجغرافية الملكية»، ولكنها رفضت طلبه وأبت تمويل رحلته، وكذلك رفضت شركة الهند الشرقية التي كان موظفاً فيها منحه إجازة لأكثر من سنة فقدم استقالته وقرر السفر بجهوده الذاتية إلى الجزيرة العربية.

تكرر بيرتون في هيئة أمير هارسي أثناء سفره من بريطانيا إلى مصر حيث تعمق في دراسة الدين الإسلامي واللغة العربية وسعى نفسه «مهرزا عبد الله» مدعياً أنه أفغاني المولد عاش فترة طويلة بعيدة عن موطنه.

وكان ريتشارد بيرتون في عامه الثاني والثلاثين عندما وصل إلى ميناء ينبع سنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٢م) كحاج مسلم مع إحدى قوافل الحجاج المصرية . ومن فوره توجه إلى المدينة المنورة التي مكث فيها شهراً كاملاً غادرها بعد ذلك إلى مكة المكرمة وأدى فريضة الحج.

ولما أراد تحقيق حلمه بعبور الصحراء شرقاً أدرك بيرتون ضيق الوقت ومخاطر الطريق فغادر مكة عائداً إلى مصر، وألف عن رحلته هذه كتاباً أسماه «قصة رحلة شخصية للحج إلى مكة والمدينة» كما نشر فيما بعد كتاباً آخر بعنوان «مناجم الذهب في مدين والمدن المدنية الأخرى» عن زيارته اللاحقة لإقليم مدين شمالي الحجاز، وهي الزيارة التي قام بها بتكليف من الخديوي إسماعيل الذي كان قد سمع بمعادن الذهب الموجودة في ذلك الإقليم وأرسل بيرتون للتحقق من ذلك، ولكن المعينات التي جلبها بيرتون والتقرير الذي رفعه أوضح عدم الجدوى الاقتصادية، وبذلك صرف الخديوي نظره عن استنزاف ثروات الجزيرة العربية، وهي خدمة جليلة من بيرتون نشكرها عليه ربما لم يكن يقصدها!!

قدم بيرتون في كتابه عن الحج معلومات طريفة ودقيقة عما يمكن تسميته ثقافة الحجازيين في القرن التاسع عشر الميلادي، ففي كتابه تطرق إلى كل من «الأزياء

والزينة والسلاح، والطعام والشراب، والعادات والتقاليد، والخطب الشعبي، وأنفناء والرقص والموسيقى»، وقد ترجمها إلى اللغة العربية الباحث الدكتور أحمد نصر هي كتابه «التراث الشعبي في أدب الرحلات».

عن الملابس التي يرتديها أبناء العشائر يقول بيرتون: «يربط الرجل حول خصره وتحت الثوب حزاماً جلدياً طويلاً مذهوناً يسند ظهره ثم يربط فوق الثوب وحول الخصر أيضاً قحطان أو قطعة شاش خشن يسند خنجره، وعلى الكتف يتدلى حزام صريخ فيه جيوب لبارود البندقية».

ويضيف: «البندقية ذات الماسورتين نادرة عند العرب، ويسمونها هنا «بندقية أم روحين» ويسمى غطاؤها الجدي قشاطاً، وأسلحة البدو الرئيسية هي البندقية ذات الفتيل، والبندقية ذات الزناد، المسدس، والرمح، والسيوف، والخنجر ويسمى جنبية، وقد اختفى المضلاع والفوس منذ زمن طويل».

ويكمل حديثه عن السلاح فيقول: «تستورد البنادق من مصر وسوريا وتركيا لأن البدوي لا يستطيع صنعها لكنه يمكنه إصلاحها، وقد دخلت المسدسات إلى الحجاز مؤخراً وهي ليست شائعة عند البدو، وهم يميلون لهذا السلاح لأن مصدره استتبول وقد يبلغ سعر اثنين منه في الصحراء ثلاثين دولاراً أي عشرة أضعاف سعرهما في إنكلترا».

ويصف بيرتون وجبة الغداء التي تناولها أثناء السفر إلى الحج فيقول: «كانت قائمة الطعام مكونة من أرز مسلوق وكمية من السممن الذي يحبه الشرقيون، وبعض الكعك وخبز وحفنة من المعجوة، وقد بدأنا بمشروب يسمونه الإقط (1) وشريناء أيضاً أثناء الأكل، وأنهينا الوجبة بكوب ضخم من الشاي».

أما الأكل في مكة فهو أكثر ترفهاً وتنوعاً، ويصف بيرتون وليمة دعاء إليها رجل من أهل مكة يدعى «علي بن ياسين الزمزمي» قائلاً: «أحضروا الطعام في صينية من النحاس الأحمر محيطها نحو ستة أقدام مزخرفة بأشكال وكتابات عربية، وكان الغداء يتكون من عدة أنواع من الطبخ.. طيخ السبانخ والبامية والخضروات الغنية، وبعد أن أزيحت هذه الأصناف غمسنا أيدينا في البرياني والقميصة وهي أوصال اللحم، وورق العنب المحشي باللحم المفروم المخلوط مع البهارات والملفوف في شكل مثلثات صغيرة، والكباب والسلطة المكونة من الخس، وأطباق البطيخ المقطع في شكل مربعات صغيرة. أما الحلو فكان مكوناً من الكثافة المحلاة بالعسل ومسحوق السكر، وأنواع من التفاح المطهو والمهلبية وحلو آخر يعرف باسم (راحة الحلقوم)

يجلب من إستنبول، والقواكح والذ أنوع التمر مذاقاً، وختم الغداء بعلو من الأرز بالسمن تناولناه بملاعق خشبية..

وبعد هذا الوصف المفصل للطعام يتحدث بيرتون عن التمور الموجودة في المدينة وأنواعها ثم عادات الزواج والمهور الذي يكون أربعمئة دولار في المتوسط وذلك بين أهالي المدينة المنورة ينخفض إلى الثلاثين فقط بين أبناء البادية. وتحدث عن الختان والطب الشعبي وأهم الأمراض المعروفة في الحجاز وقتئذ.

ويبدو أن بيرتون حضراً حفاً للسامري أو العرسية خلال عودته من منى إلى مكة إذ يقول: «استرعى انتباهنا تصفيق بالأكف وغناء بصوت عال، ووجدنا جمهوراً من البدو يحيطون بمجموعة مشغولة بالرقص وشارك المتفرجون في الغناء وهو إنقاء ملحون مطول يؤدي على مقام موسيقي قصير وفي صوت واحد.. بدأ المقطع كالآتي: لا يا لا لي لا يا لا لي..» ولم يستطع أحد أن يعرف معنى هذا المقطع»^(١)

وواضح أن بيرتون لم يفهم أن ما سمعه هو مجرد «ملالة» لإقامة اللحن قبل البدء بالقصيدة»^(٢)

وقبل أن نترك بيرتون نشير إلى أن الباحثة رنا هباني في كتابها «أساطير أوروبا عن الشرق» قد أوضحت أنه قد أساء للشرق العربي كثيراً في ترجمته المأجنة لألف ليلة وليلة وهوامشه المسينة في تلك الترجمة كما أنه اهتم بإظهار صور إباحية لا توجد إلا في خياله في كتابات أخرى مثل ترجمته لكتابي «الروض المعطر» و«كاما سوترا»، وكانت لديه نظرة احتقار لكافة الشعوب غير الأوروبية.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن ريتشارد بيرتون قد توفي سنة ١٨٩٠م بعد حياة بدأت بحب غامر للسفر واكتشاف المجهول وسبر أغوار الشرق، وانتهت بكتابات رخيصة لكسب المادة»^(٣)

(١) نشر هذا الموضوع في العدد (١٢٣) من مجلة المختلف.

رحلة بيلى إلى الكويت والرياض

في عام ١٨٦٥م قام العقيد لويس بيلى المقيم السيامي البريطاني في بوشهر (عاش في الفترة ١٨٢٥ - ١٨٩٥م) برحلة نحو مدينة الرياض لمقابلة الإمام فيصل بن تركي آل سعود بدأها من الكويت التي وصلها في يناير من تلك السنة برفقة بعض المختصين الذين منعههم بيلى من الكتابة عن الرحلة لينسب فضلها إليه١١

هدف الرحلة المعلن كان: «إزالة سوء الفهم الناتج من القوانين الخاصة بتجارة الرقيق ، وتأكيد حسن النوايا للإمام فيصل» كما ذكر بيلى في رحلته التي صدرت مؤخراً ترجمتها العربية عن مؤسسة الأيام البحرينية بقلم د. عيسى أمين مزودة بالملاحق المخطوطة والخرائط التي وضعها بيلى ورفاقه عن تفاصيل رحلتهم.

في الكويت جعل بيلى في ضيافة يوسف البدر أحد الكرماء المذكورين في تاريخ الكويت فيقول عنه: «لقد كنت طوال هذه الفترة ألتقى من كرم الضيافة صوراً لا يمكن أن تعادلها ضيافة أي نبيل إنجليزي». ويصف أهل الكويت عموماً فيقول: «الغريب فيها لا يجد الفنادق بل يجد بهواً كبيراً يقدم فيه الطعام مجاناً للغرباء».

وعن الكويت أيضاً يقول: «تعتبر الكويت إحدى الموانئ النامية على الخليج ويملك سكانها سفناً كبيرة تنقل التجارة من وإلى الهند ودول الخليج ويعرف بحارتها بالمقدرة الملاحية الفائقة».

ويضيف عن تجارة الكويت: «تستورد الكويت الأرز من شوشتر والبصرة وساحل الملبار ، والذرة من الساحل الفارسي ، والتمور من البصرة ، وخشب بناء السفن من سواحل جنوب الهند . ويتبادل تجار الكويت مع بدو البادية الأصواف والخيول مقابل القهوة والأرز».

وهي ١٨ فبراير ١٨٦٥م انطلق بيلى ورفاقه من الكويت ومعهم بعض الأدلاء والمرافقين من العرب ، ويمر بمواقع مثل وارة ثم وبرة وثاج والصمان. وعندما وصل لرياض قدم انطباعه الأولي فكتب: «في الرياض تم بناء المنازل بالطوب المجفف وقام أهلها بالحفاظ على التنسيق العمراني وزرعوا بعض المزارع حولها وهذا ما تعنيه كلمة رياض «حدائق خضراء» وبصورة عامة تبدو المدينة وكأنها قد نالت اهتمام سكانها بها».

وعن الإمام فيصل بن تركي آل سعود الذي زاره بيلى في أواخر أيامه (توفي في

أغسطس من نفس السنة) يقول: «نهض الإمام بصعوبة لاستقبالنا ومد يده مصافحاً وطلب مني الجلوس بقربه على السجادة. لقد كان الإمام أعمى ولكن طبيعياً البنية واللامع يتسم وجهه بالهدوء والصلابة في نفس الوقت. صبور وواثق من نفسه».

ويضيف واصفاً الإمام: «كان يبدو وكأن عمره أكثر من سبعين عاماً، ومرتبياً ملابس بسيطة ولكن بذوق حسن ويغطي رأسه بعمامة من الكتشمير الأخضر. حسن التعبير موزون الكلمات، مرهوب الجانب حسن المعشر».

وبعد أن تلقى بيدي هدية من الإمام عبارة عن قرصين هرييين توجه إلى الأحساء تمهيداً لعودته إلى بوشهر، وعن المصروف كتب: «تبدو المدينة أكبر من الرياض وأكثر زرعاً، وتشتهر إلى جانب موانئها «العقير» والقطيف» بصناعة العباءات والأسلحة أما باقي الأسلحة فتأتي من دمشق ونجران والبصرة، وتوجد بها بعض القلاع» (٥).

(٥) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٠) من مجلة المختلف.

رحلة لوشر إلى الكويت

«تظهر الكويت كمدينة عربية فاتقة النظافة... جميلة لكاتب أمريكي لم يكتبها هذه الأيام، ولكنه سطرها بالتعديد سنة ١٨٦٨م عندما زارها في رحلته التي شملت الخليج ابتداء من مسقط».

جاء «لوشر» إلى الكويت على متن سفينة تجارية إنكليزية قادمة من الهند تحمل بضاعة للتاجر المشهور «يوسف الإبراهيم»، وقضى في صيف الكويت أياماً التقى خلالها بحاكم الكويت الخامس الشيخ عبدالله الثاني بن صباح.

يصف «لوشر» الشيخ عبدالله الذي زارهم في السفينة قبل الرسو بقوله: «كان الشيخ الحاكم طويلاً مفتول العضلات لطيف قد أطل لحيته البيضاء، يتاهز الثمانين وتبدو على وجهه ملامح الذكاء، وكان غاية في الأدب في كلامه وعاداته الشرقية، وكان يلبس ملابس عربية من الحرير الفاخر، وقد ارتدى العباءة ذات اللون الأرجواني موشاة بفزارة بالذهب وبداء تشعان بالأماس، وفي وشاحه الحريري الأبيض الذي لفته حول وسطه كان قد غمس خنجرأ صغيراً ذا مقبض من الذهب الصلب، وقد طعم باللؤلؤ والفيروز والياقوت».

بعد رسو السفينة يدعو الشيخ عبدالله الثاني «لوشر» ورفاقه إلى قصره المربع المبني بالطابق فيصف الأخير التحديقة الصغيرة الموجودة بداخله، وقاعة الاستقبال بسقفها المزين بالنقوش الصغيرة الزرقاء، والمسجدة الفارسية النحينة والأرائك العريضة.

عن جو الكويت كتب لوشر: «جو الكويت حار لدرجة مخيفة، وتظهر المدينة محاطة من الشمال والجنوب والغرب بصحراء مقشرة لذلك يعتبر جيران الكويت اثنان هما القصر والحرازة»!

بعد ذلك يتطرق الرحالة الأمريكي في وصف طبيعة البيئة في الكويت، وانعدام الخضرة فيها عدا بعض الواحات البعيدة بحوالي ثلاثين ميلاً، ولعله يعني «الجهراء والفتطاس» كما تحدث عن سفن «البغلة» التي ينقل بها الكويتيون ما يحتاجونه من مؤن من البلاد المجاورة، وهو يقول: «جل الرجال من سكان الكويت يمارسون التجارة أو الملاحة، وهم يتاجرون مع البصرة والساحل الفارسي أو مع عشائر بدو الصحراء باللؤلؤ والعود والأسلحة النارية والذخيرة والملابس والسروج والزل .. إلخ».

أما نساء الكويت فيقول عنهن لوشر: «نساء الكويت مشهورات بصناعاتهن ومهارتهن في جميع الأعمال اليدوية كالحيكة والعزل والنسيج، ومثل ذلك حسن مظهرهن فهن يعتبرن بجانب التركيات والإيرانيات، ولهذه الغاية يعتبرن أشد نساء الخليج ملاحظة».

يتحدث لوشر عن مائدة أهامها لهم الشيخ عبدالله الثاني فيصف حلياً حامضاً يدعى «الطين»^(١)، ويقول أن المائدة وضع عليها طقم أوروبي لأدوات الطعام جلب من يوفبي أما الطعام فيقول أنه قدم بطريقة فاخرة فقد: «جلب لنا الخدم كثيراً من الصحن المختلفة، وتحتوي على لحم الماعز المسلوق ولحم الغنم المحمر، ولحم جمل محمر أيضاً ودجاج. وثلاثة أنواع مختلفة من السمك، وصحن كبيراً يحتوي على الرز المطبق وعليه الزبد وحشو البصل واللوز والكشمش والدجاج المقلي، ويعتبر هذا النوع الصحن الشعبي للبلاد العربية. وإلى جانب هذه الصحن هيض من الخضروات والشرق وفواكه تعتبر غريبة».

عن الليل يصف لوشر النوم فوق السطح، ومن هناك بدأ يطل على الكويت من ارتفاع قبيل المغيب فيكتب: «لقد كان المنظر بهيجاً حقاً فهنا أحد المؤمنين ما يزال متسلاً في صلاته. وهناك زوج من الصغار يتبادلان أحاديث ود ناعمة، وإلى البعيد أم ترضى أمضالها، وهناك فتيات عربيات يغنين بصوت عذب أغانيهن الشعبية الحزينة، وهناك في الأفق الأبعد خارجاً في الصحراء عدة مسافرين منقردين راجلين أو على ظهور الخيل أو الجمال على شكل أشباح مظلمة حيث تتباين تبايناً غريباً مع الأفق الذهبي في المنطقة الخفية».

وفي النهاية يسافر لوشر وصحبه بعد أن ودعهم الشيخ عبدالله الثاني.

وللعلم فإن الشيخ عبدالله الثاني هو الأخ الأكبر لحاكم الكويت السابع الشيخ مبارك الصباح الذي حكم الكويت بعد زيارة لوشر بثلاثين عاماً، ولشيخ عبدالله الثاني ذرية معروفة من آل صباح من بينهم الشيخين الكبيرين عبدالله الجابر العبدالله أول وزراء المعارف في تاريخ الكويت والشيخ عبدالله الخليفة العبدالله، ومن ذريته هي الوقت الحالي على صعيد الشعر نعرف الشاعر الشاب دعيح الخليفة الذي يعد الشيخ عبدالله الثاني الذي زاره لوشر الجد الثالث له. (٢)

(١) نشر هذا الموضوع في العدد (١٠٩) من مجلة المختلف.

رحلة رفعت باشا إلى الحجاز

يكتسب كتاب «مرآة الحرمين» المطبوع في القاهرة سنة ١٩٢٥م أهميته من عدة نقاط أولها: التفصيل المثير لأربع من رحلات الحج من مصر بما فيه من معلومات دينية وجغرافية وتاريخية ، وثانيها: أن مؤلف الكتاب إبراهيم رفعت باشا لم يكن مجرد رحالة عادي بل هو أمير الحج المصري لسنوات ١٩٠٢ و ١٩٠٤ و ١٩٠٨ وقائد حرس المحمل المصري لسنة ١٩٠١م . وبالتالي فإن منصبه هذا مكّنه من الإلتقاء بالعديد من الشخصيات وأن يكون طرفاً مهماً في الأحداث.

أما ثالث الأسباب وأكثرها أهمية، فهو احتواء الكتاب على حوالي ٥٠٠ صورة قام المؤلف بالتقاطها وزين كتابه بها . وهي صور تعطي القارئ فكرة كاملة عن الحج والحجاز في أوائل هذا القرن ، وينفرد بها هذا الكتاب.

لن نأتي لتذكر أحداث الرحلات فقد بلغت في الكتاب بعزثيه أكثر من ألف صفحة ، ولكن سنطرق لبعض مشاهدات رفعت باشا خلال رحلاته الأربع:

عن جدة كتب سنة ١٩٠٣م:

«جدة بلدة كبيرة وهي ميناء مكة العظيمة يحيط بها سور ذو خمسة أضلاع يقطعها راكب الحصان بالنسير المعتاد في ٤٥ دقيقة ، وارتفاع السور ٤ أمتار وبه تسعة أبواب . وشوارعها مختلفة السعة وحاراتها ضيقة وغير منتظمة ، ويجدها مجار تنصريف مياه المطر إلى البحر».

وعن غسل الكعبة المشرفة في تلك السنة كتب رفعت باشا:

«أخذنا جميعاً في غسل أرض الكعبة من الداخل بماء زمزم، وكان ذلك بمقشبات صغيرة صنعت من خوص النخيل ثم وزعت علينا خرق بيضاء مبللة بماء الورد والروائح العطرية وأخذنا نمسح بها جدر الكعبة ، وقد أشد الزحام أمام بابها لأخذ مياه الغسل».

وعن عادات المكيين بعد موسم الحج يقول:

«بعد انقضاء الموسم يقيمون الأفراح ويزوجون الأولاد، ويتروضون في جهة الطائف وأنزاهر والأماكن التي بها بساتين ، وفي شهر رجب يقصدون المدينة للزيارة وفي ذلك يفقدون ما جمعوا في الموسم إلا قليل».

أما الطائف فيصفها بقوله:

«بلدة الطائف يحيط بها سور من الطوب اللبن ، وداخله ٤٠٠ منزل و ٦٠٠ حانوت وستة جوامع أشهرها جامع عبدالله بن عباس (رضي الله عنه)، وبها أيضاً سبعة مساجد ودائرة للحكومة ومنزل للمدير ومستشفى للجند ومسلكان وحمام وقلعة لحبس المجرمين وعدد سكانها ٢٠٠٠ نفس، وبيوتها في أكثر الأشهر خالية من السكان إلا القليل ولا تعمّر إلا في الصيف حيث يؤمها الكثيرون فراراً من حرّ مكة وقيظها».

هذه مقتطفات من بحر موسوعة مصورة تركها لنا رفعت باشا منذ ما يقارب القرن. (١٠)

(١٠) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٩) من مجلة المثلث.

لورنس.. جاسوس أم بطل؟

ولد «توماس لورنس» في ويلز ببريطانيا سنة ١٨٨٨م لأبوين هما توماس روبرت تشابمان وسارة صادن . وقد تعلم الكثير من طباع والده المولع بالمقامرات والصيد والترحال وقيادة الدراجة النارية بسرعة جنونية والإطلاع على كتب الرحالة. وزاد تعلق لورنس ببلاد الشرق لتأثيرات كتابات داوتي الرحالة الشهير التي أولع بقراءتها صغيراً لذلك تجده يميل على دراسة علم الآثار ليسهل عليه الوصول إلى بلاد الشرق.

وبعد أن تخرج لورنس سنة ١٩٠٩م توجه إلى بلاد الشام لدراسة القلاع والحصون الصليبية ثم سافر في بعثة أثرية للتنقيب عن آثار الحيثيين في (جرابلس) ، وأخذ من هناك يتجول بين مضارب البدو فبدأ ينشر مقالاته عن مكتشفاته بينما كانت الحرب العالمية على وشك الوقوع، ومن مصر أوقدت القيادة الانجليزية علماء الآثار للتجوال بحجة التنقيب وذلك لرسم الخرائط وتحديد الطرق ومصادر المياه والمضائق وكان لورنس بين من اختارتهم القيادة لتلك المهمة.

ولما انتهت المهمة التجسسية الأولى في حياته عاد لورنس إلى (جرابلس) ليعمل تحت أمرة مدربه الباحث هوجاريت ، وكان في تلك الفترة دائم الإدعاء بأنه على معرفة واتصال بجماعة التحرر العربي والإندماج في مجالسهم السرية في سوريا ومن هنا جُند لورنس للأعمال التجسسية مرة أخرى.

وعندما نشبت الحرب العالمية سنة ١٩١٤م تم استدعاء لورنس للعمل في مكتب للمخابرات بمصر ، وكانت مهمته تتلخص في جمع المعلومات عن البلاد العربية وقوة القبائل والإهتمام بالتأقمين على العثمانيين ودفعهم للشورة وقطع خطوط تموين العثمانيين. وحينما حوصر الجيش الإنجليزي في العمارة بالعراق أرسلت المخابرات الانجليزية لورنس سراً للمتابعة مع الأمير فيصل بن الحسين وتسجيل طلباته للإمداد بالسلاح والمال . ومن هناك تم اعتماد لورنس كضابط ارتباط بين الجيش البريطاني والجيش العربي في الحجاز.

وعندما أهده الأمير فيصل الملابس العربية كان لورنس يزهو بها ولا يخلعها أبداً فيسير بها في الشوارع موهماً البدو بأنه من أقرب المقربين للأشراف، وطمع

بأن يقبل الناس يده مثلما يقبلون أيدي أشرف مكة، وكانت رسائله وقدذاك تطفح
بذكر شيوخ القبائل الذين التقوا حول الأمير فيصل من أمثال النوري الشعلان وعودة
بوثاية وغيرهما،

ورغم ادعاءات لورنس وبعض الصحفيين الذين نُصِّحوا فيه في تلك الأيام والفيلم
السينمائي الشهير الذي مثَّل عنه بأنه كان بطل الحرب ضد الأتراك إلا أن الحقائق
تشير إلى طبيعة عمله الجاسوسية ومحدودية الدور الذي قام به للدرجة التي دعت
قائداً بريطانياً كبيراً للقول: «يعتبر لورنس بلا شك أحد الدجالين الكبار في
الحرب»^(١)

ولما انتهت الحرب رافق لورنس الأمير فيصل بن الحسين إلى مؤتمر باريس سنة
١٩١٩م، ومن هناك انتقل إلى لندن حيث عيِّن مستشاراً في وزارة المستعمرات حتى
سنة ١٩٢٢م، واختفى بعد ذلك ليمارس دوراً غريباً في الهند التي دخلها متكرراً
تحت مسمى «روس» الجندي في سلاح الجو البريطاني، وقد تم تسريحه من الجيش
بعد ذلك ليظل على أوهام بطولاته حتى لقي مصرعه في حادث تصادم دراجة كان
يركبها سنة ١٩٢٥م. (×)

(×) نشر هذا الموضوع في العدد (٧٩) من مجلة المختلط.

رحلة شكسبير عبر الجزيرة العربية

لعل أول سيارة تصل إلى أرض الجزيرة العربية كانت تلك التي قادها الكابتن وليم شكسبير سنة ١٩٠٨م حينما كان مساعداً للمقيم السياسي البريطاني في الكويت، وقد تنقل شكسبير فيما بعد بين الكويت ونجد عدة مرات قبل أن يلتقي أخيراً بجلالة الملك عبدالعزيز في الكويت، وهي نهاية اللقاء سأل شكسبير الملك عبدالعزيز إن كان بإمكانه الرحيل إلى الرياض فترحب انماهل به، ولم يصدق شكسبير أذنيه أنه سيكون «أول أوروبي يدخل للرياض منذ نصف قرن من وصول لويس بيلي إليها».

لم يحقق وليم شكسبير الذي كان قد عين معتمداً سياسياً في الكويت منذ سنة ١٩٠٩م حلمه بالسفر إلى الرياض إلا بعد أربع سنوات إذ بدأ رحلته في يناير ١٩١٤م، ومعه جماله الخاص عبدالعزيز بن حسني وسبعة جمالين آخرين وخادمان ومجموعة كبرى من البنائين وناقته المفضلة «ذهبية» وخيمة للإستحمام ورافقت النصف الأول من الرحلة أمطار يومية وصقيع كان يجمد المياه في القرب خلال الليل، وحين بلغوا الدهناء بدأت الجماعة تذوق معنى الصحراء، ولاحظ شكسبير أن الكلبان كانت تغير ألوانها من الوردي في الصباح إلى البرتقالي عند الظهر إلى القرمزي في الغسق، وخلف كل تلك الكلبان كانت تقع الزفري التي ما إن وصلها شكسبير حتى دعاه عبدالله بن سليمان إلى تناول القهوة، وهي منتصف مارس بلغ الرياض حيث استقبله فيها الملك عبدالعزيز.

لم يكن شكسبير - كما أسلفنا - أول إنجليزي يصل إلى الرياض فقد سبقه إلى هناك سادير وبلغريف وبيلي ونيشمان لكنه كان أول من وصف المدينة بتفصيل شديد كما كان أول من التقط لها صوراً سينمائية، وقد غادر الرياض في ١٢ مارس ١٩١٤م، فأتجه غرباً على الطريق الرئيسي إلى بريدة وسط أمطار غزيرة، فأضاع طريقه غير مرة لكنه وصل عتيقة في ٢٦ مارس ثم بريدة.

في بريدة هوجئ شكسبير حين التقى فيها رجلاً يدعى عبدالله البخفة كان يتحدث الإنجليزية بلكنة أمريكية، وأخبره عبدالله أنه كان قد سافر مخفياً على ظهر إحدى السفن المتجهة إلى نيويورك حيث عمل سائق تاكسي طوال ست سنوات قبل أن يعود إلى بلاده، ومن بريدة اتبع شكسبير طريقاً شبه دائرية حول حافة جبل

شمر الشرقية إلى الجوف فيما تحوت الأمطار الثقيلة إلى رياح باردة وبعد أيام قليلة التقى رجلاً متقدماً هي السن اعتقد أن القافلة تضم مساحين يرسمون طريقاً بين الكويت والسويس: هذا الرجل أيضاً كان يتحدث الإنجليزية ولكنه أمريكية يدعى «محمد الرواف»، وكان الرواف قد عمل سائساً للجمال في معرض بشيكاغو قبل ذلك بخمسة عشر عاماً.

وصل شكسبير وفريقه إلى الجوف في ٢٦ أبريل ١٩١٤م فدعاه الشيخ سطلام بن نواف الشعلان إلى وليمة كبيرة، ومن هناك سار مسافة خمسة أيام إلى أن تعرض لهجوم، فتوقف حتى الظهر ثم احترق صف المهاجمين في قبض «الحرارة المقللة» وسارت الجماعة طوال الليل إلى أن وصلت إلى مضرب الشيخ عودة أبو تايه من شيوخ الحويطات المعروف بشدة بأسه، والذي روي أنه ذات مرة أكل قلب أحد أعدائه، وبعد ذلك بثلاث سنوات كان أبو تايه يعبر الصحراء مع لورنس الذي قال عنه: «حين يموت هذا الرجل تكون العصور الوسطى في الصحراء قد انتهت».

الأيام القليلة كانت مليئة بالحر القاتل خلال النهار والبرد القارس خلال الليل، وكذلك أشد على القافلة الخوف من المهاجمين فلم تكن تجرؤ على إضرام النار في الليل، وبدأ طعام القافلة ينقطع فراحت تعيش على التمور والحليب كما بدأت الجمال تنهار والرجال يصابون بالثعب حين كتب شكسبير في مذكراته: «إنني أريد أن أقام إلى الأبد، إنه أسوأ يوم في حياتي»، ولكنه رغم ذلك وصل في ١٧ مايو إلى سيناء فاستحم وتناول الأيس كريم في مخفر للشرطة، فقد كان شكسبير يملك وقتها أسباباً مقنعة للاحتفال، فقد أكمل لثوب عبور ١٨٠٠ ميل ثلاثاً في أرض لم تستكشف من قبل!

أما نهاية شكسبير فقد كانت غريبة بعض الشيء إذ أنه توجه في أكتوبر ١٩١٥م لمفاوضة الملك عبدالعزيز قرب الزلفي، وذلك بعد إعلان بريطانيا الحرب على تركيا، وعندما وقع القتال في معركة «جراب» الشهيرة أصر شكسبير على حضورها، ولما كان ملبسه مميزاً فقد سهل توجيه الرصاص عليه من القناصة في الجانب المعادي، فلقى مصرعه بثلاث رصاصات أصابته، ووقد رثاه الملك عبدالعزيز بقوله: «إنه أعظم أوروبي عرفته في حياتي كلها» (٥).

(٥) نشر هذا الموضوع في العدد (٦٢) من مجلة المختلص.

يابانيون في الصحراء

نقل الشيخ حافظ وهبه سفير جلالته الملك عبد العزيز «يرحمهما الله» في بريطانيا دعوة جلالتهم للحكومة اليابانية لزيارة الرياض تقديراً لما قدمته من مساعدة في إنشاء مسجد طوكيو سنة ١٩٢٨م.

وتلبية لهذه الدعوة شهدت الجزيرة العربية سنة ١٩٢٩م أول حضور رسمي من الشرق الأقصى كان على رأسه الوزير الياباني في سفارة اليابان بالقاهرة، وكان من ضمن الوفد السيد «اييجيرو ناكانو» الذي نشر تفاصيل رحلته في مجلة يابانية ثم جمعها في كتاب صدر سنة ١٩٤١م ترجمته مؤخراً دار الملك عبد العزيز في الرياض.

يقول «ناكانو»: وصلنا مدينة جدة في العشرين من مارس ١٩٢٩م وعند نقطة تقع على بعد ميل من الميناء تركنا السفينة التي أقلتنا وركبنا يختاً صغيراً نظراً لوجود شعب مرجانية كثيرة تكونت في البحر الأحمر منذ زمن طويل».

سألت الرجل الذي يقود اليخت: «ماذا لا تزيلون هذه الشعب؟ فقال: إنها الرغبة في الحفاظ على البلاد من خطر السفن المعادية التي لا يمكنها أن تمر من فوق هذه الشعب لأن العمق لا يتجاوز ربع المتر تقريباً».

إقترينا من مبنى الجمرük وأنزلنا امتعتنا يهدوء ووقفت متعجباً وأنا أرى لأول مرة الشخصية العربية البدوية، وكان في استقبالنا قائم مقام مدينة جدة ورئيس الشرطة واستعرضنا حرس الشرف ورحب بنا الجنود.

كانت مدينة جدة هادئة بعد انتهاء موسم الحج، ولفت انتباهي تلك البيوت العالية التي شيدت من الحجارة والخشب كما شعرت بارتفاع نسبة الرطوبة.

كان عدد السكان في مدينة جدة في ذلك الوقت ٢٥ ألف نسمة، وشعرت بأن المكان قد تعرض لتقلبات الزمان، وتغير كل شيء وسط هذه المنطقة الصحراوية والتي كانت عن أكثر مناطق العالم تقدماً وازدهاراً بالسكان في العصر الجليدي الرابع»

قبل انطلاقتنا إلى مدينة الرياض أهدانا الشيخ عبدالله السليمان - (وزير المالية) بعض الملابس العربية، وكنت في غاية السعادة وأنا أرتدي الفئرة والمخلع والعقال العربي.

ومن مدينة جدة انطلقنا محفوفين بكرم الضيافة الملكية إلى الرياض حيث سنقضي أياماً عدة وسط صحراء يحيط بها السكون من كل جهة ودرجة الحرارة العالية.

انطلقت بنا السيارة وهي تسير بسرعة ٧٠ ميلاً باتجاه الشرق، وكنا تضطر للوقوف أحياناً لتوقف السيارة بفعل «التفاريز» وسط الكثبان الرملية، فنضطر للنزول وحمل السيارة بمساعدة المارشدين ورئيس الحرس وبعض المساعدين الذين ترجلوا من سيارتهم. لقد كانوا رجالاً أشداء يحملون بنادقهم لحمايتنا ويتمتعون بالشجاعة ولا يهابون المخاطر.

بعد مضي خمسة أيام شعرت بأننا اقتربنا من مدينة الرياض وما أن ظهرت لنا واحة خضراء حتى صاح السائق: (الرياض.. الرياض).

رأيت من بعيد منظر قلعة بان سورها ونوافذها وشعرت بالارتياح.. قلعة كبيرة ذات طراز من البناء العربي الأصيل. خيم علينا الصمت ونحن نسير بمحاذاة سور القصر «قصر البديعة» وهو قصر مشيد من الطين.

نزلنا من السيارة فوجدنا عند البوابة ثمانية رجال من الحرس مع بنادقهم الطويلة. قال قائدهم: «اضرب» فبدأوا في إطلاق أعيرة نارية تحية لنا. نزلت في غرفة مع الوزير ثطل على وادي حنيفة حيث نشاهد من خلفها اشجار النخيل الجميلة.

يتكون «قصر البديعة» من طابقين وهو مشيد علي طريقة المعمار العربي شكل مربع مثل جامع الأزهر وقصر الحمراء في غرناطة بإسبانيا.

قضينا ليلة مريحة بعد عناء الرحلة، ويوم غد سيكون لقاءنا مع الملك عبدالعزيز آل سعود.

وفي الصباح تحركنا باتجاه القصر، والسائق الذي جاء بنا من جدة ليس حلة جديدة فكان رائح الهندام، ونحن دخلنا من بوابة قصر «الشمسية» وجدنا على بوابة القصر مائة من رجال الحرس، وكانت زخارف القصر رائعة وجميلة جداً.

دخلنا في غرفة الضيافة واتجهنا إلى رجل يجلس على كرسي ضخم ذي مساند كان يرتدي مشلحاً ويبدو طويل القامة. أدركت منذ الوهلة الأولى أن الذي يجلس على الكرسي الضخم هو الملك.

اتجهنا نحوه فوقف من على كرسیه. وسلم علينا سلاماً حاراً حيث سلم عليه

الوزير ثم زميلنا المهندس ثم أنا، وقال لنا: (مرحباً.. أهلاً وسهلاً.. وصلتكم بأمان الله)، وكان مظهره يدعو للاحترام الشديد فهو ملك بحق وصدق. تحدث وأطمأن علينا وتمنى لنا إقامة طيبة ثم راح يتحدث عن الأوضاع السياسية في العالم، فكان ملماً ومدرِكاً لما يحدث شرقاً وغرباً، وركز في حديثه معنا إلى أن هذه البلاد تطبق الشريعة الإسلامية المستمدة من كتاب الله «القرآن الكريم».

بعضي «ناكانو» في القول، قالوا لنا أن سكان مدينة الرياض عشرون ألف نسمة، فسألت نفسي متعجباً أين يسكن هؤلاء إذ لم أر أناساً كثيرين هنا، ولكنني عندما مضيت في الطريق المؤدي إلى وسط المدينة شاهدت المباني المشيدة بالطين المستوحاة من البيئة الصحراوية.

رغبت في زيارة السوق فذهبت مع مرافقنا عبدالسلام. وهناك شاهدت علب طعام كتب عليها «صنع في اليابان» و«دكاكين» تباع الملابس ودقيق القمح والأرز، و«دكاكين» بنيت من الطين وغطى سقفها بالنخيل تباع الحرير والقماش. وبينما أنا في قمة الاستمتاع حان وقت الصلاة فلم أعد أرى أحداً حيث أن الكل توجهوا للصلاة في المسجد.

وفي اليوم التالي خرجت للنزهة ولكن بعيداً عن السوق، فذهبت إلى جبل في طرف الرياض يدعى «أبو مخروق» يتكون من الحجر الجيري يصل ارتفاعه إلى خمسين متراً وشكله مثل شكل «النسر» وفتحته كأنها عينه.

تسلقت الجبل وأصبحت الفتحة أمامي أكبر وأوسع كان قطرها حوالي سبعة أو ثمانية أمتار شكلتها عوامل التعرية وربما العواصف الشديدة. وعبر هذه الفتحة تناهى إلى سمعي صوت غريب فشمعت بنوع من الخوف قال لي مرافقي عبدالسلام: «إنزل»، فنزلت وأنا لا أعرف هل توهمت شيئاً أم أنه سحر المكان.

وفي السابع من أبريل سنة ١٩٢٩م كان يجب على الوفد أن يتوجه إلى جدة بعد انتهاء الزيارة الرسمية التي قام بها. ومن ثم غابرنّا إلى اليابان حيث كانت نهاية الرحلة. (٧)

(٧) نشر هذا الموضوع في العدد (٩٨) من مجلة المختلط.

آل ديكسون .. تاريخ على سيف الكويت

على ساحل البحر في العاصمة الكويتية ما يزال « بيت أم سعود » يقف شاهداً على قصة إثنين من الأجانب قدما إلى الكويت فأحبها وبادلها الكويتيون الحب .

تبدأ القصة عندما جاء هارولد ديكسون وزوجته السيدة فيوليت إلى الكويت لينتولي مهام منصبه كسابع معتمد بريطاني في الكويت في ٢٢ مايو ١٩٢٩م، وكان ديكسون قد ولد في ٤ فبراير ١٨٨١م في بيروت التي كان والده متصلاً فيها، والتحق بالجيش البريطاني سنة ١٩٠٢م ، وعين ضابطاً سياسياً في بعض مناطق جنوب العراق عقب احتلاله سنة ١٩١٦م، وبعد ذلك صار معتمداً في البحرين سنة ١٩٢٠م .

في الكويت بدأ ديكسون وزوجته الحياة الجديدة، وبدأ في الاندماج مع حياة الكويتيين من الحضرة والبدو، وللصحراء علاقة وثيقة مع ديكسون الذي وإن حرم من دم بدوي في عروقه فإنه لم يحرم من «حليب عربي» حيث أرضعته إحدى نساء السبعة من عنزة مما جعله أخاً لأبنائها، وهي العلاقة التي كان ديكسون كثيراً ما يفتخر بها في كتبه.

وعندما انتهت مهمة ديكسون كمعتمد بريطاني في الكويت في ٤ فبراير ١٩٣٦م لم يغادرها بل ظل في منزله مقيماً إلى حكامها كما عمل مستشاراً بشركة نفط الكويت حتى توفي بها سنة ١٩٥٥م تاركاً مؤلفين في غاية الأهمية هما «عرب الصحراء» و«الكويت وجاراتهما» ضمنتهما الكثير من القصص والحوادث التي عايشها بنفسه وكان شاهد العيان الوحيد على كثير منها كما يلحظ قارئ كتبه اهتماماً ملحوظاً بالقبائل وأنسابها وتواريخها، وهو في هذا المجال مصدر موثوق يروي عن أصحاب الاختصاص بدقة وموضوعية.

أما السيدة ديكسون فقد استمرت في منزلها المطل على البحر، ورغبت أن تنتقل منه إلى بيت أحدث حتى هرمت وغادرت الكويت قبيل الغزو في أبريل ١٩٩٠م لتعالج إلى جانب أبنائها «سعود وزهرة» في لندن حتى توفيت قبيل تحرير الكويت سنة ١٩٩١م، وقد تركت أيضاً كتابين هما «أزهار الكويت والبحرين» و«أربعون عاماً في الكويت» سجلت في الأخير مذكراتها كما شاركت زوجها في كتابة بعض مواضيع كتبه خاصة في يتعلق بالنساء والنباتات والحيوانات البرية .

يشتهر السيد والسيدة ديكسون عند الكويتيين بإسم «أبي وأم سعود»، ولذلك قصة إذ كان هارولد ديكسون في مؤتمر العقير سنة ١٩٢٠م مع الملك عبدالعزيز عندما جاءه خبر ولادة ابنه الأول فطلب منه الملك عبدالعزيز أن يسميه سعوداً ففعل كما أن له بنتاً تحمل اسماً عربياً آخر هو «زهرة» التي ولدت في الكويت وعاشت فيها إلى أن تزوجت وغادرت إلى بريطانيا ، ولها كتاب مترجم إلى العربية بعنوان «الكويت كانت منزلي».

ذهب آل ديكسون عن بيتهم الأزرق الجميل في الكويت والذي كان يعتبر من أملاك الدولة من الأساس وحوت ملكيته بعد التحرير إلى المتحف الوطني الذي قام بترميم البيت سنة ١٩٩٢م في خطة شاملة على يد أقدم بنائي الكويت التقليديين محمد البحوه الذي كان يومها يبلغ الخامسة والسبعين تمهيداً لتحويله إلى متحف للفلكلور.

ويومئذ التقينا بالبحوه وهو يشرف على عماله لترميم غرف المنزل الـ ٢٢ وأحواشه واسطبلاته فحدثنا عن ديكسون فقال: «إنه كان يتقن العربية كأحد أبنائها ، و كان يركب الخيل مع زوجته التي يظنها من براها لأول مرة ويسمع لهجتها اليبودية بأنها من نساء اليدوه، ويذكر البحوه أنه بنى ذات يوم منزلاً لديكسون في منطقة خيطان بخمسة آلاف روبية، وهو ما كان يعد مبلغاً خيالياً في تلك الأيام.

وهذا البيت أسس سنة ١٩١٠م علي يد البناء راشد البحوه وسليمان بن إبراهيم البحوه، والأخير هو والد الرجل المذكور آنفاً، وبني البيت أصلاً ليكون منزلاً لشمسان بن علي الرومي أكبر تجار الكويت وقتئذ ثم اشتراه حاكم الكويت العاشر الشيخ أحمد الجابر الصباح ليكون مقراً للمعمدية البريطانية إلى أن انتقلت المعمدية إلى موقع جديد. وسكن آل ديكسون في البيت الذي ما زال على ساحل البحر جميلاً يعبق بالذكريات وشاهداً على تاريخ مضي. (٢٠)

(٢٠) نشر هذا الموضوع في العدد (٩١) من مجلة المختلف.

الفصل السادس: **عدسة الماضي**

(الصور الفوتوغرافية المنشورة في ملف وسم من مراجع مختلفة)



■ الملك

عبد العزيز
وحدة
جماعية مع
عدد من اولاده
لعمرو
للأربعينيات.

■ الملك

عبد العزيز آل
سعود في زيارة
للكويت عام
بها سنة
١٩٣٦ م، و

يشتهر في
استقباله
الشيخ أحمد
الجبائر، و
يسد الأمير
سعود والقضا
خلف أبيه.





■ صورة نادرة تعود إلى سنة ١٩٠٦م للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت الصباح جالسا، وخلفه من اليسار ابنه الكبير جابر ثم شخص مجهول ثم ابنه الشيخ سالم، وعلى يمينه وقف صبي يعتقد أنه أحد أبناء مبارك أو أحفاده.



■ الشيخ
أحمد الجابر
الصباح حاكم
الكويت
الغاسر
متوسطا
ولديه الشيخ
جابر (الأمير
الحالي)
والشيخ
صباح، وظاهر
في المقدمة
حفيده
مبارك من
جابر.

■ الملك

عبد العزيز جالساً
على الأرض في
إحدى الخيام.

■ صورة تعود

إلى ديسمبر ١٩٥٥م
التقطت في مدينة
العين ، وفي تجمع
من اليمين : الشيخ
زايد بن سلطان
(حاكم البريمي
وقتئذ) - السلطان
سعيد بن تيمور
سلطان عمان -
الشيخ شخبوط بن
سلطان (حاكم أبو
ظبي) - الشيخ
خالد .





■ صورة التقطت في
مبنى بلدية الكويت بساحة
الاستقلال سنة ١٩٥٣م
يتوسط فيها الشيخ احمد
الجبابر الصباح ضيفه
الاميرين سعود وخالد
إبن الملك عبدالعزيز، و
قد وفد خلفهم الشيخ
حمود الجابر (شقيق
الحاكم).



■ صورة التقطت سنة
١٩٣٣م في مسخيم يظهر
فيها الأمير سعود بن
عبد العزيز (الملك) ممكاً
سكائير التصوير.



■ صورة تعود إلى
بداية الأربعينيات من
القرن العشرين،
ويتوسطها الشيخ عبدالله
بن قاسم آل ثاني حاكم
قطر وقتئذ، وخلفه من
اليمن: المقيم السياسي
البريطاني ولده الشيخ
علي بن عبدالله - ولده
الشيخ حمد بن عبدالله
الجد المباشر للأمير
الحالي.

■ السيد فيصل بن
تركلي البوسعيدي سلطان
مسقط بين عامي (١٨٩٨
١٩١٣م) وولده تيمور الجد
المباشر للسلطان قابوس
في صورة عمرها حوالي
القرن.





■ الشيخ زايد
بن سلطان آل
نهيان رئيس دولة
الإمارات الحالي
سنة ١٩٥٠م ممسكاً
بمسكته في رحلة
فنية.

■ صورة أخرى
للشيخ زايد راقباً
على ظهر جمل
وشو يمسك
بمسكته.

■ الشيخ
الشاعر صقر بن
محمد القاسمي
حاكم رأس الخيمة
في صورة التمثيل
لده سنة ١٩٥٠م.





■ صورة للشيخ عيسى بن علي بن خليفة
بن سلمان بن محمد حاكم البحرين. ولد سنة
١٨٤٨ هـ (١٢٦٥ هـ) ، وانتقل إلى قطر بعد
مقتل أبيه إلى أن اختير للإمارة في البحرين
سنة ١٢٨٦ هـ ، واستمر في الحكم زمناً طويلاً
(إلى أن تناه الإنكليز عن الحكم سنة ١٩٢٢ م
(١٣٤١ هـ) حتى توفي سنة ١٩٢٢ م)

■ صورة لتتويج الملك فيصل الأول بن
الحسين على عرش العراق سنة ١٩٢١ م.
(الصفحة المقابلة) -

■ صورة جماعية تظهر الأمير عبدالله بن
جلوي بن تركي آل سعود وإلى يساره ولده
سعود وإلى يمينه محمد أفندي في صورة
التقطت سنة ١٩١٧ م وقد ساند ابن جلوي
ابن عمه الملك عبدالعزيز في فتح الرياض،
وتولى حكم الإحساء فعرف بالحزم فوطه
الآمن، واستمر في موقعه حتى توفي سنة



١٩٣٥ م (١٣٥٤ هـ) .

■ الرحالة

الإنكليزي والفرد
شيسجر المولود سنة
١٩١٠ م بالجزيرة العماني
وهو الأوربي الوحيد
الذي عاصر الربع
الخالي مرتين في
أوائل الخمسينيات
(راجع فصل الرحالة
من هذا الكتاب) .

■ الجاسوس

الإنكليزي تيتشمان
خافيا منتكراً
بالملابس البدوية
(راجع فصل الرحالة
من هذا الكتاب) .





عبد من رموزه المميزين. وتوفي سنة ١٤٠٥ هـ
وحيداً في الصحراء بالسكتة القلبية .



■ (أعلى اليمين) الشيخ ذيب المهدي شيخ
قبيلة آل فطحيخ من الوعلة من يام، وكان من
المعروفين في حياته بالكرم والشجاعة والسعي
في حل المشكلات بين الناس.

■ (أعلى اليسار) الشيخ واكان بن فلاح بن
ماتع بن سالم آل حثلين شيخ قبيلة العجمان ، و
القاصر المشهور ولد حوالي بين عامي (١٢٢٥-
١٢٣٥ هـ) وتزوج قبيلته بعد تنازل عمه حزام له
سنة ١٢٦٢ هـ .

أسره الأتراك غدرًا سنة ١٢٨٨ هـ بتدبير من
واله بغداد مدحت باشا ، وسجن في إستنبول
سبع سنوات ثم تطوع للقتال إلى صف الدولة
على الجبهة السورية فأبلى بلاء حسنًا و تم
إطلاق سراحه بعد وساطة سنة ١٢٩٥ هـ ، وتوفي
وكان سنة ١٣١٤ هـ .

■ (إلى اليسار) القاصر بندر بن مرور
القاسمي العتيبي، شاعر نبطي مشهور .
ولد في القرارة بين الرس و عفيف سنة
١٣٦١ هـ ، وتوفي أبوه صغيراً و نبغ بالشعر حتى



■ (أعلى اليمين) الشيخ سلیمان بن سحطان الحجار - الزعيم والشارع والتأخر العربي المعرو، وتاريخه سلسلة من البطولات والأفعال الشهامة وقد توفي سنة ١٤٠٠هـ [١٩٨٠م] ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة.

■ (أعلى اليسار) الشيخ طراد اللحيم شيخ الحصة من هذلة.

■ صورة تجمع أربعة من شيوخ الصحراء وهم من اليمين: صورة تجمع أربعة من الزعماء و الشيوخ، وهم من اليمين: (حمود بن ثابت السويط - ضاري بن برقش الطواله - إبراهيم الإبراهيم (حاكم بلدة الزبير) - محمد بن صالح السبهان).





■ (إلى اليسار) صورة
للشيخ مثقال باشا الفايز
من شيوخ بني صخر واقفاً
إلى جملتها الكتاب
البريطاني سيبروك
وضمنها كتابه الصادر
سنة ١٩٦٨ م .

■ (أسفل اليمين)
الشيخ عبدة بن حرب أبو
تايه كما ظهر رسمه في
أعمدة الحكمة السبعة
للورنس، وهو عبدة بن
حرب أبو تايه الحويطي،
من زعماء الثوائية من
الحويطات.

■ (أسفل اليسار)
الشيخ خالد الحنّين من
شيوخ قبيلة الفحمان.





■ الشيخ فهد بك بن عبدالمحسن بن الحميدي بن عبدالله الهذال شيخ عنزة، وقد تزعم لهيلته بعد أبيه .. وذكرته المي بل في رسائلها كثيرا ثم انتخب نائبا في المجلس التأسيسي العراقي سنة ١٩٢٤م وتوفي مبنا في الثمانين سنة ١٩٦٧م .

■ الشيخ راكان بن بشير المرشد شيخ السبعة من عنزة في اوائل القرن العشرين.
■ شيخ حويطات الشمال حمد بن عراز بن جازي بن حمد آل جازي وخلفه اثنان من أتباعه.





■ (أعلى) الشيخ خالد باشا عبدالحلوف بن محمد الفون شيخ بلدة الزبير منذ سنة ١٣١٤ هـ ، حتى اغتياله في ١٤ شوال ١٣٢٥ هـ (١٩٠٩ م) في محلة الباشا بالبصرة .

■ (أعلى اليسار) الشيخ رذن السور من شيوخ قبيلة مطير .

■ (اليسار) الشيخ دهام بن الهادي بن الغاصي بن فرخان الجريش شيخ عشائر شهر في سورية ، وقد توفي في السبعينيات الميلادية .





- (أعلى اليمين) الشيخ محمد بن مطر أبو شهاب الجمالي من سبيع (راجع الفصل الأول).
- (أعلى اليسار) الشيخ فiras بن مذكر العماني شيخ بني عامر من قبيلة سبيع (راجع الفصل الأول من الكتاب).
- الشيخ عجمي بن شهيل بن سلطان آل سويح خلف ابن عمه حمودة في مشيخة الظفير، وأسس هجرة الصفيري، وتوفي سنة ١٩٨٨ م (١٤٠٨ هـ) عن عمر تجاوز المائة .
- الفارس بادي بن دبيان السبيعي الشاعر والفارس المعروف (راجع الفصل الأول من هذا الكتاب)





■ (أعلى اليمين) الشيخ
محمد البدر الدويش من
شيوخ قبيلة مطير.

■ (أعلى اليسار) الشيخ
عبد بن حبيب الجامع، شيخ
قبيلة العوازم السابق ووالد
شيخها الحالي. ولد سنة
١٩١٠م وتوفي سنة ١٩٧٩م.

■ (إلى اليمين) الشيخ
عبدالحسن بن صفيان بن
عبدالحسن بن فرز القرم شيخ
بني علي من قبيلة حرب. ولد
في أعالي نجد سنة ١٢٩٨هـ و
رأس قبيلته شابا، ونقلهم من
أطراف المدينة إلى رقبه، ما
حولها شمالي القصيم، وتوفي
عبدالحسن سنة ١٣٨٧هـ.





■ (أعلى اليمين) الشيخ مثنى بن تركي بن جددان المهيد شيخ القدمان من قبيلة عترة. ولد سنة ١٨٨٥م.

■ (أعلى اليسار) الشيخ تركي بن هيجان آل ربيعان العتيبي. ولد سنة ١٣٢١هـ : وشارك في الكثير من معارك توحيد الجزيرة العربية إلى جانب الملك عبدالعزيز ، وتعين فيما بعد أميراً للفوج التاسع من الحرس الوطني السعودي حتى توفي سنة ١٤٠٥هـ.



■ (ألى اليسار) الشاعر الكويتي عبدالله الفرج، ولد في الكويت سنة ١٢٥٢هـ . وعاش حياً من حياته في المهجر ، وكان والده ثرياً لكن الشاعر بدد إرثه على اللهو ثم انقطع للشعر والغناء حتى توفي سنة ١٩٠١م (١٣٦٩هـ) تاركاً تراثاً شعرياً تم طبع التبطني منه في ديوان سنة ١٣٣٨هـ ، و هو بذلك من أوائل الدواوين التبطية طباعة بينما ظل الفصيح دون تجميع أو طباعة حتى الآن .



■ (أعلى اليمين)

الشيخ عجيل الباور بن
عبد العزيز الجريّا شيخ
قبيلة شمر المتوفى سنة
١٩٤٠م

■ (أعلى اليسار)

الشاعر سمير بن راشد
ال أفبشة الهاجري.
شاعر قطري مشهور،
ولد سنة ١٨٩٠م تقريباً
وتوفي سنة ١٩٨٢م، وهو
يعد من أهم شعراء
قطر وكان أبوه عالماً من
أعلام الشعر النبطي.

■ (ألى اليمين)

الشاعر سالم الحميد.
شاعر الزبير المعروف
في صورة أثناء إحدى
رحلات الصيد. وقد
توفي سنة ١٩٥٦م عن
عمر قارب المائة سنة.





■ (أعلى اليمين) الليدي أيسلر ستانهورب بملابس الرجال العربية، وهي ابنة السياسي البريطاني المشربيت (١٧٥٩ - ١٨٠٦ م) تركت بلادها ورحلت إلى الشرق حيث انضمت بقصر فديم في قرية جون قرب صيدا، ويذكر الشرفسي لامارتين عقب زيارته لها: «أن تأثيرها على البدو أقاده أكثر من مرقة إراجع فصل الرحالة من هذا الكتاب».





■ (أعلى يسار الصفحة المقابلة) المسز ديكسون بالملابس الحربية تداعب غزالاً برياً.

■ (أسفل الصفحة المقابلة) المسز ديكسون يشرب القهوة مع زواره من العرب.

■ (أعلى) المسز ديكسون عند موقف القهوة مع إحدى صديقاتها البهويات.

■ (أسفل) بيت آل ديكسون على ساحل البحر في الكويت.





■ صورة لثورنيس الإنكليزي على ظهر جملة في العقبة - (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب)

■ صورة أخرى التقطت في الصحراء القريبة إلى العقبة ، وتظهر الضابط الإنكليزي ثورنيس يمازجسة العربية الانيقة والخنجر المذهب أياك الحرب العاشية الأولى (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).

■ (إلى اليسار) الرحالة المصري إبراهيم رفعت باشا (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).



■ (أعلى اليمين) الرحالة التشيكي لويس
موزيل بالملابس العربية، وموزيل ولد سنة ١٨٦٨م
، وعمل أستاذاً في جامعة شارلز فيراغ وأجاد
اللغة العربية ، وارتحل إلى المنطقة العربية أربع
رحلات كانت أولها بين عامي ١٨٩٦م و ١٩٠٢م
للتنقيب في البتراء وأطراف الحجاز الشمالية
بتمويل من مجمع العلوم والفنون التشيكي
فاكتشف بعض القصور الإسلامية ، وأخرها في
صحراء النفود والدهناء عام ١٩١٤م .

(راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).

■ (أعلى اليسار) الرحالة الإنكليزي ريتشارد

بيرتون (راجع فصل الرحالة من هذا الكتاب).

■ (إلى اليمين) أحد الرحالة اليابانيين

مسكاً بظب اصطاده في الصحراء (راجع فصل

الرحالة من هذا الكتاب).







■ (أعلى الصفحة المقابلة)

صورة قديمة للحرم المكي الشريف، وحاول مقارنته هذا المنظر بالوضع الحالي لتدرك حجم التوسعات التي جرت للحرم خلال قرن من الزمان.

■ (أسفل الصفحة المقابلة)

صحن الكعبة المشرفة وقد داهمه السيول في يوليو ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ) بعمق تجاوز المتوسمين. وتلاحظ أن بعض الأشخاص يطوف سياحة.

■ (أعلى) القصر المنسوب لحاتم

الخطابي شمال المملكة العربية السعودية بالقرب من حائل، وللعلم ما يزال القصر المنسوب لحاتم معروفا حتى يومنا هذا.

■ إمرأتان كويتيتان أمام أحد

بيوت الشعر في صورة ترجع إلى الثلاثينات من أرشيف آل ديكسون.





■ إحدى
بوابات السور
في الكويت بعد
تدميره سنة
١٩٥٨م.

■ أفراد من
قبيلة ببيع
أمام سور
السيحية في
الكويت في
مسيرة تعود
لثلاثينيات
من القرن
العشرين.





- (أعلى اليمين) فليان عريبان (بدووي ومغربي) في مدرسة العشائر في الأستانة قبل أكثر من قرن .
- (أعلى اليسار) مجاهد من جنود الملك عبدالعزيز بملابسه الرسمية.
- سوق مدينة الرضى كما ظهر قبل أكثر من سبعين عاما.





■ شاب بدوي
في الصحراء،
ولاحظ الحدائق
التي تربت وهي
من محاسن
الرجس في
الماضي وقد
اختفت تماماً
في عصرنا
الحالي.

■ أحد
الشوارع في
مدينة الرياض
قبل مسجون
عاماً.

■
وجوه من
رجال
الملك
عبدالعزیز
أمام قصره
في
الرياض
سنة
١٩٣٧م.



■ أسرة
من قبيلة
المرة
بالقرب
من الريع
الخلي.





■ (أعلى اليمين) الشيخ
النوري بن هزاع بن نايف
بن عبدالله بن الشعلان
شيخ الرولة الشهير . ولد
سنة ١٨٤٧م وتولى المشيخة
بعد فهد بن سطاتم الشعلان
واستمر فيها سنوات
طويلة ، وتوفي في يوليو
١٩٤٢م ، ودفن في قرية ،
عذرة .

■ (أعلى اليسار) الشيخ
أورنس بن طراد الشعلان
الضارس والشخصية
المشهورة (راجع الفصل
الأول من هذا الكتاب) .

■ (إلى اليسار) الشيخ
فرحان بن مشهور الشعلان
المتوفي سنة ١٩٢٧م في
الوسط ومعه اثنان من
رفاقه .

■ عائلة

بدوية ترتحل
عبر الصحراء
الإماراتية وهي
من أرشيف
الرحالة
شجر.

■ رجل

وفلام يافع
مسلحان أمام
أحد بيوت
الشعر.

■ مجلس

أحد شيوخ
الكويت في
الصحراء
الكويتية .





EA 2194 3577
289635

مكتبة الصور